مكتبة الرسائل الجامعية العالمية



الحرب النفسية

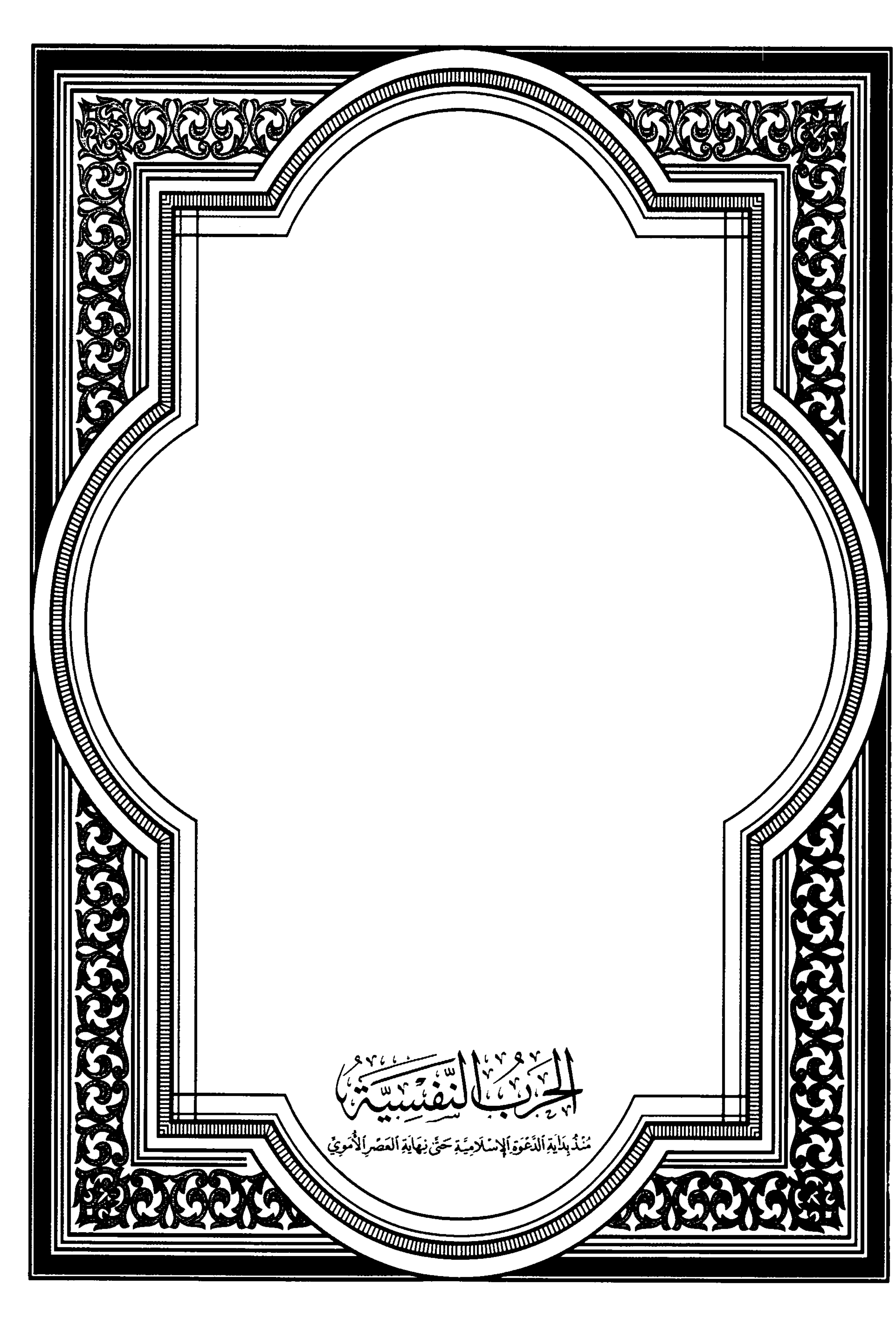
منذ بداية الدعوة الإسلامية حتى نهاية العصر الأموي

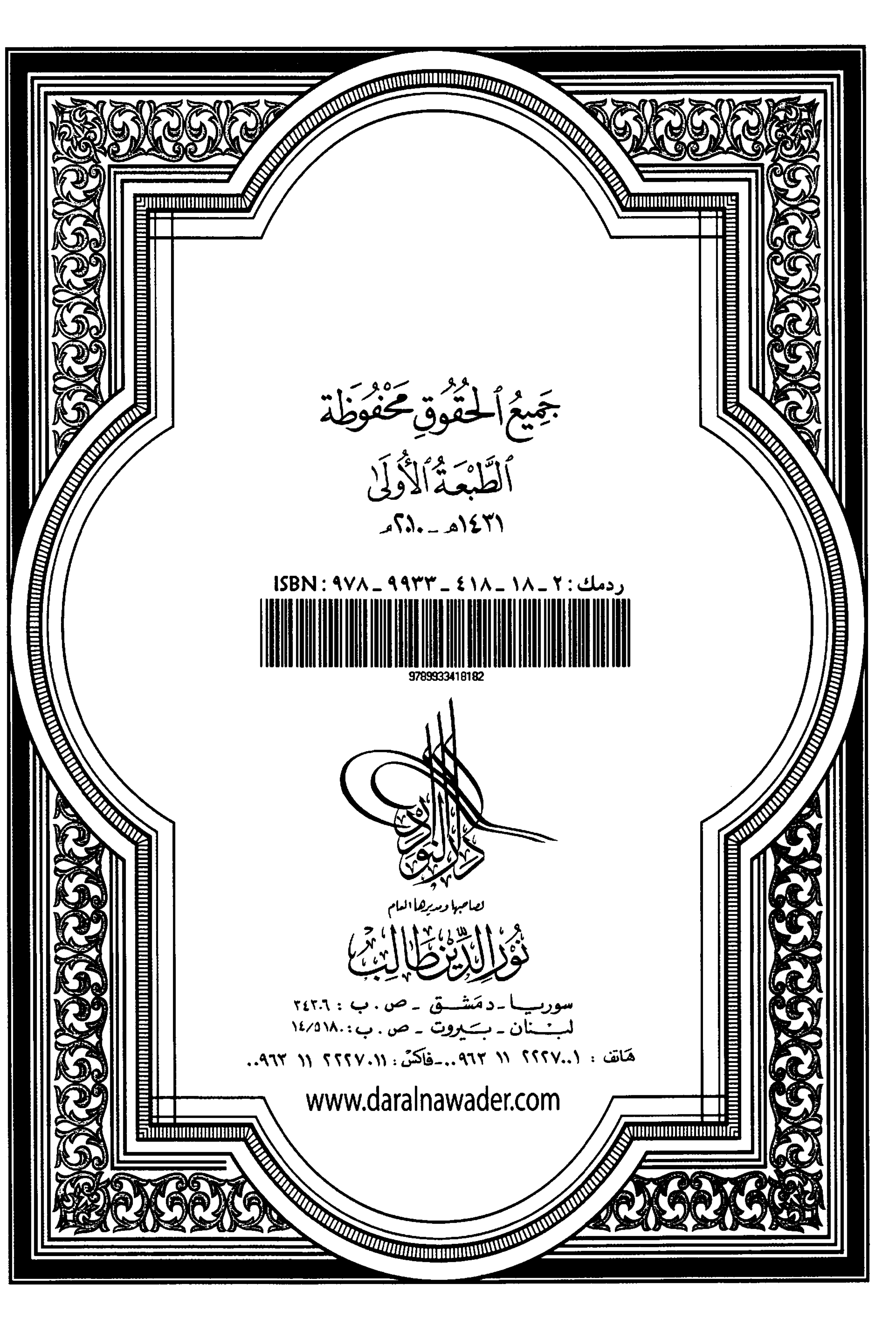
تأليف الدكتور

حسين حسن عداي



دار النوادر


الحرب النفسية
منذ بداية الدعوة الإسلامية حتى نهاية العصر الأموي

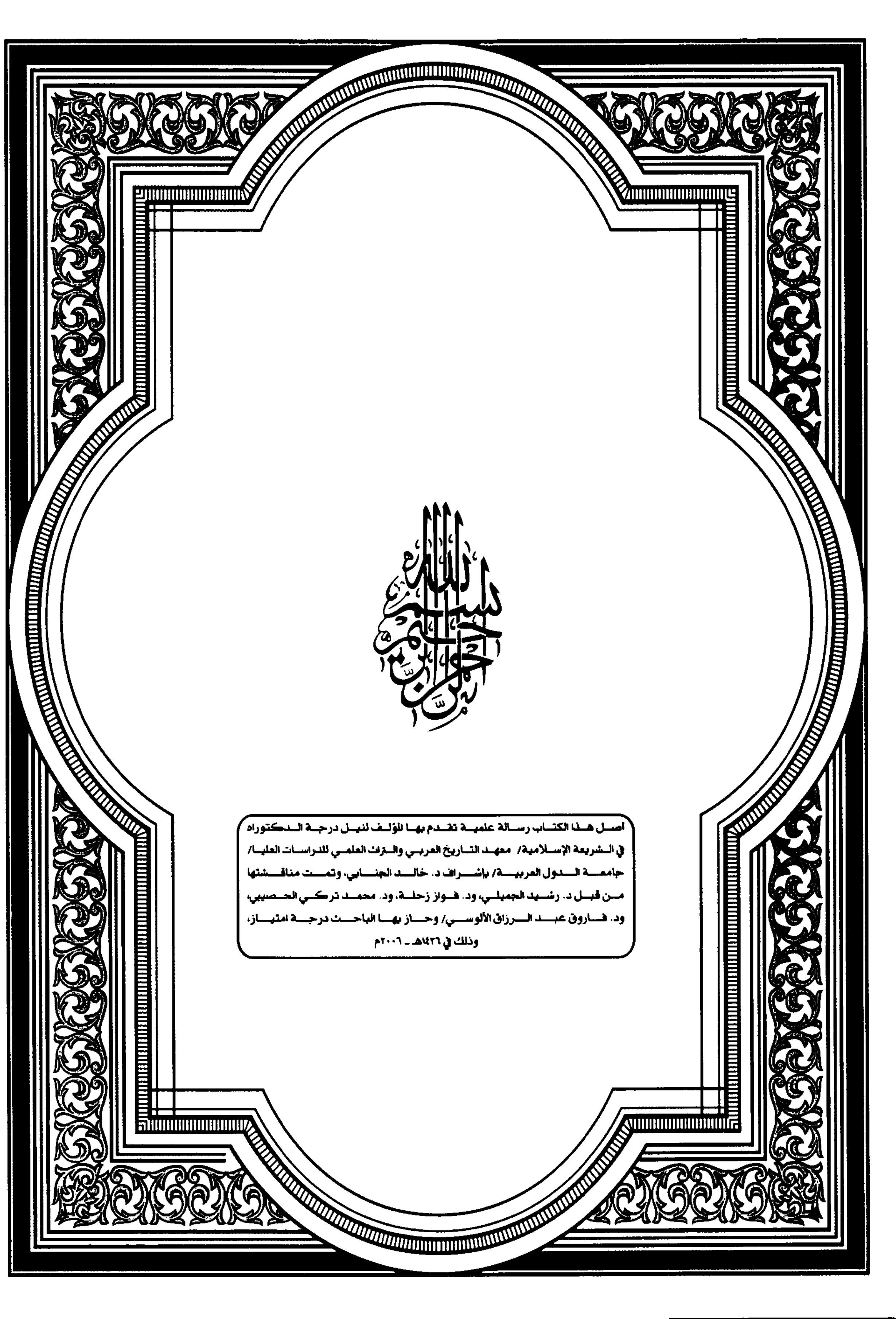


الطَّبْعَةُ الأُولَى
١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

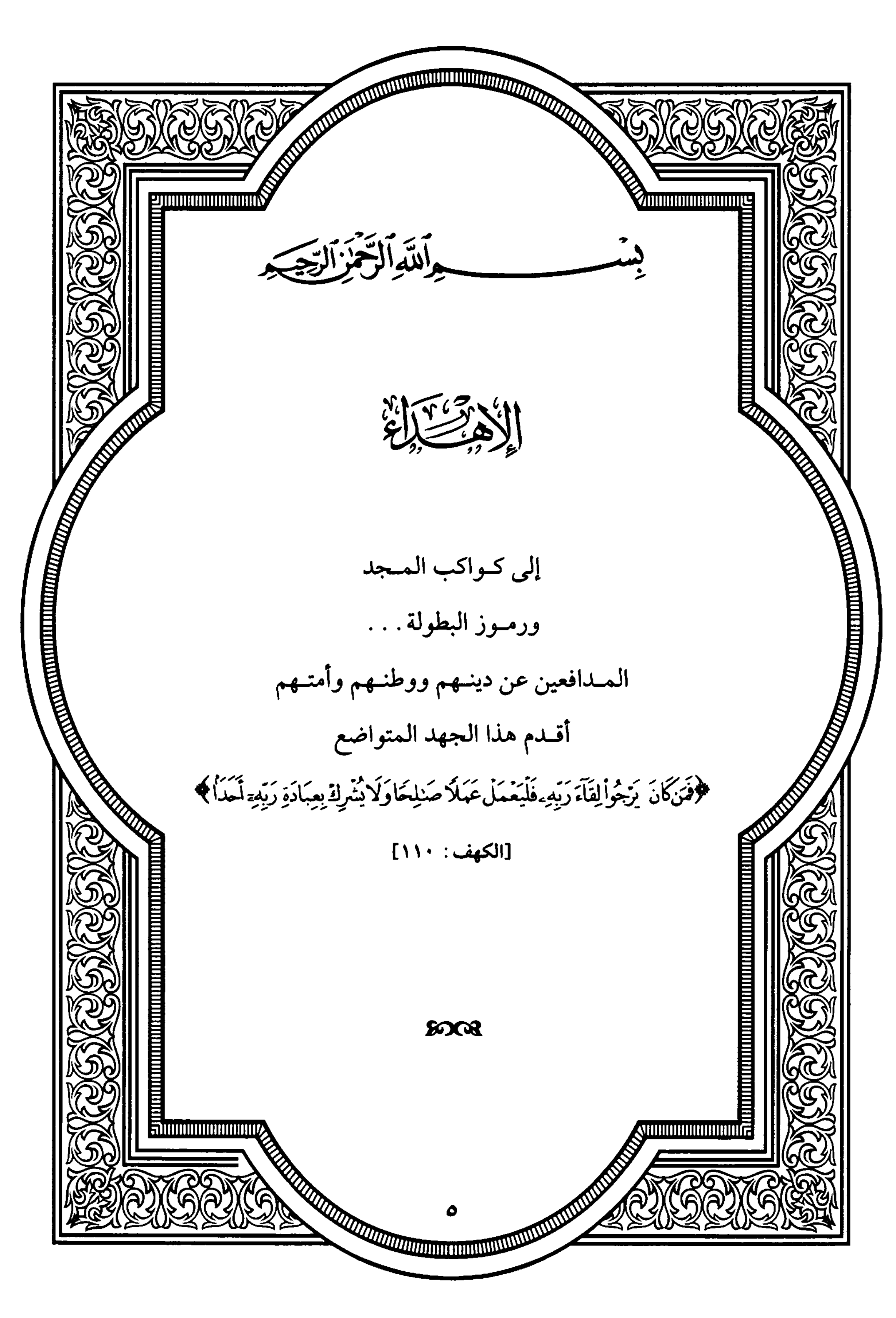
ردمك : ٢ - ١٨ - ٤١٨ - ٩٩٣٣ - ٩٧٨ : ISBN
9789933418182

دار النوادر
لصاحبها ومديرها العام
نُورُ الدِّين طَالِب

سوريا - دمشق - ص . ب : ٣٤٣٠٦
لبنان - بيروت - ص . ب : ١٤/٥١٨٠
هاتف : ٠٠٩٦٣ ١١ ٢٢٢٧٠٠١ - فاكس : ٠٠٩٦٣ ١١ ٢٢٢٧٠١١
www.daralnawader.com



أصل هذا الكتاب رسالة علمية تقدم بها المؤلف لنيل درجة الدكتوراه في الشريعة الإسلامية/ معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا/ جامعة الدول العربية/ بإشراف د. خالد الجنابي، وتمت مناقشتها من قبل د. رشيد الجميلي، ود. فواز زحلة، ود. محمد تركي الحصيبي، ود. فاروق عبد الرزاق الألوسي/ وحاز بها الباحث درجة امتياز، وذلك في ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م



بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى كواكب المجد

ورموز البطولة . . .

المدافعين عن دينهم ووطنهم وأمتهم

أقدم هذا الجهد المتواضع

﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾

[الكهف : ١١٠]



المقدمة

كانت الحرب النفسية قديماً مرتبطة بالمعارك الحربية بصورة أَساسية، وكانت أَحد عوامل فشل أَو نجاح تلك المعارك.

ويعزو المؤرخون الغربيون أُصول الحرب النفسية إِلى فرنسة في عهد نابليون.

والحقيقة أنها فن حربي قديم، أَجاده الصينيون والهنود، والعرب المسلمون منذ عهد الخلفاء الراشدين، وأَصبح محبوكاً في عهد الأُمويين، وقد عرف الصينيون الحرب النفسية قبل الميلاد بقرون، كذلك مارس قدماء الهنود الحرب النفسية، وعرف أَباطرة الرومان أَهمية الدعاية، وفائدة الشعراء والأُدباء في نشرها.

لقد وجد منقوشاً على جدار أَحد المعابد في مدينة دلفي اليونانية القديمة (رأس المعرفة معرفة الذات)، لذا فإِن أهم معرفة للإِنسان هي معرفة نفسه. وقال أردان دوبيك[1]: (إِن القتال هو الهدف النهائي للجيوش، والإِنسان هو الأَداة الأولى للقتال. فلا يمكن أَن يكون هناك شيء منظم بصورة عاقلة في جيش من الجيوش. . . دون معرفة دقيقة بهذه الأَداة الأُولى: معرفة بالرجل،

(١) أردان دوبيك: كاتب عسكري، ومنظر استراتيجي فرنسي، ١٨٣١ ـ ١٨٧٠م.

ويوضعه المعنوي في هذه اللحظة من القتال).

فالإنسان يعيش في عالم متغير، وفي مجتمع له أَنظمته وتراثه وثقافته وعاداته، ويتفاعل دائماً مع البيئة المحيطة به، فهو يتأثر ويؤثر فيها[1].

وفي الحرب العالمية الأُولى جاء في الطلب البائس للمارشال هندبرغ الموجه إلى القوات المسلحة الأَلمانية والسكان المدنيين خلال الحرب عندما كانت الحرب النفسية قد بدأَت:

(يدير العدو قتاله ضدنا بوسائل مختلفة، وهو لا يقصف جبهتنا بالمدفعية فقط، بل بالأَوراق المطبوعة أَيضاً، والتي تقتل هي أَيضاً كما تفعله قنابله، يلقي طياروه المنشورات علينا لتحطيم روحنا المعنوية. ويأمل العدو بأن الجنود سيرسلون المنشورات الملقاة عليهم من السماء بحسن نية إلى وطنهم حيث ستتناقلها الأَيدي، وسيتحدث بها الناس في المطاعم والمحلات العامة وفي البيوت، وسيبتلع آلاف الناس سمومها في غفلة من أَنفسهم)[2].

ويقول ديغول: (لكي تنتصر دولة في الحرب عليها أن تشن الحرب النفسية قبل أن تتحرك قواتها في ميدان القتال. وتظل الحرب النفسية تساند هذه القوات حتى تنتهي مهماتها)[3].

وقد كتب أحد قادة الجيوش المتحاربة في الحرب العالمية الثانية يقول: إنه وجد أن أفتك سلاح يؤدي إلى حسم معركة من المعارك هو أن يتم التأثير

---

(١) صلاح نصر ـ الحرب النفسية، ج١، القاهرة ١٩٦٧.

(٢) مديرية التدريب العسكري ـ كراسة الحرب النفسية (كراسة رقم ٩٨) (ترجمة الرائد الركن محمد فتحي أَمين)، ص١٤، وزارة الدفاع ١٩٦٤.

(٣) مجلة الدفاع، العدد الرابع، ص٩٠، وزارة الدفاع ١٩٨٨.

على نفسية ومعنوية الجندي المعادي؛ لكي يهتز إصبعه حينما يريد أن يضغط على زناد بندقيته. فهو عندما يرتجف لا يعرف كيف يصوب سلاحه، وعندئذ يخطئ الهدف.

لقد اقترن اصطلاح (الحرب النفسية) بالحروب الفعلية، لكنها في الحقيقة قائمة على قدم وساق في الحروب (الباردة) التي تسبق أو تلي الحروب (الساخنة)، بل إن الحرب الباردة هي الحرب النفسية ذاتها.

فالحرب النفسية يمكن أن توجه ضد الفكر لتشويشه، وضد العقيدة لزعزعتها، وضد الشجاعة لتخديرها، وضد الثقة بالنفس لزرع عوامل الريبة والشك فيها، وأخيراً ضد الرغبة في القتال.

إن العودة إلى تاريخ أمتنا العظيم توضح لنا رواج سلاح الحرب النفسية أولاً، وتبين مقدار ما بذله المشركون في زمن الرسول ﷺ من جهود لاختراق صفوف المسلمين، والتغلغل لتمرير وسائل حربهم النفسية؛ اعتقاداً منهم بإمكانية النيل من المؤمنين، وزعزعة نفوسهم عن الإيمان. غير أن جهود الرسول ﷺ، وقوة عزيمته، وإيمان أصحابه قد فوت الفرصة على المشركين من المضي في أهداف حربهم النفسية.

وبمقدار ما كانت عناصر الحرب النفسية التي استخدمها المشركون متعددة وشاملة، فإن عوامل التصدي لها، والتأثير النفسي باتجاه مقاومتها من قبل الرسول ﷺ وأصحابه المؤمنين كانت أدق وأعظم.

وفي عصر الخلفاء الراشدين كانت الردة عن الإسلام، والقضاء عليها، والفتوحات الإسلامية التي قضت على أكبر دولتين كانتا قائمتين: دولة الفرس، ودولة الروم، استخدمت الحرب النفسية خلال هذه الحروب بشكل كبير؛ مما

ساعد المسلمين على تحقيق الانتصارات في كل هذه الحـروب.

ولقد تطورت الحرب النفسية في العصر الأموي بشكل أكبر تنظيماً وسعة، سواء في بناء الدولة الأموية وتوطيد أركانها، أو خلال الفتوحات الإسلامية في بلاد المغرب وبلاد المشرق.

لقد حاولت في هذه الأطروحة توضيح الحرب النفسية خلال فترة محددة من التاريخ الإسلامي؛ لتغطي مرحلة الدعوة الإسلامية، ونشوء الدولة الإسلامية، وتوسعها خارج جزيرة العرب؛ لتصل حدودها إلى الصين شرقاً، وإلى المحيط الأطلسي غرباً. وهذا موضوع واسع جداً. وقد كنت أعتقد أن هذا الموضوع قد بحث تاريخياً بشكل يوازي البحث في التاريخ الإسلامي. إلا أني لم أجد ذلك، واقتصر بحثه في التاريخ الإسلامي على إشارات وتنويهات في قسم من الكتب التاريخية، وبخاصة تاريخ المعارك.

تم تقسيم الأطروحة إلى مقدمة، وخمسة فصول:

تضمن الفصل الأول: التعريف بالحرب النفسية؛ حيث اشتمل على تعاريف: الحرب النفسية، وعناصرها، وأهدافها، والمصطلحات ذات العلاقة بها.

تضمن الفصل الثاني: الحرب النفسية خلال عهد الرسول ﷺ، وتناول هذا الفصل عوامل الحرب النفسية التي استخدمها المشركون ضد الدعوة الإسلامية، إضافة إلى دور اليهود والمنافقين، وتطرق الفصل كذلك إلى أساليب التصدي لهذه الحرب، وكيفية استخدام المسلمين للحرب النفسية المضادة في تفتيت المشركين، والانتصار عليهم.

اشتمل الفصل الثالث على: الحرب النفسية خلال حروب الردة في عهد الخلفاء الراشدين، ووضحت في هذا الفصل كيف استخدمت الحرب النفسية في معالجة المرتدين، وتوجيه القوات لقتالهم، واستخدامها خلال المعارك وبعدها.

تناول الفصل الرابع: الحرب النفسية خلال الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين، وتم التركيز على الفتوحات في العراق والشام، وأهم عوامل الحرب النفسية التي استخدمت خلالها.

أما الفصل الخامس، فقد تضمن الحرب النفسية خلال العصر الأموي مركزاً على ثلاثة جوانب، منها: كسب التأييد للأمويين، والقضاء على الثورات والفتن، والجانب الثالث: الفتوحات الإسلامية في العصر الأموي.

وهنا أود الإشارة إلى نقطتين أساسيتين في أسلوب الأطروحة:

النقطة الأولى: عدم تناول كافة المعارك والأحداث بالمستوى نفسه، وإنما التركيز على المعارك التي تظهر فيها عوامل الحرب النفسية وعناصرها أكثر من غيرها.

النقطة الثانية: هنالك العديد من عوامل الحرب النفسية وعناصرها تتكرر في المعارك، ولغرض تجنب التكرار لهذه العوامل، فقد حاولت أن أبين عوامل الحرب النفسية المستجدة في المعارك اللاحقة دون أن أكرر ما تطرقت إليه منها في معركة سابقة.

وفي الختام: أرجو أن أكون قد وفقت في تقديم بحث تاريخي لجانب من جوانب تاريخنا العظيم. ومن الله التوفيق.

الباحث

❑ ❑ ❑



الفَصْلُ الأَوَّلُ

تعريف بالحرب النفسية

تعد الحرب النفسية من موضوعات الساعة في الوقت الحاضر، على الرغم من أَنها استخدمت منذ أَقدم العصور، وقد برزت في كل عصر من هذه العصور بأَساليب مختلفة للحرب النفسية، وقد كانت الحرب النفسية ترتبط أَساساً بالمعارك الحربية بصورة أَولية، وكانت أَحد العوامل في نجاح أَو فشل تلك المعارك، ويظهر أَن الصينيين أَول من أَجاد هذا الفن الحربي، ثم الهنود، وبعدهم العرب. ولعل التطور الكبير الذي أَصاب كل مرحلة زمنية؛ أَثر في ابتكار أساليب جديدة لهذه الحرب. ومن الأَساليب التي استخدمها الأَقدمون: (الفراسة، والتخمين، والفطنة)، وغيرها من القدرات التي لا يتمتع بها إِلا قلة من الناس، وهم السحرة والفلاسفة والحكماء. وقد كانت الحرب النفسية تنتشر عن طريق إرسال الجواسيس، أو من خلال التجار وغيرهم؛ لغرض جمع المعلومات، ويُعَدُّ الهجاء والشعر والغناء والخطابة، وإِبراز وسائل القوة من الوسائل النفسية التي استخدمت قديماً.

ومن الشواهد التاريخية التي تدلل على الذكاء المستخدم في التمويه، وخداع العدو، ومحاربته نفسياً: ما يروى عن قصة أعرابي وقع أسيراً بيد أعدائه؛ حيث أجبروه على أن يكتب لقائد جيشه خطاباً يوهمه فيه بقلة العدو

وتخاذله، وينصحه بالتقدم، وذلك كي يتمكنوا من القضاء على العرب. فخضع الرجل إلى أمرهم، وكتب ما يريدون، ولكنه ذَيَّل الخطاب بالعبارة التالية: (نصحت فدع ريبك ودع مهلك).

ووصل الخطاب إلى القائد العربي على أنه توجيه من أحد أتباعه المخلصين، ولكن القائد قرأ العبارة المكتوبة في نهاية الخطاب بالعكس، فكانت: (كلهم عدو كبير، عد فتحصَّن)، وبهذا نجا الجيش العربي من مكيدة كادت تقضي عليه[1].

كان الكفار قد استخدموا الحرب النفسية ضد الإسلام في بداية الدعوة الإسلامية في زمن الرسول ﷺ محاولة منهم لمنع انتشار الإسلام، وبعد وفاة الرسول ﷺ استخدم الكفار والمشركون الحرب النفسية، وذكروا أن الإسلام قد انتهى.

وأخذوا يبثون الإشاعات، حيث قالوا: (لو كان محمد نبياً، لظل بينكم، ولم يمت). ولكن أبا بكر الصديق ﷺ فطن إلى ذلك، وخاطبهم قائلاً: أيها الناس! من كان يعبد محمداً، فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله، فإن الله حي لا يموت[2] واسمعوا قول الله: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾[آل عمران: ١٤٤].

وقد قال الرسول ﷺ في معركة الخندق: «الحرب خدعة»[3] حينما

(١) كامل علوان الزبيدي ـ علم النفس العسكري، ص٢١٥.

(٢) البخاري ـ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ـ صحيح البخاري، رقم الحديث (٣٦٦٨).

(٣) ابن هشام ـ السيرة النبوية ٣/ ٢٤٠.

كانت العرب قديماً لا تعرف ذلك، وقد مارس الرسول ﷺ الحرب النفسية في معركة الخندق؛ لإضعاف عدوه، وبث الخلاف فيما بينهم[1]. واستخدم معاوية بن أبي سفيان مع علي بن أبي طالب ﷺ أسلوباً آخر، وهو رفع المصاحف على رؤوس الرماح في معركة صفين[2]. وهذا طارق بن زياد يستخدم أسلوباً آخر؛ حيث عمد إلى إحراق السفن بعد عبوره المضيق المسمى باسمه (مضيق جبل طارق)[3].

والشواهد التاريخية كثيرة؛ لذا فإن هذا الفن الحربي يعتبر وجوده منذ وجود الإنسان، ولكن شاع أكثر في الغزوات وفي الحروب.

وفي الوقت الحاضر برزت أساليب جديدة ومتطورة، ومبنية على أسس نفسية واجتماعية، بعد دراسات تفصيلية عن الجهات أو الشعوب التي توجه لها الحرب النفسية. إن الحرب النفسية أضحت اليوم أحد المظاهر الثابتة والمرتبطة بالصراع الدولي في جميع أبعاده، فهي أولاً: بديل للصراع الجسدي، وهي ثانياً: تنظيم للعنف في صورة معينة، وهي ثالثاً: أداة من أدوات تنفيذ السياسة الخارجية[4].

والحرب النفسية سلاح فعال في المعارك، فهي وسيلة تدعم وسائل القتال الأخرى في استغلال النجاح والنصر في المعارك، كما أنها توفر كثيراً من الخسائر في الرجال والعتاد والأموال والأمور الأخرى[5].

---

(١) البيهقي ـ دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة (٣/ ٤٤٥ ـ ٤٤٦).

(٢) نصر بن مزاحم المنقري ـ وقعة صفين، ص٤٨١ ـ ٤٨٤.

(٣) المقريزي ـ نفح الطيب، ج١، ص٢١٤.

(٤) حامد ربيع ـ الحرب النفسية في المنطقة العربية، ص٢٢:

(٥) صلاح نصر ـ الحرب النفسية، ص ١١٨، ج١، لسنة ١٩٦٧.

وإن الجديد في الحرب النفسية هو تطـور أساليبها وَفْق قواعـد منظمة ومدروسة، وبما أن الحياة العسكرية حياة اجتماعية من نمط معين، تتميز بالقدرة على التحكم في السلوك، وهي ضرورة أساسية في جميع الواجبات العسكرية، سواء كانت وقت السلم، أو الحرب، فإن المشتغلين بميدان الحرب النفسية يعرفون كيف يدرسون نفسيات الجيوش والشعوب المقابلة لهم من حيث الإعداد والتدريب والتسليح، وكل ما يتعلق بقوة الشخصية؛ حيث تشخص النقاط التي يمكن النفاذ منها، وتوجيه أسلحة الحرب النفسية لها[1].

تعريف الحرب النفسية:

يعد (لينبارجر) أول من قدم تعريفاً للحرب النفسية (بكونها تستخدم الدعاية ضد العدو مع إجراءات عملية أخرى ذات طبيعة عسكرية أو اقتصادية أو سياسية مما تتطلبه الدعاية)[2]. وقد ورد في معجم الجيش الأمريكي للحرب النفسية بأنها (استخدام مخطط من جانب الدولة في وقت الحرب، أو في وقت الطوارئ لإجراءات دعائية بقصد التأثير على آراء وعواطف ومواقف وسلوك جماعات أجنبية عدائية، أو محايدة، أو صديقة بطريقة تعين على تحقيق سياسة الدولة وأهدافها)[3].

ويعرف جمال السيد الحرب النفسية بأنها (الحرب كلها، سواء كانت بالقوة الماديـة، أو القوة المعنوية، وهدفها هو: وضع العدو في حالـة نفسـية

---

(١) الدكتور محمد عثمان نجاتي ـ علم النفس الحربي، ص١٢، ط٣، لسنة ١٩٦٠.

(٢) لينبارجر بول ـ الحرب النفسية، ترجمة حميد الرشيد، مطبعة النجاح بغداد ١٩٦٢.

(٣) معجم الجيش الأمريكي للحرب النفسية، نيويورك ١٩٧٣.

معينة، وهي حالة الهزيمة)[1].

ويعرف الدباغ الحرب النفسية بأنها (الاستغلال الأمثل والمخطط والمنظم للدعاية والإجراءات الأخرى الكفيلة بالتأثير على الأفكار والسلوك، ووضع العدو أو المجموعات الصديقة أو المحايدة بشكل يسند تحقيق الأهداف والأماني الوطنية)[2].

وقد ورد التعريف الآتي للحرب النفسية في سلسلة الثقافة الثورية للمؤسسة العربية للدراسات والنشر: (الاستخدام المدبر لفعاليات معينة معدة للتأثير على آراء وعواطف وسلوك مجموعة من البشر وقت الحرب أو الطوارئ، ويستهدف منها إضعاف معنوياتهم، وتغيير منهج تفكيرهم بشكل يحقق مصالح العدو في القضايا التي يجري الصراع من أجلها. وهي تشمل بمعناها الواسع استخدام علم النفس لخدمة الحرب بأساليب الدعاية، والإشاعة، والمقاطعة الاقتصادية، والمناورة السياسية، مع ما يكملها من الأعمال العسكرية الرادعة).

الحرب النفسية هي نوع من القتال النفسي لا يتجه إلا إلى العدو، ولا يسعى إلا إلى القضاء على إيمان المستقبل بذاته، وبثقته في نفسه، وبعبارة أخرى: هي لا تسعى إلى الإقناع أو إلى الامتناع، وإنما تهدف إلى تحطيم الإرادة الفردية، هدفها أكثر اتساعاً ونظاماً، كما أن دائرة فعاليتها

---

(١) جمال السيد ـ أضواء على الحرب النفسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٢.

(٢) د. فخري الدباغ، وقيس عبد الفتاح، علم النفس العسكري، جامعة بغداد، ط١ ١٩٨٦.

أكثر من الدعاية، وهي تسعى إلى القضاء على الإرادة، ولكنها لا تتجه إلا إلى الخصم أو العدو[1].

ويقول (ميلوش ماركو): إن الحرب النفسية هي حملة شاملة، تستخدم فيها كل الأجهزة والأدوات المتاحة للتأثير في عقول وأفئدة جماعة محددة؛ بقصد تدمير مواقف معينة، وإحلال مواقف أخرى تؤدي إلى سلوك يتفق مع مصالح الطرف الذي يشن هذه الحرب[2].

أما صلاح نصر، فيرى: (أن الحرب النفسية قد تكون دفاعية وهجومية، وتقوم بتقوية معنويات المقاتلين، وتعمل على تحطيم معنويات الأعداء، وهي بعيدة عن عرف وتقاليد الحرب التقليدية، ولا تخضع لرقابة القانون)[3].

ويعرفها فرويد إذ يقول: إن (الحرب النفسية هي شكل من أشكال قيادة الحرب بواسطة أساليب متعددة، منها: الدعاية، وخلق الرعب والأمور الأخرى، تحاول التأثير على الدول المحايدة والصديقة بهدف إرغامها على اعتناق أفكارها، والسير في سياستها)[4].

ويعرفها (أيزنهاور): (فرصة لكي تحصل على نصر دون خسارة في الأرواح، وكي تفوز في النضال من أجل السلام)[5].

---

(١) حامد ربيع ـ الحرب النفسية في المنطقة العربية، ص٣٧، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

(٢) كامل علوان الزبيدي ـ علم النفس العسكري ـ ص٢١٧.

(٣) صلاح نصر ـ الحرب النفسية معركة الكلمة والمعتقد، ج١، ص٢٠.

(٤) سيغموند فرويد ـ أفكار لأزمنة الحرب والموت ـ ترجمة سمير كرم.

(٥) معجم الجيش الأمريكي للحرب النفسية.

أما السوفيت، فيعرفونها بأنها: (كل عمل سياسي ونفسي يهدف إلى تحطيم معنويات العدو وشل قدرته على القتال، ودفعه إلى الاستسلام والخروج من الحرب)[1].

أما الإنكليز، فهم يعرفون الحرب النفسية (بالحرب السياسية التي تستخدم فيها المبادئ النفسية والعقلية والانفعالية، ولذلك استخلصوا منها سلب العقول والقلوب)[2].

ومن خلال ما تقدم يمكن القول: إن هنالك تداخلاً في مفهوم الحرب النفسية، ومفاهيم أخرى؛ كحرب الأعصاب، وحرب السياسة، وحرب الإذاعات، والحرب الأيديولوجية، والحرب الباردة، وغير ذلك[3].

من المناسب وضع تحليل تفصيلي للحرب النفسية، والمفاهيم المتعلقة بها، وإن تحديد المعنى العام لكل منها لابد أن يساعد القارئ على فهم مسارات هذه الدراسة.

الحرب الباردة:

اصطلاح برز منذ نهاية الحرب العالمية الثانية؛ ليعبر عن استمرار حالة القتال السابقة، ولكن فقط بأساليب نفسية دعائية وإعلامية في آن واحد[4].

الدعاية:

الدعاية يقصد بها: عملية الإثارة النفسية بقصد الوصول إلى تلاعب

---

(١) أرنوف زيتج ـ مقدمة في علم النفس.

(٢) معجم أكسفورد البريطاني.

(٣) كامل علوان الزبيدي ـ علم النفس العسكري، ص٢١٨، جامعة بغداد ١٩٨٩.

(٤) حامد ربيع ـ نظرية الرأي العام ـ محاضرات كلية الاقتصاد، بغداد ١٩٧٣.

معين في المنطق، فإذا بنا إزاء استجابة ما كان يمكن أن تحدث لو لم تحدث هذه الإثارة العاطفية. الدعاية بهذه المعنى لا تفترض سوى التلاعب بالمنطق كما تتجه إلى الصديق، فإنها تتجه إلى غير الصديق[1].

الحرب الأيديولوجية:

هي نوع من الصراع النفسي أساسه الرغبة في سيادة أيديولوجية على أخرى، ويفترض وجود تناقض في الأيديولوجيات، وسعي من جانب إحدى تلك الأيديولوجيات لاحتواء مجتمعات أخرى، سواء بالتأكيد، أو بالامتناع. لذلك الحرب الأيديولوجية تفترض أن يصاحبها إما دعاية بالنسبة إلى النموذج الأول، أو دعوة بالنسبة إلى النموذج الثاني، الدعاية تنتهي إلى التأييد، والدعوة تقود إلى الولاء وخلق الأنصار[2].

الدعوة العقائدية:

إنها نوع من الإقناع المستند إلى الصدق والإيمان. هي لغة المنطق إلى المنطق، ترفض الكذب والتشويه، وتسعى للحصول على علاقة الولاء. قد تختلط بالدعاية في بعض مراحلها، ولكن المحور العقائدي في العملية الاتصالية يسمح بتمييزها بوضوح، حتى عندما تأخذ الصورة الدعائية[3].

---

(١) كامل علوان الزبيدي ـ علم النفس العسكري، ص٢٢٩، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ـ جامعة بغداد، بيت الحكمة، رقم الإيداع في المكتبة الوطنية ببغداد: ١٥٢، لسنة ١٩٨٩.

(٢) حامد ربيع ـ محاضرات في نظرية الرأي العام، مطبوعة لكلية الاقتصاد، ص١٢١ وما بعدها، جامعة بغداد، كلية الاقتصاد ١٩٧٣.

(٣) حامد ربيع ـ نظرية الرأي العام ـ محاضرات كلية الاقتصاد، ص١٢١ وما بعدها، بغداد ١٩٧٣.

التسميم السياسي:

وهو أكثر هذه المفاهيم حداثة، يكثر استخدامه في الفقه الفرنسي، ويدور حول زرع أفكار معينة من خلال الخديعة والكذب؛ بحيث تؤدي إلى تصور معين للموقف يختلف عن حقيقته؛ مما يترتب عليه عند اكتشاف تلك الحقيقة نوع من الصدمة النفسية الذي يؤدي إلى شلل نفسي، وبالتالي إلى عدم القدرة على عملية المواجهة.

والتسميم السياسي بهذا المعنى قد يكون مقدمة لمعركة، أو قد يكون لاحقاً لها. يقدم بحيث يسمح بتحقيق النصر العضوي بأقل تكلفة، ولاحقاً لها بحيث يكمل الانتصار بالقضاء المطلق على الخصم كوجود ذاتي لا يزال يناضل في سبيل التمسك ببقائه الحضاري[١].

غسيل المخ:

أسلوب من أساليب التعامل النفسي يدور حول تحطيم الشخصية الفردية؛ بمعنى: نقل الشخصية المتكاملة، أو ما في حكم المتكاملة إلى حد التمزق العنيف؛ بحيث يصير من الممكن التلاعب بتلك الشخصية للوصول بها لأن تصير أداة طيعة في يد المهيج أو مثير الفتن والقلاقل[٢].

التحويل العقيدي:

صورة من صور غسيل المخ، ولكنها تتجه إلى المجتمع الداخلي بقصد خلق الأصدقاء المتعصبين. بعبارة أخرى: هي دعوة عقائدية، ولكنها لا تقتصر على الإقناع، إنما تسعى إلى خلق القوى العنيفة في تعصبها، المبالغة في

---

(١) حامد الربيع ـ نظرية الرأي العام ـ علم النفس العسكري، ص١٢٥.

(٢) صلاح نصر ـ الحرب النفسية، ص٣٠، ج١، القاهرة ١٩٦٧.

التزامها، الرافضة لأي مواقف لا تتضمن الصلابة المطلقة[1].

من خلال ما تقدم من مفاهيم الحرب النفسية يمكن استنتاج ما يلي:

١ ـ إن الحرب تعني: الصراع باستخدام العنف والصدام المسلح، بينما هنالك طـرق أخرى قادرة على تحـقيق أهـداف الحرب دون اللجـوء إلى هـذا الأسلوب.

٢ ـ استخدام معطيات علم النفـس في غزو الشخصيـة المقابلـة، وانتزاع النصر منها.

٣ ـ الحرب النفسية تبدأ قبل الصراع المسلح، وفي أثنائه، وتستمر بعد انتهاء الصراع.

٤ ـ الحرب النفسية مكملة لوسائل أخرى سياسية واقتصادية وعسكرية، وغير ذلك.

٥ ـ الحرب النفسية تستفيد من معطيات العلوم الأخرى، إضافة لمعطيات علم النفس.

أهداف الحرب النفسية:

١ ـ التأثير على الروح المعنوية لأية جماعة، وتفتيتها من خلال التوجه إلى ميدان الحرب النفسية، وهو الشخصية.

٢ ـ تحطيم قوة العدو في وقت السلم والحرب من خلال استخدام الخطط والبرامج المنظمة.

٣ ـ اسـتخدام أي أسلوب من أسـاليب الحرب النفسيـة كلاً أو جزءاً. . سياسيـة

(١) حامد ربيع ـ نظرية الرأي العام ـ محاضرات كلية الاقتصاد، ص١٢١ وما بعدها، بغداد ١٩٧٣.

عسكرية اقتصادية... إلخ، والتي من شأنها أن تجبر العدو على الاستسلام.

٤ ـ التأثير في مشاعر وأفكار الآخرين، ومحاولة تغيير سلوكهم تجاه موقف أو مواقف معينة.

٥ ـ العمل على زيادة شقة الخلاف بين العدو وحلفائه في الداخل والخارج.

٦ ـ إجبار العدو على تغيير برامجه وخططه الوقتية والدائمية.

٧ ـ تشجيع ودفع أفراد العدو على الاستسلام من خلال استخدام الأساليب المختلفة؛ مثل: النشرات، ومكبرات الصوت، وغيرها، وبخاصة في وقت الحرب إذاً فإن الهدف الأساسي من الحرب النفسية هو محاولة تغيير سلوك أفراد العدو. والميدان الرئيسي للحرب النفسية هو الشخصية.

وعلى العموم، فإن الحرب النفسية هي حرب باردة، وهي حرب أفكار تهدف للحصول على عقول الرجال وإذلال إرادتهم. هي حرب أيديولوجية عقائدية، والحرب النفسية هي حرب أعصاب، هي حرب سياسية، حرب إرهابية، هي حرب كلمات وإشاعات، هي حرب تزلزل العقول، وتغير السلوك، فالحرب إذاً حرب سلاح، وحرب بدون سلاح.

والرسول ﷺ يقول: «جاهدوا الكفار بأنفسكم وسيوفكم وألسنتكم»[١].

إذاً، فالحرب النفسية هي استخدام علم النفس بصفة عامة، وعلم النفس العسكري بصفة خاصة لإحراز النصر، وتعتبر الحرب النفسية أضمن سلاح تستخدمه الدول في الحروب الحديثة، لأنها تقوم بالدور الفعال في قتل إرادة العدو ومعنوياته.

---

(١) أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني ـ مسند أحمد، حديث نبوي (١٢٠٩٧).

الأسس العلمية للحرب النفسية:

اعتمدت الحرب النفسية قديماً على الخبرة والتجربة البشرية. فحكمة ودهاء الحكام ورجال الحرب كانت هي الأساس في فهم النفس البشرية، ومواطن ضعفها وقوتها، وكثيراً ما كانت تلك التجارب والاستنتاجات صائبة وسديدة، فالإنسان يدرس الظواهر المختلفة، ويستنتج منها ما يريد حسب اجتهاده، وقبل أن ينتظر علماً جاهزاً، أو أسلوباً خاصاً في البحث، أو آلة معينة. وعندما تبلور علم النفس الحديث، وانسلخ عن الفلسفة، أصبح هو المرجع للكشف عن جوانب النفس البشرية، وكيفية التأثير فيها، واستفاد رجال الحرب النفسية من جميع مدارس علم النفس الشهيرة.

وبهذا اكتسبت الحرب النفسية الحديثة الصيغ والمنهج العلمي، وامتدت إلى علوم الاجتماع والأجناس البشرية، والطب والعلوم الصرفة؛ من كيمياء وفيزياء لتستفيد منها جميعاً. ومن يروم التأثير في الإنسان وجماعته لابد أن يستكشف كل مجالاته العاطفية والفكرية، ويسبر أغواره في الشعور واللاشعور. ويتطلب ذلك جميع المعلومات عنه في العلوم أعلاه، وعلى رأسها علم النفس[1].

وتتبع الحرب النفسية الأساليب العملية التالية للتأثير، وتغيير الاتجاهات[2]:

١ ـ تحشيد وتوجيه الحقد المباشر إلى الجهة الثانية لتثبيط معنوياتها؛ بحيث لا تبقى آثار عطف ومحبة، ويصبح الكره منفذاً للقسوة والاعتداء...

---

(١) د. فخري الدباغ ـ الحرب النفسية، ص١٦، الموسوعة الصغيرة (٣٨).

(٢) فخري الدباغ ـ الحرب النفسية، ص(١٧).

وللاعتداء مبرراته في الحروب، ولذلك تختفي مشاعر الألم وتأنيب الضمير.

٢ ـ استغلال وتأجيج وتأكيد الفكرة السائدة عن الأشخاص أو الشعوب. فالدعاية المضللة تضخم هذه الانطباعات، وتبرزها، فمن يريد محاربة قضية الزنوج يلجأ إلى إبراز معايبهم المتداولة حسب الروايات، ومن يريد محاربة الاشتراكية يفتش عن النواحي التي يخشاها منها، أو التي يتصور أنها ستنجم عنها، ويبتكر لها المساوئ والسلبيات، أو يضخم بعضاً منها إن وجدت فعلاً.

٣ ـ الانتخاب؛ أي: اختيار حقيقة واحدة من بين مجموعة منها ومن غيرها؛ بحيث تلائم أغراضه، ويبني عليها أكاذيبه ودعايته. وفن الانتخاب يعني: الاستناد إلى الأسس والمؤشرات العلمية والاجتماعية والسياسية والثقافية لذلك البلد أو الشعب.

٤ ـ الكذب. وهو أضعف الوسائل؛ لأن الكذب الصرف لا ينفع، وهو قصير العمر. لكن الاستناد على أجزاء من الحقائق، وشذرات من الوقائع الفعلية وعلى المنطق هو أضمن. فالمبدأ القائل: (اكذب ثم اكذب حتى يصدقك الناس). وقد تبين أن الكذب المستمر لا يجدي فتيلاً مع جماهير القرن الواحد والعشرين الواعية، والتي تراقب الأحداث، وتنتظر النتائج.

٥ ـ التكرار والإعادة بصور وأساليب مختلفة تؤدي إلى المعنى نفسه؛ لأن التكرار الموقوت والمدروس يؤدي إلى ترسيخ المعلومات المطلوبة، وتعزيزها ضد النسيان والإهمال، والإعادة هنا متلونة فنية، ومختلفة المظهر والصياغة عن سابقتها.

٦ ـ التأكيد والمجاهرة بصحة الادعاء دون فسح المجال للتشكيك أو الطعن أو التردد. إذ أن القارئ أو السامع أو المشاهد اللبيب يلمس تردد أو ادعاء صاحب الدعاية من نبراته، أو أسلوب عرضه أو حركاته.

٧ ـ الإشارة إلى (عدو ما) سواء كان عدواً وهمياً أو حقيقياً لتقوية معنويات الناس، وتجميع عواطفهم العدائية نحو هدف آخر واحد بعيد عن صاحب الدعاية؛ لكي تتحول أية غرائز عدائية عنده إلى الجهة الأخرى، ويغدو مؤهلاً لتقبل المزيد من الإيحاءات والإيعازات بهذا الاتجاه. فالميول العدائية لدى الإنسان لا تحتاج إلى هدف تنصب عليه، والحرب النفسية تمهد لهذا الهدف بطرقها الخفية.

٨ ـ الاستعانة والاستشهاد بمصادر القوة والثقة في تأكيد الادعاء؛ كأن يقول مثلاً: (ذكر شاهد عيان...)، أو (ذكر الأسرى...)، أو (أكدت مجموعة من الأطباء المختصين)؛ لأن ذلك يوحي بالثقة والاطمئنان.

٩ ـ بث الإشاعات التي تولد الحيرة والقلق والهواجس والمخاوف. وهي بداية زعزعة الجبهة الداخلية.

١٠ ـ اكتساب صداقة المحايدين، أو محاولة زجهم في التيار نفسه معهم، وهنا تتجلى أهداف الحرب النفسية، فهي متعددة الوجوه، وتستخدم مع الأعداء والأصدقاء والمحايدين. وتستعمل مع شعوب أخرى، أو مع مواطني البلد نفسه.

١١ ـ استخدام سلاح الغرائز الجنسية لاجتذاب الآخرين إلى الدعاية المقصودة، فضلاً عن مصادر المتع واللذائذ الأخرى.

١٢ ـ التضليل والتمويه قبل الشروع بحركة عسكرية أو سياسية، وذلك بإذاعة أخبار معاكسة تماماً، أو مهدئة، أو ملهية عن النوايا المبيتة.

١٣ ـ محاولة بث الشك، وسحب الثقة من نفسية المواطن تجاه جذوره التاريخية وتراثه وأمجاد أمته وأصالة قوميته، وبذلك يضمن العدو ضعف وتخاذل مقاومته، وللتمادي في زعزعة انتماء الإنسان إلى أرضه وموطنه، ودفعه إلى قطع أواصره، واللجوء إلى الهجرة والخلاص.

لجأ الصهاينة دائماً إلى طرد العرب القاطنين في فلسطين العربية، وإلى السجن دون محاكمة، وبتُهم واهية، وبإجراءات فجائية محيرة؛ كفرض منع التجول، ونسف المباني بحجج واهية؛ مما يربك العربي، ويوصله إلى حدود الوهن والقلق والاستعداد للهجرة[١].

إن السلاح الوحيد الأساسي في أسلحة الحرب النفسية هو الذي يوجه إلى النفس البشرية، فالحرب النفسية هدفها الأول والأخير هي النفس؛ لذا يجب التوجه إلى تدمير هذه القوة. وذلك من خلال هذه الأدوات التي يتعامل بها الإنسان، وهي الكلمات والأفكار والشائعات والدعايات، وهذه توجه إلى الأفراد والجماعات؛ كأن تكون مدنية أو عسكرية.

وهناك سلاح خطير من أسلحة الحرب النفسية، ألا وهو سلاح الرعب الشامل، وهدفه تدمير الروح المعنوية للعدو؛ فقد قال الرسول ﷺ: «نصرت بالرعب»[٢].

---

(١) كامل علوان الزبيدي ـ علم النفس العسكري، ص٧٥، الطبعة الأولى ١٩٨٨.

(٢) النووي ـ الإمام أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي ـ شرح النووي على صحيح مسلم، الحديث (٨١٤).

وفيما يلي بعض من أسلحة الحرب النفسية:

حرب الإشاعات:

قبل التطرق إلى هذا السلاح من أسلحة الحرب النفسية لابد من ذكر كلام الصهيوني مناحيم بيغن: (يجب أن نعمل، ولنعمل بسرعة قبل أن يستفيق العرب من سباتهم، فيطلعوا على وسائلنا الدعائية، فإذا استفاقوا، ووقعت في أيديهم تلك الوسائل، وعرفوا دعاماتها وأسسها، فعندئذ لن تفيدنا مساعدات أمريكا، وتأييد بريطانيا، وصداقة ألمانية، عندها فقط سنقف أمام العرب وجهاً لوجه مجردين من أفضل أسلحتنا، ولا نعلم لمن تكون الغلبة).

من هنا يمكن أن نربط بين وجهتي النظر للكيان الصهيوني، والعدو الفارسي، الذي بدأت تكشف الحقائق يوماً بعد يوم عن طبيعته العدائية للعراق وللأمة العربية[1].

تعد الشائعات من أسلحة الحرب النفسية الخطرة التي تستخدم في أوقات الحرب والسلم على حد سواء، كما أنها تستخدم أسلوب التخفي والتنكر، وهي سلاح قديم قدم الإنسان. وإن أهم ما في هذا السلاح هو خطورة الأفراد الذين يستخدمون الشائعات. فهم مواطنون صالحون، ولكن الشائعات أخذت طريقها إلى عقولهم، فانساقت إليها بحيث أصبحوا أدوات يرددونها دون أن يدركوا الهدف من ورائها[2].

---

(١) كامل علوان الزبيدي ـ علم النفس العسكري، ص٨٢، الدار العربية للموسوعات، ١٩٨٨.

(٢) د. فخري الدباغ ـ الحرب النفسية ـ، ص٢٣، الموسوعة الصغيرة ٣٨، بغداد ١٩٧٩.

تعريف الشائعات:

هنالك عدد من التعاريف للشائعات، ولكن سنقتصر على ذكر بعض من هذه التعاريف:

تعريف للشائعة: بأنها القصص، أو الأخبار غير المؤيدة التي تتداولها الألسن بصورة فطرية، وهي غالباً ما تجد أذناً صاغية، وميلاً قوياً لتقبلها كحقيقة واقعة. أما تأثيرها على نفوس المستمعين، وقبولهم إياها، فعلى مقدار وعيهم، ودرجة استعدادهم النفسي، وهي عادة تسري في جسد الشعب الضعيف الأعصاب كسريان النار في الهشيم.

ويمكن أن نعرف الشائعة: بأنها خبر أو قصة أو رواية، أو نكتة أو أغنية، أو رسم كاريكاتيري تتناقلها الأفواه دون أن يكون هنالك ربط لمصدرها، أو معرفة هذا المصدر[1]. تشبه الشائعات بأنها كالهواء إلى حد كبير؛ فالهواء لا نراه، ولكن نشعر به، وهي تشبه موج البحر الذي يعلو فجأة على سطحه، ثم يغطس ثانية إلى قاعه، ثم يعاود الظهور إذا ما تهيأت له الظروف المناسبة[2].

ومن خلال استعراض هذه التعاريف يمكن أن نستنتج ما يلي:

١ ـ هي عبارة عن خبر أو قصة بأشكال مختلفة.

٢ ـ تتبع الأسلوب الشفهي.

٣ ـ قابلة للتصديق.

٤ ـ مصدرها غير معروف وغير واضح.

---

(١) كامل علوان الزبيدي ـ دور الفتوى في مواجهة الشائعات ـ محاضرات الاتحاد العام لشباب العراق، بغداد ١٩٨١.

(٢) صلاح نصر ـ الحرب النفسية ـ، ص٣٠٤، القاهرة ١٩٦٩.

أهداف الشائعات:

١ ـ تهدف الشائعات إلى محاولة تغيير القوة المعنوية وتفتيتها من خلال استخدام الحملات النفسية، والتشكيك، وبث الشقاق والعداء والرعب في النفوس.

٢ ـ تستخدم التغطية كعملية ستار لإخفاء حقيقة معينة، وللتقليل من مصادر الأنباء.

٣ ـ تحطيم معنويات الجبهتين الداخلية والخارجية من خلال بث الشائعات المختلفة.

كيف تبث الشائعة؟:

الإشاعة ركن أساس في الحرب النفسية، فهي الوسيلة الفعالة لإحداث البلبلة في الحرب والسلم، والبلبلة مفتاح لتغيير الاتجاهات، وزعزعة أسس الحكم، وهو الإيمان بالوطن ووحدته والصمود. وترويج الإشاعة وحبكها وتوقيتها يحتاج إلى دقة في الصنع والصياغة؛ بحيث تصبح مستساغة معقولة، قابلة للبلع فالهضم فالانتشار، وحسب النسق الآتي:

١ ـ من أصول بث الإشاعة الناجحة: أن تكون بشكل خبر، أو رواية مختصرة، ونفاذة، وملائمة لاحتلال جزء من تفكير المواطن العادي؛ لتتمكن بعدئذ من تحوير فكره واتجاهه.

٢ ـ يجب بث الإشاعة في ظرف من الغموض والالتباس؛ لتجد لها مرتعاً خصباً، ومستقراً مضموناً. فالغموض يولد الشك، والإشاعة تنمو في الشك، وتؤثر في الرأي العام.

٣ ـ يستحسن أن يكون الناس في حالة من التوجس والخوف من حدوث شيء ما، فإذا ما ظهرت الإشاعة، تبلورت حولها الهواجس، وتحول التوجس إلى خوف حقيقي، وهذا هو المقصود من الحرب النفسية[1]. وأسلوب التهديد واستعراض العضلات يدخل تحت هذا النوع من الشائعات.

٤ ـ يجب أن تكون الإشاعة في صالح جماعة أو مذهب أو طائفة، وضد عصبة وجماعة أخرى، وحسب تخطيط وأهداف الحرب النفسية؛ لتشعل نار الكراهية والعداء والعنف والتوتر.

٥ ـ يجب أن تعبر الإشاعة عن القلق الدقيق، أو النقد الحبيس، فتأتي الإشاعة، فيكون تداولها منفذاً للتنفيس عن الحالة النفسية الداخلية.

الدعاية:

يمكن تعريف الدعاية: بأنها (ترويج معلومات وآراء منتخبة وفق تخطيط معين؛ بقصد التأثير على عقول ومشاعر وأعمال مجموعة معينة من البشر؛ لغرض معين، قد يكون عسكرياً أو سياسياً أو اقتصاديا)[2].

والدعاية لها أثرها على المدنيين والعسكريين على السواء، وتبنى الدعاية على أساس علم النفس، وعلم النفس الاجتماعي، وعلم الاجتماع.

وتعرف أيضاً: بأنها (الأسلوب المخطط لنشر فكرة أو عقيدة أو خبر، ومعناها الحديث: هو نشر وبث الأخبار والمعلومات، والدعاية ترتبط بمفهوم بث المعلومات لغاية تهم مصدر الدعاية؛ أي: قد تكون سيئة المقاصد

---

(١) فخري الدباغ ـ الحرب النفسية، ص٢٣ ـ الموسوعة الصغيرة ٣٨، بغداد ١٩٧٩.

(٢) المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ الحرب النفسية، ص١٣.

والأغراض، ولخدمة مصلحة معينة).

إذاً فإن الدعاية هي نشر معلومات مختلفة، قد تكون حقائق، أو أنصاف حقائق، أو أكاذيب وفق اتجاه معين من جانب فرد أو جماعة في محاولة منظمة للتأثير على الرأي العام، وتغيير اتجاه الأفراد والجماعات؛ باستخدام وسائل الإعلام المختلفة، والاتصال بالجماهير. لذا فإن علم النفس الاجتماعي يرى في الدعاية محاولة للتأثير في اتجاهات الأفراد وآرائهم وأنماط سلوكهم؛ كأن يكون ذلك في الجانب العسكري والمدني[1]. لذا، فإن الهدف الأساسي من الدعاية هو قيادة الأفراد والجماعات لاعتناق فكرة ما، أو القيام بعمل ما.

أهداف الدعاية:

١ ـ المحافظة على الروح المعنوية للجيش والشعب، وتوجيه أفكارهم لتقبل الحرب، وما قد ينتج عنها، والفترة التي تمتد إليها.

٢ ـ كسب التأييد في الرأي العام.

٣ ـ إحداث الفرقة بين صفوف العدو، وإضعاف قدرته القتالية، والتشكيك في قدرتـه على تحقيق النصر.

٤ ـ كسب العدو فكرياً، وتقديـم المكاسب لأهالـي الأراضي المسيطر عليها، وإظهار أن قضية العدو خاسرة، وأنه لا جدوى من إطالة الحرب.

المبادئ الأساسية لاستخدام الدعاية:

١ ـ الدعاية عندما تستخدم هجومية اعتدائيـة يجب أن يكون هدفها

---

(١) كامل علوان الزبيدي ـ مستقبل الباراسايكولوجي في الميدان العسكري، ص٧٨، بغداد ١٩٨٨.

الاشخاص، لا الموضوعات، لذا فإن المبدأ هذا يعتبر مقبولاً في ميدان الدعاية.

٢ ـ يجب أن تخفى الدعاية، وتموه؛ حتى لا تبدو واضحة ظاهرة على أنها دعاية، وإلا تعرضت للفشل.

٣ ـ يجب أن تستند الدعاية إلى المعلومات ذات القيمة، وإلى المعرفة الدقيقة بمجريات الأمور، ويجب أن تتفق تماماً مع الاتجاهات السياسية والثقافية والعسكرية والاقتصادية للدولة وللسكان الذين توجه إليهم.

٤ ـ يجب أن لا تخلق الدعاية موضوعات جديدة، بل يجب أن تعنى بدلاً من هذا بالموضوعات القائمة فقط، وأن تعالجها بصورة ما.

٥ ـ يجب أن لا تكون للدعاية صيغة جامدة تجعلها عاجزة عن ملاحقة التطورات اليومية، بل إن تجدد تفسيرها للموضوعات بما يتماشى مع التطورات اليومية التي تحدث فيه.

٦ ـ يجب أن تستخدم الدعاية كل التسهيلات الممكنة المستطاعة، وبخاصة مواطني الدولة التي توجه إليها الدعاية، والسعي لاكتسابهم للاشتراك فيها[١].

أنواع الدعاية:

هناك عدة وجهات نظر حول تصنيف الدعاية نأخذ منها ما يلي:

١ ـ **الدعاية البيضاء**: هي الدعاية المكشوفة غير المستورة، وهي عبارة عن النشاط العلني من أجل هدف معين؛ كما يكون ذلك في الإذاعة والصحف.

---

(١) كامل علوان الزبيدي ـ علم النفس العسكري ـ ص٢٣٤ ـ بيت الحكمة ـ بغداد ١٩٨٩ .

٢ ـ **الدعاية السوداء**: هي الدعاية المستورة. وتقوم عادة على نشاط المخابرات السرية، ولا تكشف الدعاية السوداء عن مصادرها الحقيقية. ولكنها تنمو وتتوالد بطرق سرية. وذلك في داخل مناطق العدو، أو على مقربة منها، ومن وسائلها: النشرات، والمطبوعات السرية، وتزييف أغلفة الصحف.

٣ ـ **الدعاية الرمادية**: هي الدعاية التي لا تخشى من أن يقف الناس على مصادرها الحقيقية، ولكنها تختفي وراء هدف من الأهداف؛ أي: أن الدعاية التي تأتي عن هذا الطريق دعاية غير مباشرة. والدعاية غير المباشرة أقوى تأثيراً بدون شك من الدعاية المباشرة[١].

غسل الدماغ:

كل وسيلة تقنية مخططة ترمي إلى: تحوير الفكر، أو السلوك البشري ضد رغبة الإنسان، أو إرادته، أو سابق ثقافته وتعليمه[٢].

ويمكن القول: إن أبسط مفهوم لهذا الموضوع هو: محاولة تغيير الاتجاهات بشكل أو آخر. وإن عملية غسل الدماغ ليست وليدة اليوم، ولكن تسميتها قد تكون حديثة. ويمكن القول: إن الإنسان منذ أن وجد مع غيره من البشر أدرك بأن هنالك وسائل ناجحة وأخرى فاشلة تؤثر في عقول الآخرين. إن التأثير في عقول الآخرين موجود منذ القدم.

فالصينيون والرومان والعرب استخدموا أساليب نفسية مختلفة للتأثير على عقول الآخرين. والواقع أن الأسس النفسية والفسلجية التي تستند عليها عملية

---

(١) عبد اللطيف حمزة ـ الإعلام والدعاية، ص١٦٨، بغداد ١٩٦٨.

(٢) د. فخري الدباغ ـ غسل الدماغ ـ ص١٢ ـ المؤسسة اللبنانية للنشر ١٩٧٠.

غسل الدماغ تكاد تكون واحدة عند جميع الجهات التي تمارس العملية، سواء كانت تلك الجهات دينية، أو سياسية. وبالرغم من الاختلاف الأيديولوجي بين الأحزاب والحركات إلا أن الهدف الجوهري لها واحد، وهو الوصول بأتباعها إلى حالة الانسلاخ العام عن ذواتهم، وإحلال وحشو أفكار ومعتقدات تلك الجهة في أدمغة أتباعهم، وبهذا تتم عملية تحوير الأفكار والاتجاهات، ويكون الفرد في هذه الحالة مهيأ لاعتناق الأفكار الجديدة، وذلك بعد تعرض دماغه إلى اضطراب وانفعال وتوتر؛ بحيث يغدو من السهولة زعزعة أفكاره واتجاهاته السابقة، وإحلال أخرى محلها[١].

هنالك تعاريف مختلفة ومتعددة لغسيل الدماغ نأخذ منها التعريفين التاليين:

إنها عملية تطويع المخ. عملية تغيير الاتجاهات النفسية؛ بحيث يتم هذا التغيير بطريقة التفجير. وهو محاولة توجيه الفكر الإنساني أو العمل الإنساني ضد رغبة الفرد، أو ضد إرادته، أو ضد ما يتعلق بأفكاره ومعتقداته.

أما التعريف الثاني، فهي عملية تغيير الاتجاهات النفسية للفرد أو الجماعة من خلال إعادة تشكيل التفكير بصورة أخرى[٢].

من هذا نستنتج أن موضوع غسل الدماغ برغم ما قيل وما كتب عنه، فهو يستخدم مع:

١ ـ حملات التبشير المختلفة.

---

(١) خيري صالح داود ـ غسل الدماغ ـ ص٦٨ ـ سلسلة الحرب النفسية ٢، منشورات وزارة الثقافة والفنون ـ بغداد.

(٢) د. فخري الدباغ ـ غسل الدماغ ـ ص١٢ ـ المؤسسة اللبنانية للنشر ـ بيروت ١٩٧٠م.

٢ ـ دعوات الشعراء والفلاسفة.

٣ ـ أسرى الحرب.

٤ ـ الجواسيس.

ويبقى للفرد الذي يخضع لهذه التجربة قوة تكوينه الشخصي. فالعقل البشري ليس لقمة سهلة؛ فقد يقاوم، وقد يتردد، وقد يناور، وقد يكون هنالك تخطيط لمواجهة مثل هذه الحالات، إلا أن بعض الأفراد الذين يتعرضون لعملية غسل الدماغ قد يخرجون منها في حالة من القلق والخوف، والاكتئاب الحاد، والشرود الذهني، ومنهم من يرجع إلى حالته الطبيعية بعد فترة زمنية، وبحسب طبيعة التعرض التي يتعرض لها.

وفي القرآن الكريم في سورة العنكبوت: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾[العنكبوت: ٦٥]، فمحيط البحر وهوله وفزعه جعلهم مؤمنين بعظمة الله وقدرته، ولما رجعوا إلى البر، وتغير المحيط، تغيروا وأشركوا.

الروح المعنوية (المعنويات):

تعد الروح المعنوية شيئاً خفياً وغير منظور، لذا فهي وسيلة من وسائل الصراع المسلح غير المادية، ويصعب قياسها، إلا أنه يمكن قياس نتائجها، وذلك من خلال ثبات المقاتلين، وإدامة الرغبة في القتال والانتصار. وبرغم كل الأهمية التي اكتسبتها المعنويات في القتال، إلا أنه يصعب قياسها وتقويمها لأسباب مهمة، منها: الظروف المتغيرة، وصعوبة الاعتراف بالمعاناة النفسية، والذاتية في التقويم، وسرعة تغير المعنويات[1]. وتعد

(١) محمد فتحي أمين ـ الفريق الركن ـ الحرب والمعنويات، ص١٠٦ ـ ١٩٨٩.

الحرب النفسية أهم أسلحة الحرب التي توجه ضد الفكر والعقيدة، والشجاعة والثقة، وضد الرغبة في القتال.

وهي حرب دفاعية وهجومية؛ لأنها تحاول بناء معنويات الشعب والمقاتلين، وبالمقابل تحطم معنويات العدو. والحرب النفسية جزء من الحرب الشاملة تشن قبل الحرب، وفي خلالها، وفي أعقابها.

تعريف الروح المعنوية:

هنالك عدة تعاريف للروح المعنوية، ويمكن أن نجمل تعريفاً واضحاً للروح المعنوية: إنها حالة نفسية، واستعداد وجداني، ودرجة من الثبات والاتزان مصحوب بشعور انفعالي يسود الفرد أو الجماعة للقيام بمهمة أو مهمات يعجز عنها الآخرون[1].

العوامل المؤثرة على الروح المعنوية:

هنالك عوامل عديدة تؤثر على الروح المعنوية، وتكون هذه العوامل متداخلة ومتفاعلة لا حدود فاصلة بينها. وتؤدي إلى تحويل الوحدة العسكرية إلى فريق متآلف ومتجانس يعمل بطريقة طوعية اتجاه الأهداف المرسومة له.
إن أهم تلك العوامل التي تؤثر على الروح المعنوية هي:

١ ـ العوامل غير المادية (الفكرية أو النفسية).

٢ ـ العوامل المادية.

يعد الفكر أثمن مواهب الإنسان، وأعظمها أثراً في تطوره، وهو نتاج العقل، ولقد كانت حرية الفكر ولا تزال من حقوق الإنسان الأساسية. ومن

---

(١) كامل علوان أحمد ـ الروح المعنوية للمقاتل العراقي، ص٨١، كلية الأمن القومي ١٩٨١، بغداد.

المعلوم أن هذه الحرية مستمدة من واجب التبصر والتفكير الذي هو من صلب كرامة الإنسان.

ومعنى حرية الفكر: حق المرء في التفكير دون قيد ولا شرط، وحق اتباع ما يمليه عليه عقله وضميره من سلوك وعقائد[1].

عوامل إضعاف الروح المعنوية:

إن العوامل التي تؤدي إلى إضعاف الروح المعنوية هي[2]:

أ ـ الحالات النفسية، ومنها:

أولاً ـ الإحساس بالذنب الناشئ عن القتل؛ فإن اضطرار المقاتل إلى القتل يؤدي إلى شعور البعض منهم بالذنب، ويؤدي هذا بالتالي إلى ضعف الروح المعنوية.

ثانياً ـ المحددات العسكرية: إن القيود والظروف العسكرية العديدة تفرض على المقاتل المجند حديثاً نوعاً من الإجهاد البدني، والحرمان الجنسي، والافتراق عن العائلة، وهذه تولد ضغطاً نفسياً، وبالتالي: إضعاف الروح المعنوية.

ثالثاً ـ الإجهاد البدني: إن الحرمان من بعض القضايا الإدارية، والافتقار إلى الراحة، وقلة النوم تؤدي أحياناً إلى إضعاف الروح المعنوية.

رابعاً ـ الخوف من المجهول: الخوف شر لابد منه؛ لأن له جذوراً نفسية. إن

---

(١) مديرية التطوير القتالي ـ الصمود في الدفاع (سلسلة البحوث العسكرية ١٧ لسنة ١٩٨٢، وزارة الدفاع، بغداد).

(٢) موركوربول ـ علم النفس العسكري ترجمة وتعليق: محمد مصطفى، ص١١٧ ـ لسنة ١٩٧٦.

زيادة درجة الخوف تؤدي إلى ضعف إرادة القتال وخفض المعنوية.

ب ـ **حجم الخسائر**: إن زيادة نسبة الخسائر هي سبب لانخفاض الروح المعنوية.

ج ـ **القيادة**: إن القيادة الرديئة المتصفة بالارتباك والتوجس تؤدي إلى إضعاف الروح المعنوية للمقاتلين.

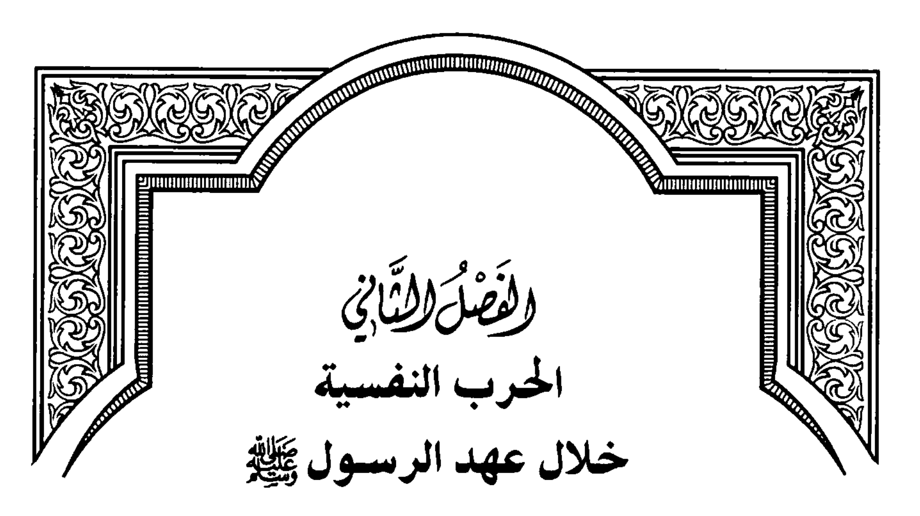
د ـ **الموقف التعبوي**: هناك بعض المواقف التعبوية تضعف الروح المعنوية؛ مثل: الدفاع المستكن، وفترات الاستقرار الثابتة لمدة طويلة دون معرفة الوحدات الغرض من هذه الحالة.

هـ ـ **عدم وضوح الهدف**: خاصة إذا كان الجندي لا يعرف لماذا يحارب.

و ـ **القضايا الإدارية المتعلقة بالماء والأرزاق والسلاح والعتاد.**

إن عوامل رفع الروح المعنوية هي بمعالجة ما جاء في النقاط والحالات آنفاً دون سرد تفاصيل في هذا الجانب؛ حيث إن معالجة عوامل الضعف وتجاوزها يعني رفع الروح المعنوية.





الفصل الثاني
الحرب النفسية
خلال عهد الرسول ﷺ

تحتل الحرب النفسية مكاناً مهماً بين الأسلحة التي تستخدمها الدول والجماعات في معاركها وتوجهاتها الفكرية، وتمتاز بأنها تستخدم في الحرب والسلم؛ أي: إنها سلاح ذو حدين.

إن عودةً إلى التاريخ تؤكد لنا مقدار ما بذله المشركون في زمن الرسول ﷺ من جهود لاختراق جدار الجماعة الإسلامية، والتغلغل فيها، وكسب بعض الوقائع والأحداث لتمرير وسائل حربهم النفسية؛ اعتقاداً منهم بإمكانية النيل من المؤمنين، أو إطفاء نور الرسالة المحمدية، وزعزعة النفوس عن الإيمان، وعن الحق والخير، والانحياز إلى صف الباطل.

غير أن جهود الرسول العظيم ﷺ، وقوة عزيمته، وسعة إدراكه، وعمق إيمانه، وصلابة البناء الذي أرساه في نفوس أصحابه قد فوت على المشركين فرصة المضي في أهدافهم وحربهم النفسية.

وبمقدار ما كانت عناصر الحرب النفسية التي استخدمها الكفار والمشركون متعددة وشاملة، فإن عوامل التصدي لها والتأثير النفسي باتجاه مقاومتها من قبل الرسول ﷺ كانت أدق وأعظم حتى يمكننا أن نعدها واحدة من أبرز السوقيات التي وضعها القادة العظام في التاريخ لإنجاح دعواتهم، والنهوض بأممهم، مقارعة أعدائهم.

فقد استخدم الرسول ﷺ وسائل عديدة ومهمة في مقاومة الحرب النفسية تدخل تحت باب (الوقاية من الحرب النفسية)؛ كقوة العقيدة وصفاء الإيمان، وقوة الترابط الاجتماعي، والألفة، وإشاعة قوة الاستعداد لدى الجماعة المؤمنة، فضلاً عن اليقظة والحذر من الأعداء، والتصرف بحكمة، وبمقتضى ما يتلاءم مع حالات الاستثناء والمعرفة الكافية بأساليب العدو ومكائده. كما استخدم الرسول ﷺ وسائل أخرى في الوقاية من الحرب النفسية، والتأثير في النفوس؛ مثل: مخاطبة العقول، والعمل على توجيهها وإقناعها، والترغيب والترهيب، مع فتح باب التوبة لكل من يعود إلى الصفوف والدعوة إلى الإسلام.

وأبدع الرسول ﷺ في استثمار وسيلة أخرى في التصدي للعدو، وهي إثارة الرعب والخوف في قلوب الكفار، والانتصار عليهم، وليس أدل على ذلك من قوله ﷺ: «انتصرت بالرعب»[1].

إلى جانب ذلك اهتم الرسول ﷺ بالجوانب الاعتبارية، أو ما يمكن أن يسمى الآن بالإعلام والدعاية؛ حيث شجع فنون الخطابة والشعر في إثارة الهمم والتذكير بالله، وباليوم الآخر، وفضيلة الاستشهاد، والاندفاع في سبيل الإسلام ومكارم الأخلاق، وهذه أسلحة معنوية تتناسب مع طبيعة المجتمع آنذاك، وحجم القدرات الاتصالية الممكنة.

أساليب المشركين في الحرب النفسية:

إن طريق الله هو طريق النجاة والهدى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ

---

(١) النووي ـ الإمام أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي ـ شرح النووي على صحيح مسلم، الحديث (٨١٤).

وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[المائدة: ١٥ ـ ١٦].

ولندرك عظمة تلك الأمانة، وضخامة الرسالة، فلابد من تذكرنا أن النبي ﷺ حينما دعا إلى دين الله ﷻ بدأ وحده يواجه الباطل المتعدد في صوره المتنوعة في أشكاله، وقد تبرأ من الباطل وأهل الباطل، ودعا إلى الحق والطريق المستقيم. ولكن أهل الباطل في اختلاف طرائقهم قد اتفقوا على شيء واحد، وهو حربهم ومعاداتهم لرسول الله ﷺ، ومعارضتهم لما يدعو إليه، وقد كثرت مظاهر كيدهم وحربهم؛ من حرب اقتصادية، وحرب عسكرية، وحرب نفسية... وحروبهم الثلاث تلتقي في هدف واحد هو: محاولتهم الهجوم على النفس، والسعي للتأثير عليها، حتى يتمكنوا من تحقيق أهدافهم في محاربتهم لرسول الله ﷺ.

لقد تنوعت طرقهم في مزاولة الحرب النفسية، ولكنهم باؤوا بالفشل، ورد الله كيدهم إلى نحورهم: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾[الطارق: ١٥ ـ ١٧].

ولقد تعددت أساليبهم في الحرب النفسية. من تلك الأساليب:

استعمال التشويش الضال، واللغو الباطل. إنهم لم يستطيعوا أن يقابلوا الحجة بالحجة، ولا أن يردوا على البرهان بالبرهان، وأي برهان للباطل؟!. والباطل لا سند له من عقل ولا من فكر، ولا دعامة له من منطق ولا فهم، ولا أثارة من علم. إنهم افتقروا في ترويج باطلهم إلى الدليل. ولما كان

الباطل ليس له دليل، فإنهم لجؤوا إلى بذيء القول، وفساد اللغو، والتهريج العابث المترجم عن إفلاس عقولهم من الفكر والدليل والتدبر: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦].

وقال الكفار بعضهم لبعض: لا تُصغوا لهذا القرآن، وأتوا باللغو الباطل عند تلاوته، فلا يستمع لتلاوته أحد، ولا ينتفع به؛ من أجل أن تغلبوا محمداً بذلك. لقد كان الكفار يوصي بعضهم بعضاً: إذا سمعتم القرآن من محمد وأصحابه، فارفعوا أصواتكم حتى تلبسوا عليهم قولهم، ﴿وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ﴾؛ أي: عارضوه باللغو، وهو الكلام الخالي من فائدة، وبالمُكاء والصفير، والتخليط من القول على رسول الله ﷺ إذا قرأ.

لقد كانوا يجمعون بين أصابع أيديهم، ثم يدخلونها في أفواههم، فتحدث صفيراً؛ ليحدثوا ضوضاء، ويثيروا الضجيج على الرسول ﷺ، وهو قائم يصلي ويقرأ. لقد كانوا في ضلال لغوهم وسوء تشويشهم يحرصون على أن يأتوا بما توهموا فيه أنه يمكن أن يكون بديلاً يغني الناس عن استماعهم للقرآن، ويصرفهم عن الرسول ﷺ.

من ذلك: أن النضر بن حارث بن علقمة كان إذا جلس رسول الله ﷺ[1] مجلساً، فدعا فيه إلى الله تعالى، وتلا فيه القرآن، وحذر فيه قريشاً ما أصاب الأمم الخالية، خلفه في مجلسه إذا قام، فحدثهم عن رستم السنديد، وعن إسفنديار وملوك فارس، ثم يقول: والله! ما محمد بأحسن حديثاً مني، وما حديثه إلا أساطير الأولين اكتتبها كما اكتتبتها، فأنزل الله فيه: ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى

---

(١) د. عبد العزيز الحميدي ـ التاريخ الإسلامي مواقف وعبر، ج١، ص١٢٣.

يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[الفرقان: ٥ ـ ٦]، ونزل فيه: ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[المطففين: ١٣]، ونزل فيه: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[لقمان: ٦ ـ ٧].

قال ابن السائب ومقاتل: نزلت في النضر بن الحارث، وذلك أنه كان تاجراً إلى بلاد فارس، يشتري أخبار الأعاجم، فيحدث بها قريشاً، فيقول لهم: إن محمداً يحدثكم بحديث عاد وثمود، وأنا أحدثكم بحديث رستم وإسفنديار، وأخبار الأكاسرة، فنزلت هذه الآية[1].

ولم يكتف العداء بالمجهودات الفردية الضالة في التشويش والتدجيل، وإنما أرادوها حرباً نفسية منظمة، وحملة مخططاً لها بأدمغة لم تعقل هدى، بأدمغة خالية من نور الحق، ممتلئة بظلام الباطل، فكانوا يعقدون الاجتماعات لتنظيم حملة جماعية للدعاية الباطلة؛ لينفثوا فيها سمومهم وسط التجمعات، ويتفقوا على خطة عمل للتهويش والتهريج، والزيف والزور والتضليل. لقد اجتمع نفر من قريش إلى الوليد بن المغيرة، وكان ذا سن منهم، وقد حضر الموسم، فقال لهم:

(يا معشر قريش! إنه قد حضر هذا الموسم، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأياً واحداً، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً، ويردوا قولكم بعضه بعضاً)[2].

---

(١) ابن هشام ـ السيرة النبوية، ج١، ص ٣٣٧.

(٢) ابن هشام ـ السيرة النبوية، ج١، ص٢٨١ إلى ٢٨٩.

قالوا: يا أبا عبد شمس! فقل وأقم لنا رأياً نقول فيه.

قال: بل أنتم قولوا فأسمع...

قالوا: نقول: كاهن...

قال: لا، والله! ما هو بكاهن، لقد رأينا الكاهن، فما هو بزمزمة الكاهن وسجعه...

قالوا: فنقول: مجنون...

قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو بوسوسته...

قالوا: فنقول: شاعر...

قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله؛ رجزه وهزجه وقريضه، ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بالشعر...

قالوا: فنقول: ساحر...

قال: فما هو بساحر، لقد رأينا السحرة وسحرهم، فما هو بنفثهم ولا عقدهم[1]...

قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟..

قال: والله! إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لعذق، وإن فرعه لجبات، وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل، وإن أقرب القول فيه أن تقولوا: ساحر جاء بقول هو سحر يفرق بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته.

فتفرقوا عنه بذلك، فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا

---

(١) البيهقي ـ دلائل النبوة، ج٢، ص٢٠٠.

للموسم[1]، لا يمر بهم أحد حتى حذروه، وذكروا لهم أمر الرسول ﷺ، فأنزل الله ـ سبحانه وتعالى ـ في الوليد بن المغيرة: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر: ١١ ـ ٣٠].

وأنزل الله تعالى في النَّضر والذين كانوا معه[2] يصنفون القول في رسول الله ﷺ وفيما جاء به من الله تعالى:

﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٨٩ ـ ٩٣].

مما قاله القشيري ﷺ في معنى تلك الآيات: (يقول: إني لكم نذير أخوفكم عقوبة المقتسمين الذين اقتسموا الجبال والطرق بمكة في الموسم، وصدوا الناس، وكان الواحد منهم يقول لمن يمر به: لا تؤمن بمحمد؛ فإنه ساحر، ويقول الآخر: إنه كاهن، ويقول الثالث: إنه مجنون، فهم بأقسامهم ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ [الحجر: ٩١])[3].

---

(١) ابن إسحق ـ السير والمغازي، ص١٥٠ ـ ١٥١.

(٢) ابن كثير عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ـ تفسير القرآن العظيم، ج٢، ص٦٨٩ ـ ٦٩٠.

(٣) القرطبي ـ تفسير القرطبي، ج٦، ص١٠٠ ـ ١٠٢.

وعلى الرغم من أن القوم كانوا يدركون خطأهم وباطلهم، فقد قال الوليد بن المغيرة لهم: (وما أنتم قائلين شيئاً إلا عرف أنه باطل)، إنهم على الرغم من ذلك انطلقوا في دعايتهم الكاذبة الزائفة. وتفرق النفر في قريش يشوهون الرسالة، وجعلوا يقولون لمن لقوا من الناس ما اتفقوا على أن يقولوه في التشويش على رسالة رسول الله ﷺ، ووقفوا يتعرضون للوفود يحذرونهم من أن يستمعوا لرسول الله ﷺ[1].

عرفت العرب في ذلك الموسم بأمر رسول الله ﷺ، فانتشر ذكره في بلاد العرب، وهكذا تبين أن حربهم النفسية وحملات دعايتهم الزائفة كانت التصدي لمن قدم عليهم يصدونهم عن دين الله، ويحذرونهم من الالتقاء برسول الله ﷺ، لقد كان كيدهم يرد إلى نحورهم والنتيجة، تأتي على غير ما كانوا يتوقعون من ذلك. وهناك الكثير من الأمثلة، ولا أريد الإسهاب في ذكرها.

ومن أساليب أعداء النبي ﷺ في الحرب النفسية: تستر الأعداء وراء الحرص على المصالح الدنيوية: ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[القصص: ٥٧].

ذكر مقاتل: أن الحارث بن عامر قال لرسول الله ﷺ: إنا لنعلم أن الذي تقوله حق، ولكن يمنعنا أن نتبع (الهدى) معك مخافة أن تتخطفنا العرب من أرضنا ـ يعنون: مكة ـ إن اتبعناك على دينك، خفنا العرب

---

(١) عبد الوهاب كحيل ـ الحرب النفسية ضد الإسلام في عهد الرسول ﷺ، ص١٠٣.

لمخالفتنا إياها (التخطف معناه: الانتزاع بسرعة). معنى الآية: قال مشركو مكة للرسول ﷺ معتذرين عن بقائهم على دينهم: إن اتبعناك على دينك، أخرجنا العرب من بلدنا، وغلبونا على سلطاننا. وهم كاذبون فيما يعتذرون به، فقد ثبت الله أقدامهم ببلدهم، وجعله حرماً يأمنون فيه ـ وهم كفرة ـ من الإغارة والقتل، وتحمل إليه الثمرات والخيرات المتنوعة الكثيرة رزقاً يسوقه الله إليهم من كل جهة، فكيف يستقيم أن يسلبهم الأمن، ويعرضهم للتخطف إذا ضموا إلى حرمة البيت الإيمان بمحمد ﷺ[1].

ولكن أكثرهم لا يعلمون الحق، ولو علموا، لما خافوا من التخطف. ثم خوفهم عذاب الأمم الخالية، وبين أن هؤلاء لم يعتبروا بمصائر الأمم السابقة، فقد أهلك الله ـ سبحانه عز وجل ـ قرى الذين اغتروا بنعمة الله، ثم كفروا بها وبالله، وهذه ديارهم خاوية لا تصلح للسكن بعدهم. قال تعالى:

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾[القصص: ٥٨].

إن هؤلاء من قادة الكفر الذين يتولون صد الناس عن الإيمان والعمل على تضليلهم بما يقولونه عليهم من حرب نفسية مضللة، إن هؤلاء سيتحملون نتائج أعمالهم، وسيأتي اليوم الذي يعلنون فيه ندمهم يوم يرون سوء مصيرهم، ولن ينفعهم الندم، ولن يخدمهم الكلام، فكم نطقوا بالزيف. لقد غلفوا حربهم النفسية بما كانوا فيه غير صادقين مع أنفسهم، (قالوا: إن نتبع الهدى معك. . .)، لقد قدموا لدعايتهم وحربهم النفسية بكلمة:

---

(١) ابن كثير ـ تفسير القرآن العظيم اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني، ج٣، ص١٩.

(إن نتبع الهدى)، فأظهروا اعترافهم بأن ما يدعَون إليه هو الهدى؛ كما أظهروا في دهاء أنهم حينما يعتنقون الهدى سيكونون مقرين بأنهم أتباع للهدى مع النبي ﷺ. فحقيقة أن ما يدعون إليه هو الهدى، ولكن هل كانوا في إظهارهم لهذا الشرط راضخين له، مستسلمين له، أم قالوه على سبيل الفرض، وعلى سبيل صناعة القول المزخرف، وكأنهم انتقلوا من قضية الأمر بالحق، إلى قضية زعمهم الدفاع عن مصالح الناس، وحرصهم على منفعتهم الدنيوية.

الحقيقة أنهم ما كانوا مذعنين للحق، ولا مستسلمين للهدى، فكيف ينتقلون من الشرط إلى الجواب، مع أنهم غير مذعنين لما يدعون إلى أن يتبعوه، ولكنها صنعة القول المزخرف بالباطل. إن حجتهم داحضة، وإذا كان منطق كفار مكة هو خوفهم أن يتخطفوا من الأرض، فإن هذا هو منطق من لا حجة له، وكلام من لا دليل له، إنهم في زعمهم الباطل[1] ما قصدوا إلا امتناعاً عن الحق، وصداً للناس عنه، وشن غارة نفسية على كل من تحدثه نفسه للاستماع لصوت الحق، مشوشين عليه بأمور مادية يخوفونه ضياعها، ولا صلة لهذا الموقف الضال بقضية الإيمان ومناقشة البرهان، ولكنه التمويه والتضليل، وهم بذلك لم يأتوا بجديد في أسلوب الصد والمعارضة فلمثل هذا سمع موسى ـ عليه السلام ـ من معارضة ومحادة كما يحكي القرآن الكريم:

﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴾[طه: ٥٧].

---

(١) ابن كثير ـ تفسير القرآن العظيم ـ اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني، ج٣، ص٢٠.

﴿قَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ﴾[طه: ٦٣].

﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾[الشعراء: ٣٤ ـ ٣٥].

ومن أساليب الحرب النفسية التي اتبعها المشركون: انتهاز الفرص للعمل على النيل من عواطف الناس، وجذب ثقتهم بإظهار الحرص على حياتهم الدنيوية، بمثل ذلك كان يعمل المنافقون على بث حربهم النفسية ضد أصحاب النبي ﷺ؛ ليمزقوا تآلفهم، ويفرقوا جمعهم، ويبدلوا حبهم إلى بغض، ولقاءهم إلى تباعد، ويقول الكفار والمنافقون للأنصار: إن المهاجرين زاحموكم المعيشة، وكاثروكم في الحياة، فامتنعوا عن الإنفاق عليهم، امتنعوا عن مواساتهم، امتنعوا عن هذا الترابط، وعن هذه الصور من الإيثار، والواقع أن مثل هذا الأسلوب من الحرب النفسية له خطورته لو وجد نفوساً ضعيفة، وآذاناً صاغية لهذه الحرب النفسية الخبيثة المسمومة، التي تغزو الفكر؛ لتفرق الموحد، وتشتت المجمع، لكن هذا الأسلوب من الحرب النفسية لم يجد إلا فضيحة وانكشافاً لخسته، فلقد قوبل بالوعي واليقظة والإيمان التي أبطلت زيفه بوقت مبكرٍ وأفشلته[١].

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾[المنافقون: ٧].

وإذا كان الكفار والمنافقون قد استعملوا في حربهم النفسية إظهار حرصهم الزائف على المصالح الدنيوية، وتخويف الناس من الإضرار بتلك

---

(١) ابن هشام ـ السيرة النبوية، ج١، ص٥٥٨ إلى ٥٥٩.

المصالح في اتباعهم لدين الله ﷻ فإن اليهود والنصارى قد استعملوا في حربهم النفسية هذا الأسلوب أيضاً، فقد حاولوا تخويف الأنصار من دخولهم الإسلام قائلين لهم: إن الإسلام يجر عليكم المتاعب ومعاداة الأمم.

لما صار أصحاب النبي ﷺ في المدينة، مشى اليهود إلى الأوس والخزرج، وقالوا لهم: لقد جلبتم على أنفسكم في اتباع هذا الرجل الضلال والبلاء العاجل بمعاداة الأمم، ولو كنتم يهوداً، لناظرناكم، وقد كان في الأوس والخزرج من قد تهود، وقالت النصارى لهم مثل ذلك، ورغبوهم بالنصرانية، وهددوهم بنصارى العرب، وبملوك الروم، وأكثروا في ذلك وهولوا، فقال الله ﷻ:

﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٥ ـ ١٣٧].

ومن أساليبهم في الحرب النفسية: الإغراء المادي، ومحاولة التغرير بالزخرف الزائف، والتلويح بالعرض الزائل؛ طمعاً في صرف الهمة عما تريد، وصدها عما تنادي به.

قال ابن إسحق: (حدثني ابن زياد عن محمد بن كعب القرظي. . .

قال: حدثت أن عتبة بن ربيعة ـ وكان سيداً ـ قال يوماً وهو جالس في نادي قريش: ألا أقوم إلى محمد، فأكلمه، وأعرض عليه أموراً؛ لعله يقبل

بعضها، فنعطيه أيها شاء، ويكف عنا، وذلك حين أسلم حمزة، ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون.

فقالوا: بلى يا أبا الوليد، قم إليه فكلمه، فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ.

فقال: يا بن أخي! إنك منا قد علمت من الشرف في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم، وسفهت أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها؛ لعلك تقبل منها بعضها.

قال: فقال رسول الله ﷺ: «قل يا أبا الوليد أَسمعْ»[1].

قال: يا بن أخي! إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفاً، سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً، ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه، لا تستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك الطب، ويذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه... حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه[2].

قال: «قد فرغت يا أبا الوليد؟».

قال: نعم.

قال: «فاسمع مني».

قال: أفعلْ.

---

(١) ابن هشام ـ السيرة النبوية، ج١، ص٢٩٤.

(٢) ابن كثير ـ البداية والنهاية، ج٣، ص٦٨ ـ ٦٩.

فقرأ عليه قول الله تعالى:

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝٤ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٌ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٌ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ [فصلت: ١ ـ ٥].

ثم مضى الرسول ﷺ فيها يقرؤها عليه، فلما سمعها منه عتبة، أنصت، وألقى يده خلف ظهره معتمداً عليها يسمع منه، ثم انتهى الرسول ﷺ إلى السجدة منها، فسجد، ثم قال:

«قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك».

فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله! لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به.

فلما جلس إليهم، قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟

قال ورائي أني قد سمعت قولاً والله! ما سمعت مثله قط. والله! ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة. يا معشر قريش! أطيعوني واجعلوها بي، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه، فاعتزلوه، فوالله! ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم، فإن تصبه العرب، فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب، فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به.

قالوا: سحرَك والله! يا أبا الوليد بلسانه.

قال: هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم[1].

---

(١) ابن هشام ـ السيرة النبوية، ج١، ص٢٩٤.

ولقد كان الرد صريحاً واضحاً، فأنزل الله تعالى فيما عرضوا على الرسول ﷺ من أقوالهم:

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[سبأ: ٤٧].

لقد فشل الكفار فشلاً تاماً في إغرائهم المادي مع الرسول محمد ﷺ، ولما كان الإغراء المادي نمطاً من أنماط حربهم النفسية، فقد استغلوا ذلك مع الجنود المرتزقة الذين جلبوهم لمحاربة رسول الله ﷺ، كما استغلوا الإغراء المادي أيضاً مع المحاربين معهم من المشركين.

فكان أغنياء المشركين يقومون بأعباء إطعام المحاربين ضد رسول الله ﷺ، هذا ومن المعلوم أنه لما خرج رسول الله ﷺ من مكة مهاجراً إلى المدينة، جعلت قريش فيه مئة ناقة لمن يرده عليهم[١].

ومن أساليب حربهم النفسية: استغلال العواطف، واستثارة المشاعر، ومحاولاتهم أن يجعلوا المؤمن في صراع بين عواطفه البشرية، وبين إيمانه، ولا شك أن النجاح في ذلك الاختبار يحتاج إلى عزيمة وإرادة، وقوة إيمان وثبات في العقيدة.

فقد روي: أن سعد بن أبي وقاص أسلم، فحلفت أمه لا تكلمه أبداً، ولا تأكل طعاماً، ولا تشرب شراباً حتى تموت، أو يكفر، فمكثت على ذلك ثلاثة أيام حتى غشي عليها من الجهد، ولقد قال سعد ﷺ حينما حلفت: والله! لو كانت لك مئة نفس، لخرجت قبل أن أدع ديني، فلما

---

(١) احزمي سامعون جزولي ـ الهجرة في القرآن، ص٣٤٦.

عرفت منه الجد، وأنه لا يرجع إلى الكفر، أكلت[1].

فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[لقمان: ١٥].

ومجاهدة المؤمن نفسه في العواطف التي تعوقه عن تنفيذ أمر الله ﷻ ليست أمراً سهلاً، والانتصار في ذلك ليس ميسوراً لكل الناس. إن الإنسان قد يغالب الأعداء، ويجالدهم، ولكن إذا جيء به من ناحية شفقته على أهله وولده، كان في صورة غير الصورة التي بها يواجه العدو الشرس[2].

إن الأهل والولد في توجيه حملتهم النفسية النابعة من استثارة عواطفه نحوهم قد يصلون بهذا إلى هدفهم المنشود، وهو إعاقته عن تنفيذ أمر الله ﷻ. من أجل هذا حذر القرآن الكريم من هذا النوع من الحملات النفسية[3].

إنها حملة نفسية في مظهرها نعومة وشفقة، ولكن في جوهرها شراسة، إنها في ظاهرها تودد، وفي حقيقتها عداء، فعلى المؤمن أن يكون في حذر[4].

قال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[التغابن: ١٤].

---

(١) سليمان السويكت ـ محنة المسلمين في العهد المكي، ص١٠٠.

(٢) تفسير ابن كثير، ج٣، ص٤٤٦.

(٣) محمد القحطاني، الولاء والبراء، ص١٧٤ ـ ١٧٥.

(٤) علي محمد الصلابي ـ السيرة النبوية، ج١، ص٢٧٥ ـ ٢٧٦.

لقد ضرب أصحاب النبي ﷺ مثلاً عالياً في طاعتهم لأوامر الله، وحبهم لله ولرسوله، ولم تستطع الدنيا أن تحول بينهم وبين تلك المحبة النابعة من قلوبهم الصادقة في الإيمان، العظيمة في الإخلاص. إنهم قاتلوا من قاتل رسول الله ﷺ، وحاربوا من حارب رسول الله ﷺ، حتى إنهم قد قاتلوا آباءهم وأبناءهم في مرضاة الله، ومحبة الله ورسوله.

ومن أساليب حربهم النفسية: محاولتهم إثارة الفرقة، وإشعال نار الفتنة والشقاق، والتذكير بالجروح التي التأمت وشفيت، والأحقاد القديمة التي أبدلها الإسلام بالمحبة والوئام، والإخلاص والترابط والتعاون، ولكن الكفار لم يسكتوا، وقد رأوا الذين من قبل يتقاتلون، إذا بهم يتصافحون.

روي أن شاس بن قيس اليهودي كان عظيم الكفر، شديد الطعن على المسلمين، شديد الحسد، وقد مر على نفر من الأنصار من الأوس والخزرج، فرآهم في مجلس لهم يتحدثون، وكان قد زال ما كان بينهم في الجاهلية من العداوة ببركة الإسلام.

فجلس إليهم، وذكرهم ما كان بينهم في الجاهلية من الحروب، وقرأ عليهم بعض ما قيل في هذه الحروب من أشعار، فتنازع القوم وتغاضبوا[1].

إن تلك الحملة النفسية أوشكت أن تؤتي نتيجتها الخطيرة، فلابد إذاً من مقاومتها بعمل سريع وحاسم.

لهذا فإن النبي ﷺ قام بنفسه بمعالجة الأمر؛ كما أن الوحي قد نزل لينبه ويحذر من تكرار مثل ذلك، لقد وصل ما فعله شاس إلى الرسول ﷺ، فخرج فيمن معه من المهاجرين والأنصار إليهم، وقال لهم الرسول ﷺ:

---

(١) محمد أبو فارس. الصراع مع اليهود، ج١، ص٣١ ـ ٤٤.

«أتُرجعون إلى أحوال الجاهلية، وأنا بين أظهركم، وقد أكرمكم الله تعالى بالإسلام، وألَّف بين قلوبكم»[1]. فعرف القوم أن ذلك كان من عمل الشيطان، ومن كيد ذلك اليهودي، فألقوا السلاح، وعانق بعضهم بعضاً، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ، وأنزل الله ـ سبحانه وتعالى ـ قوله:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ۝١٠٠ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[آل عمران: ١٠٠ ـ ١٠١].

ومن أساليب المشركين في الحرب النفسية: التستر وراء أعمال تخفي وراءها ما ليس في ظاهرها، ويوضح ذلك من خلال قصة مسجد الضرار، قال تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[التوبة: ١٠٧].

إن المسجد المذكور في الآية قد أقامته طائفة من المنافقين بالمدينة يريدون الشر. فلقد أزعجهم بناء مسجد قباء الذي شيده بنو عمرو بن عوف، وباركه رسول الله ﷺ بالصلاة فيه[2]. فحرض أبو عامر الراهب هؤلاء المنافقين ليبنوا مسجداً يفاخرون به من بنوا مسجد قباء، فتكون العصبية الجاهلية موضوعها التفاخر بالمساجد، وليتخذوه وكراً لاجتماعاتهم، وتبييت الشر للمؤمنين، وبعد تمام بنائه، دعوا الرسول ﷺ للصلاة فيه[3]؛

---

(١) ابن هشام ـ السيرة النبوية، ج٢، ص٢١١ ـ ٢١٤.

(٢) القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني ـ تثبيت دلائل النبوة، ج٢، ص٤٧٥.

(٣) ابن كثير ـ تفسير القرآن العظيم، ج٢، ص٤٧٩.

ليتخذوا من صلاته فيه مادة للعصبية والتفريق، وهمَّ أن يجيب، غير عالم بما يبيتون، ولكن الله تعالى أعلمه بذلك عند عودته من غزوة تبوك، واعتزامه أن يجيب دعوتهم، فنهاه الله سبحانه عن أن يقوم فيه، فضلاً عن أن يصلي فيه؛ كما جاء في الآية الكريمة.

وقد بين أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي في تفسيره «زاد المسير»، بين أبعاد تلك المؤامرة الخطيرة، وأنها كانت تمهيداً لاستقبال جنود الروم الذين سيأتون لغزو المدينة، والآتي بهؤلاء الغزاة إنما هو أحد المتآمرين من الذين لهم اتصال بالروم، وكانوا حلقة اتصال بين الروم والمتآمرين المنافقين[1].

وقد دعا الرسول ﷺ حصن بن عدي، ومالك بن الأخشم في آخرين[2]، وقال:

«انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله، فاهدموه، وأحرقوه»[3].

وفي معركة أُحُد انتهز المنافقون الفرصة، فتصرفوا نطقاً وعملاً بما يترجم عن نفاقهم، وسوء طويتهم، وفساد قلوبهم، وحربهم النفسية ضد المسلمين المؤمنين، فلقد تخاذل عبدالله بن أبي ابن سَلُول رأسُ المنافقين قبل معركة أحد، وانصرف معه ثلث الناس[4].

---

(١) أبو الفرج جمال الدين الجوزي ـ تفسير القرآن الكريم «زاد المسير في علم التفسير» الآية ١٠٧ سورة التوبة.

(٢) ابن كثير ـ تفسير القرآن العظيم، ج٢، ص٤٧٨ ـ ٤٨٠.

(٣) ابن هشام ـ السيرة النبوية، ج٤، ص١٨٤.

(٤) ابن كثير ـ البداية والنهاية، ج٤، ص١٤.

وقال ابن سلول:

ما ندري علام نقتل أنفسنا هاهنا أيها الناس؟ فرجع مع من اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب. وهكذا نرى أن موقف هؤلاء المنافقين هو نمط من أنماط الحرب النفسية، ومن العجيب أنهم يحاولون تبرير موقفهم في تخلفهم عن المعركة، ويدافعون عن خيانتهم، ويجادلون بالباطل.

ولكن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أظهر نفاقهم، وفضح أسرار خداعهم بقوله تعالى:

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْ ۖ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾[آل عمران: ١٦٦ ـ ١٦٧].

وقد كانت حربهم النفسية: التظاهر بأن في رأيهم السلامة والأمان، وأن في مخالفة رأيهم خطر الموت. إنهم لم يكتفوا بالتخلف والقعود، وإنما انتهزوا فرصة موت بعض من حضر القتال، فأخذوا من هذه النقطة انطلاقة لحربهم النفسية في الاستدلال على وجهة نظرهم يؤكدون وجودهم الانفصالي عن مشاعر المؤمنين وأحاسيس المجاهدين، محاولين تثبيط الهمة، وإضعاف العزيمة، وإظهار اعتذارهم الكاذب عن تخليهم وتخلفهم عن المؤمنين وقت الشدة.

ولم يكتفوا في حربهم النفسية بتوجيه منطقهم المؤثر في حالة الحرب فقط، بل أيضاً في حالة السلم يعلقون بمنطقهم هذا على العاملين في نشر الدعوة، ويستدعي عملهم السفر البعيد، ويحصل لهم الموت في السفر،

فيقول هؤلاء المنافقون في شأنهم: لو كانوا معنا، ما ماتوا، ولا قتلوا.

لقد جعلوا ذلك سبباً لإبعاد الناس عن الجهاد، وعن نشر الدعوة الإسلامية. والمنافقون يبنون حربهم النفسية على أساس مخاطبة الناس بما يعتقدون أنه يتماشى مع الطبائع البشرية التي تؤثر الراحة وحب الحياة والابتعاد عما فيه كلفة ومشقة وخطر. فإذا قيل للمرء: إن احترزت من السفر والجهاد، فأنت سليم طيب العيش، وإن تقحمت أحدهما، وصلت إلى الموت أو القتل. ومن المحتمل في هذه الحالة أن يركن إلى ملازمة البيت.

وبذلك قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٦ ـ ١٥٧].

وفي لمحة من غزوة الأحزاب نجد أن المنافقين لم يكتفوا بفرارهم من مواجهة العدو، وتخلفهم عن التضامن والتكاتف مع المؤمنين في مواجهة العدو، ولم يكتفوا بتركهم الموقع الأمامي الذي فيه يواجه المؤمنون أعباء الدفاع عن المدينة لصد الأحزاب، ومواجهة حصارهم. إن المنافقين لم يكتفوا بتسللهم إلى بيوتهم دون إذن رسول الله ﷺ، وإنما بثوا دعايتهم وحربهم النفسية للنيل من صمود المؤمنين ودفاعهم عن المدينة.

ولقد انتهت غزوة الأحزاب بانكشاف الغمة، وفضيحة المنافقين، وإظهار معادن الرجال، فالمؤمنون ثبتوا وصمدوا واستعدوا، وصبروا ورابطوا، ووضعوا أيديهم على سيوفهم مستعدين للبذل والتضحية والفداء، وزادتهم

الشـدة يقينـاً وإيمانـاً، وقـالوا: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾[الأحزاب: ٢٢]. أما المنافقون، فقد فضح الله أسرارهم، وكشف القرآن تخاذلهم وجبنهم وخيانتهم، وما حاولوه من حرب نفسية فاشلة، ومما نزل في الأحزاب قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾[الأحزاب: ٩].

إن رسول الله ﷺ لما أجلى بني النضير، ساروا إلى خيبر، فخرج نفر من أشرافهم إلى مكة، فألبوا قريشاً، ودعوهم إلى الخروج لقتاله، ثم خرجوا من عندهم، فأتوا غطفان وسليماً، ففارقوهم على مثل ذلك[١].

وتجهـزت قريـش ومن تبعهم من الـعرب، فكانـوا أربعـة آلاف، وخرجوا يقودهم أبو سفيان، وخرجت بنو أسد وفزارة وأشجع وبنو مرة، فكان جميع من وافى الخندق من القبائل عشرة آلاف، وهم الأحزاب، فلما بلغ الرسول ﷺ خروجهم من مكة، أخبر الناس خبرهم، وشاورهم، فأشار سلمان ﷺ بالخندق، فأعجب ذلك المسلمين، وعسـكر بهم الرسول ﷺ إلى سـفح (سَلْعٍ)، وجعل سلعاً خلف ظهره[٢].

ودس أبو سفيان حيي بن أخطب إلى بني قريظة يسألهم أن ينقضوا العهد الذي بينهم وبين الرسول ﷺ، ويكونوا معهم عليه، فأجابوا[٣].

واشتد الخوف، وعظم البلاء، ثم جرت بينهم مناوشات وقتال، وحصر

---

(١) مغازي الواقدي، ج٢، ص٤٥٧.

(٢) ابن سعد ـ الطبقات الكبرى، ج٢، ص٦.

(٣) ابن هشام ـ السيرة النبوية، ج٣، ص٢٣٢.

المسلمون ومعهم الرسول ﷺ بضع عشرة ليلة حتى خلص إليهم الكرب، وكان نعيم بن مسعود الأشجعي قد أسلم، فمشى بين قريش وقريظة وغطفان، فخذَّل بينهم، وخلق بينهم فتنة وعدم ثقة، وقالت قريظة: لا نقاتل يوم السبت، فهبت ليلة السبت[1] ريح شديدة، فقال أبو سفيان:

يا معشر قريش! إنكم والله! لستم بدار مقام، لقد هلك الخف والحافر، وأخلفتنا قريظة، فارتحلوا فإني مرتحل، فأصبحت العساكر قد ارتحلت كلها[2].

ومن أساليبهم في الحرب النفسية: التقاء الأعداء مع بعضهم، وإن اختلفوا في العقيدة، فإنهم اتفقوا على شيء واحد هو أن يكيدوا للمؤمنين. إن هؤلاء الأعداء ينتهزون الفرصة في إذكاء روح العداوة، وإشعال نارها برغم تباين عقيدتهم، إن كل طائفة من الأعداء لا تكتفي بنفسها في حربها وعدائها للنبي ﷺ، بل تبسط دعايتها، وتنفث سمومها مع من يشترك معها في نفس الهدف، وهو حرب رسول الله ﷺ ومعاداته.

ثم إن تلك الطوائف تعيش مع بعضها في حياة زائفة مع الالتقاء الكاذب والخبث، فكأنهم مع بعضهم أحباب، وكأنهم مع بعضهم أصدقاء، ولكن في حقيقة واقعهم أعداء.

ولكن كيف اجتمع الأعداء وأصبحوا في صورة أصدقاء؟

والجواب عن ذلك: أنهم في سبيل حربهم ضد رسول الله ﷺ تناسوا اختلاف عقائدهم، وتذكروا شيئاً واحداً هو أن يحاربوا الرسول ﷺ، ويحاربوا

---

(١) د. أكرم العمري ـ السيرة النبوية الصحيحة، ج٢، ص٤٣٠.

(٢) د. عبدالله محمد الرشيد ـ القيادة العسكرية في عهد الرسول، ص٤٧٧.

ما يدعو إليه من أجل هذا، فهم يعيشون في مجاملة زائفة وكاذبة، وكأن جروح بعضهم تؤلمهم جميعاً، ولكن الواقع أن ليس هنالك ألم بسبب عاطفة صادقة، وإنما هنالك هدف يريدون أن يصلوا إليه، وتجمع لابد أن يعملوا على تحقيقه؛ ليرضوا قلوبهم الحاقدة، ونفوسهم الماكرة، ولتوضيح ذلك هنالك الكثير من الأمثلة على تحالف أهل الشر والضلال لمحاربة الحق، وكيف كانت حملتهم النفسية لها الأثر في تجميع الشر، وكيف كانت الدعاية الكاذبة لها مفعولها في تأليب قوى العدوان والبغي.

ومن ذلك: ما فعله كعب بن الأشرف بعد هزيمة المشركين في معركة بدر[1]؛ فقد ذهب يبكي على قتلاهم، وصار يحرضهم على حرب رسول الله ﷺ، لقد كان من أمر كعب بن الأشرف أنه لما أصيب الكفار في معركة بدر بفاجعة، وقدم زيد بن حارثة إلى أهل السافلة، وعبدالله بن رواحة إلى أهل العالية بشيرين بعثهما الرسول ﷺ إلى من بالمدينة من المسلمين بفتح الله ﷻ عليه، وقتل من قتل من المشركين، فلما سمع كعب وهو من طيء، قال: أحقاً هذا[2]؟

أترون محمداً قتل هؤلاء الذين هم أشراف العرب، وملوك الناس، والله! لئن كان محمد أصاب هؤلاء، لبطن الأرض خير من ظهرها. فلما تيقن عدو الله، خرج حتى نزل بمكة يحرض أهلها على قتال المسلمين، وينشد الأشعار في تحريضهم، ودفعهم إلى الثأر من المسلمين[3].

---

(١) صالح بن حميد ـ نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، ج١، ص٢٩٨.

(٢) الذهبي ـ تاريخ الإسلام، ص١٥٨.

(٣) ابن هشام ـ السيرة النبوية، ج٣، ص٥٧.

استخدام الجانب الاقتصادي في الحرب النفسية ضد المسلمين:

استعمل الكفار الناحية المادية كحرب نفسية في الإغواء، كما أنهم استعملوها أيضاً كحرب نفسية في التهديد؛ كمحاولة للتأثير النفسي، وذلك بالحصار الاقتصادي، والحرب الاقتصادية التي أقاموها وتعاهدوا عليها. ذلك أن قريشاً لما رأت أصحاب رسول الله ﷺ قد هاجروا إلى الحبشة[1]. ووجدوا لهم مكاناً آمناً بعد أن منع النجاشي ملك الحبشة عنهم قريشاً، وأن عمر قد أسلم، فكان هو وحمزة بن عبد المطلب مع رسول الله ﷺ وأصحابه، وجعل الإسلام ينتشر في القبائل، اجتمعوا وتآمروا بينهم أن يكتبوا وثيقة يتعاهدون فيها على بني هاشم وبني عبد المطلب على أن لا ينكحوا إليهم، ولا ينكحوا منهم، ولا يبيعوهم، ولا يبتاعوا منهم، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة؛ توكيداً على أنفسهم، فلما فعلت ذلك قريش، انحاز بنو هاشم وبنو عبد المطلب إلى أبي طالب بن عبد المطلب، فدخلوا معه في شعبه، واجتمعوا إليه، وخرج من بني هاشم أبو لهب عبد العُزَّى بن عبد المطلب، فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً حتى جهدوا، لا يصل إليهم شيء إلا سراً مستخفياً به من أراد صلتهم من قريش[2].

وقد ذكر أنَّ أبا جهل بن هشام لقي حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد معه غلام يحمل قمحاً يريد به عمته خديجة بنت خويلد ـ رضي الله عنها ـ، وهي زوجة رسول الله ﷺ، ومعه في الشعب، فتعلق به وقال:

أتـذهب بالطعام إلى بني هاشـم؟ والله! لا تبـرح أنت وطعامـك حتى

---

(١) ابن سعد ـ الطبقات الكبرى، ج٢، ص٢٠٧ (ط بيروت).

(٢) ابن هشام ـ السيرة النبوية، ج١، ص٣٨٨.

أفضحك بمكة، فجاء أبو البختري بن هشام بن الحارث بن أسد، فقال: مالك وله؟ فقال: يحمل الطعام إلى بني هاشم[1].

فقال له أبو البختري: طعام كان لعمته عنده بعثت إليه، أفتمنعه أن يأتيها بطعامها؟! خلِّ سبيل الرجل، فأبى أبو جهل حتى نال أحدهما من الآخر، فأخذ له أبو البختري لَحْي بعير، فشجه، ووطئه وطئاً شديداً، وحمزة بن عبد المطلب قريب يرى ذلك، وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله ﷺ وأصحابه، فيشمتوا بهم، ورسول الله ﷺ على ذلك يدعو قومه ليلاً ونهاراً، وسراً وجهراً، مبادياً بأمر الله، لا يتقي فيه أحداً من الناس. وبينما كان الكفار في عنادهم، رأى رسول الله ﷺ أن الله قد سلط الأرضة على صحيفة قريش، ومحت منها الظلم والقطيعة والبهتان، وتركت كل اسم هو لله[2].

وقص الرسول ﷺ رؤياه على عمه، فصدق عمه رؤياه، وأخذ إخوته وذهب إلى حيث يجتمع الكفار، فلما رآه هؤلاء، تساءلوا هل سيسلم إليه أخيراً ابن أخيه، وقد هزمه الحرمان؟

لقد كانوا مقتنعين بذلك كل الاقتناع، فلما حدثهم برؤيا ابن أخيه، قال لهم:

(هلموا إلى صحيفتكم! فإن كانت كما قال ابن أخي، فانتهوا عن قطيعتنا، وانزلوا عما فيها، وإن كانت كذباً، دفعت إليكم ابن أخي)[3].

---

(١) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ، ج٢، ص٨٧.

(٢) عبد الرحمن الوكيل (تحقيق) ـ الروض الأنف للسلمي، ج٢، ص١٠١ ـ ١٢٩.

(٣) أبو عبدالله محمد بن أبي بكر الجوزية ـ زاد المعاد، ج٢، ص٤٦.

فقبلوا هذا العرض، وهم على يقين من أن ذلك إنما كان تخلصاً ماهراً من حمايته لابن أخيه، كانت الصحيفة مختومة بثلاثة أختام، ومنذ أودعت بالكعبة لم يرها إنسان، ولم تمسها يد بشر، فبدا لأعداء الله أنه من المستحيل أن يكون ما قاله الرسول صواباً، ولاحت عليهم علامات الانتصار وهم ذاهبون مع أبي طالب إلى الكعبة لرؤية ما وصلت إليه الصحيفة، ثم نظروا فإذا هي كما قال الرسول، كل ما هو ظلم وشر أكلته الأرضة، ولم يبق إلا (باسمك اللهم)[1]. وسقط في أيدي الوثنيين، وتولاهم الذهول، وكان أول من خرج منهم أبو جهل محاولاً التخلص من قبول قريش لعرض أبي طالب، فقام في وجهه هشام بن عمرو، وزهير بن أبي أمية، ومطعم بن عدي، وغيرهم ممن أضرت بهم في مصالحهم وعلاقاتهم تلك الصحيفة المشؤومة التي لم يمضوها إلا مرغمين.

وقالوا محتجين الواحد تلو الآخر: إن هذا العمل الشاذ لن نوافق عليه إلا عن غير رغبة منا، ولم يعد له وجود. وما تضمنه إذاً من عهد فهو مرذول، ويجب أن يلغى.

وأمام هذه الاحتجاجات الصارخة اضطر أبو جهل للخضوع. ألغي العهد إذاً، ورجع بنو هاشم وبنو عبد المطلب إلى مساكنهم. لقد فشل الكفار في تحقيق غرضهم من الحصار الاقتصادي العام. فشلوا في أن ينالوا من نفس النبي ﷺ وأتباعه ومن يتعاطف معهم.

(وقد صارت قريش إلى ما أراد أبو جهل. . . فاجتمع الملأ، وكتبوا صحيفتهم تلك يقطعون فيها رحم بني هاشم، ويحظرون فيها على قريش

---

(١) ابن كثير ـ السيرة النبوية، ج٢، ص٤٣ ـ ٥٠، ص٦٧ ـ ٦٩.

أن يكون بينهم وبين بني هاشم بيع وشراء، أو صهر، أو تواصل ما.

وانحاز بنو هاشم إلى أبي طالب إلى شعبهم، فحصروا فيه حتى اشتد عليهم الجهد، وعظم عليهم البلاء، وحتى جاع صبيتهم فما ينامون الليل، ولكنهم مع ذلك صبروا للمحنة كراماً، واحتملوها أعزة شماً، ومنهم من كان يؤمن بمحمد، فهو يصبر طاعة لله وجهاداً في سبيله، ومنهم من كان على جاهليته، فهو يصبر عصبية للحسب والنسب، وإباء للضيم، وبغضاً لسوء القالة)[1].

نعم لقد فشل الكفار في تحقيق غرضهم من الحصار الاقتصادي العام، ولكنهم لم يتخلوا عن استعمال الإضرار المادي ممن يستطيعون الإضرار به من المؤمنين، وذلك كحرب نفسية يحاولون بها التسلل إلى نفسية المؤمن للتأثير عليه، ولكن أنى لهم ذلك؟ إنهم في تلك المحاولة قد فشلوا أيضاً في أن ينالوا من ثبات المؤمنين.

قال ابن إسحاق والعاص بن وائل السهمي: (كان خباب بن الأرت صاحب الرسول ﷺ قيناً بمكة يعمل السيوف، وكان قد باع إلى العاص بن وائل سيوفاً عملها له حتى كان عليه مال، فجعل يتقاضاه[2].

فقال له: يا خباب! أليس يزعم محمد صاحبكم هذا الذي أنت على دينه أن في الجنة ما ابتغى أهلها من ذهب وفضة، أو ثياب أو خدم؟!

قال خباب: بلى.

قال: فأنظرني إلى يوم القيامة يا خباب حتى أرجع إلى تلك الدار،

---

(١) طه حسين ـ على هامش السيرة ـ، ج١.

(٢) عبد الرحمن الوكيل (تحقيق) ـ الروض الأنف للسلمي، ج٢، ص٩٨.

فأقضيك هنالك حقك، فوالله! لا تكون أنت وصاحبك يا خباب آثرَ عند الله مني، ولا أعظم حظاً في ذلك. فأنزل الله تعالى فيه:

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾[مريم: ٧٧ ـ ٨٠].

ومن حديث مسروق عن خباب بن الأرت قال:

كنت رجلاً قيناً (أي: حداداً)، وكان لي على العاص بن وائل دين، فأتيته أتقاضاه، فقال: لا والله! لا أعطيك حتى تكفر بمحمد[1].

فقلت: لا والله لا أكفر بمحمد ﷺ حتى تموت، ثم تبعث حياً.

قال: فإني إذا مت، ثم بعثت، جئتني ولي ثم مال وولد، فأعطيتك، فنزلت فيه هذه الآية إلى قوله تعالى: ﴿فَرْدًا﴾.

وفي قوله تعالى:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[البقرة: ٢٠٧].

قال بعضهم: إن تلك الآية الكريمة نزلت في صهيب الرومي. فروي أنه أقبل مهاجراً نحو النبي ﷺ، فاتبعه نفر من قريش، فنزل واستل سهماً من كنانته، وقال: قد علمتم أني من أرماكم بسهم، وايم الله! لا تصلون إلي حتى أرميكم بكل سهم معي، ثم أضربكم بسيفي ما بقي في يدي منه شيء، فإن شئتم دللتكم على مالي. قالوا: فدلنا على مالك نخلي عنك.

---

(١) سليمان سويكت ـ محنة المسلمين في العهد المكي، ص٩٥.

فدعاهم على ذلك، فنزلت فيه هذه الآية[1].

فلما رآه النبي ﷺ، قال: «ربح البيع أبا يحيى»، فقرأ عليه القرآن. هذا قول سعيد بن المسيب.

وذكر نحوه أبو صالح عن ابن عباس، وقال: إن الذي تلقاه فبشره بما نزل فيه أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

وقال ابن هشام: (ذكر لي عن أبي عثمان أنه قال: بلغني أن صهيباً حين أراد الهجرة قال له كفار قريش: آتيتنا صعلوكاً حقيراً، فكثر مالك عندنا، وبلغت الذي بلغت، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك؟! والله! لا يكون ذلك.

فقال لهم صهيب: أرأيتم إن جعلت لكم مالي، أتخلون سبيلي؟ قالوا: نعم، قال: فإني جعلت لكم مالي[2]. قال: فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «ربح صهيب! ربح صهيب!».

وهاهو مصعب بن عمير رضي الله عنه الذي كان يعيش قبل إسلامه[3] في غنى، وقد تبدل حاله بعد إسلامه من الغنى إلى الفقر؛ حيث تنكر له أبوه، وتنكرت له قريش[4].

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: نظر النبي ﷺ إلى مصعب بن عمير، فقال النبي ﷺ: «انظروا إلى هذا الرجل الذي قد نور الله قلبه. لقد

---

(١) د. عبد الرحمن البر ـ الهجرة النبوية المباركة، ص١١٩.

(٢) علي محمد الصلابي ـ السيرة النبوية، ج١، ص٤٤٧ ـ ٤٤٨.

(٣) محمد بريغش ـ مصعب بن عمير الداعية المجاهد، ص ١٠٥.

(٤) علي محمد الصلابي ـ السيرة النبوية، ج١، ص٢٧٦ ـ ٢٧٧.

رأيته بين أبوين يغذوانه بأطيب الطعام والشراب، فدعاه حب الله ورسوله إلى ما ترون»[1]. وفي غزوة أحد يتقدم مصعب يحمل اللواء بين يدي رسول الله ﷺ، ويستشهد في تلك الغزوة بعد أن أبلى بلاء حسناً.

وقد أراد المسلمون أن يواروا الشهداء في قبورهم، فإذا مصعب بن عمير قد خر على وجهه، ويهم المسلمون بدفنه، فلا يجدون له كفناً، إنما هو ثوب رث قصير إن أخفى رأسه، أظهر رجليه، وإن أخفى رجليه، أظهر رأسه، والنبي ﷺ يرى، فيتلو قول الله ﷻ[2]:

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾[الأحزاب: ٢٣].

ثم يأمر أن يغطى أعلاه بالثوب، وأن يلف أسفله برطب الكلأ، ثم يقول: إن رسول الله يشهد أنكم الشهداء عند الله يوم القيامة، ثم يقبل على الناس، فيقول: «أيها الناس! زوروهم، وأتوهم وسلموا عليهم، فوالذي نفسي بيده! لا يسلم عليهم مسلم إلى يوم القيامة إلا ردوا عليه السلام»[3].

وهكذا ندرك أن المؤمنين قد نجحوا في الاختبار، وأن الكفار قد فشلوا فيما حسبوه بزعمهم وسوء ظنهم وتفكيرهم أن الإضرار المادي بالمؤمنين يزعزع من إيمانهم، ويهدم صرح ثباتهم.

---

(١) البخاري - محمد بن إسماعيل بن إبراهيم - صحيح البخاري - الحديث النبوي الشريف، ص٢٥٢.

(٢) ابن سعد - الطبقات الكبرى، ج٣، ص١١٦.

(٣) البخاري - محمد بن إسماعيل بن إبراهيم - صحيح البخاري - الحديث النبوي الشريف، ص٢٥٢.

لقد كان الكفار في ذلك واهمين، وغاب عنهم أن الإيمان في قلب المؤمن أغلى وأعلى مما حوته الدنيا من المادية تستغل لصرفهم عن الإيمان.

فلو وزنت الدنيا في (كفة)، والإيمان في (كفة)، لرجحت (كفة الإيمان، ولكان اختيار المؤمن بدون تردد هو الثبات على دينه، والتمسك بإيمانه، فما كانت الدنيا تحول بينه وبين هذا الإيمان الذي استضاء به قلبه، وانشرح له صدره.

إن مضايقات الأعداء المادية، أو بعبارة أخرى: إن حربهم الاقتصادية للمؤمنين إنما كانت تستهدف غزو نفسية المؤمنين، وتحطيم حصون ثباتهم، وتصدع يقين قلوبهم.

اليهود والحرب النفسية:

من تلك الحرب النفسية التي كان لها أثرها في تجميع قوى الشر، وتحزيب الأحزاب لحرب رسول الله ﷺ: ما حصل في غزوة الخندق، فقد كان من حديث الخندق أن نفراً من اليهود من بني النضير وبني وائل هم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ؛ فقد خرجوا حتى قدموا مكة، فدعوا قريشاً إلى حرب رسول الله ﷺ، وقالوا لهم: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله[1]. فقالت لهم قريش: يا معشر اليهود! إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أفديننا خير أم دينه؟[2] قالوا: بل دينكم خير من دينه: وأنتم أولى بالحق منه. فهم الذين أنزل الله تعالى فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ

---

(١) ابن هشام ـ السيرة النبوية، ج٣، ص٢٣٧.

(٢) د. علي معطي ـ التاريخ السياسي العسكري، ص٣١٠.

وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٥١ ـ ٥٢]. إلى قوله تعالى: ﴿أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ أي النبوة ﴿فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن صَدَّ عَنۡهُۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ٥٤ ـ ٥٥]. لما قال المحرضون الكاذبون الخادعون ما قالوا لقريش، سر قريشاً ذلك، ونشطوا لما دعوهم إليه من حرب رسول الله ﷺ، فاجتمعوا لذلك، واستعدوا له.

ثم خرج أولئك النفر من اليهود حتى جاؤوا غطفان، فدعوهم لحرب رسول الله ﷺ، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه، وأن قريشاً قد تابعوهم على ذلك، فاجتمعوا معهم فيه.

وهكذا بنى المحرضون الكاذبون حربهم النفسية على ثلاثة أمور:

١ ـ التباكي على قتل المشركين، والادعاء الكاذب بتأثرهم وتألمهم لما أصاب المشركين من القتل؛ لتجميع المخدوعين، وتوجيههم إلى حيث يريدون.

٢ ـ تشجيعهم على حرب رسول الله ﷺ، وذلك بإظهار أنهم سيكونون معهم في تجمعهم على حرب رسول الله ﷺ.

وإذا كان التباكي على قتل المشركين يحرك النفوس بالحقد، ويزيد الضغينة اشتعالاً، فإن التشجيع بإعلان أنهم سيكونون معهم في الحرب يجعل النفوس الحاقدة مندفعة نحو الحرب، غير مترددة فيه دون نظر أو تفكير.

٣ ـ إنهم في سبيل هذا التجمع على الشر، وفي سبيل التلاقي على حرب

رسول الله ﷺ تجردوا من كل حياء، وارتدوا رداء الكذب والزور، حتى ولو كان ما ينطقون به مخالفاً للتوراة الصحيحة، فمع كونهم من أهل الكتاب زعموا أن الوثنية خير من التوحيد[1]، وقالوا للمشركين: إن دينكم خير من دين محمد، وأنتم أولى بالحق منه، فكانوا بذلك متخلفين عن الإنصاف في سبيل منفعتهم الدنيوية؛ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾[البقرة: ٨٦]. إنهم في سبيل حربهم رسول الله ﷺ تناسوا اختلاف عقائدهم، وتذكروا شيئاً واحداً هو أن يجتمعوا ليحاربوا رسول الله ﷺ، فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن بن حذيفة، والحارث بن عوف بن أبي حارثة في بني مرة، ومسعر بن رخيلة في قومه أشجع[2].

فلما سمع الرسول ﷺ وما اجمعوا له من الأمر، ضرب الخندق على المدينة، فعمل الرسول ﷺ ترغيباً للمسلمين في الأجر، وعمل معه المسلمون فيه، فدأب فيه، ودأبوا.

وأبطأ عن رسول الله ﷺ وعن المسلمين في عملهم ذلك رجال من المنافقين، يضعفون في العمل، ويتسللون إلى أهلهم بغير علم رسول الله ﷺ ولا إذن.

بينما جعل الرجل من المسلمين إذا نابته النائبة من الحاجة التي لابد له منها، يذكر ذلك لرسول الله ﷺ، ويستأذنه في الذهاب لحاجته، فيأذن له، فإذا قضى حاجته، رجع إلى ما كان فيه من عمله؛ رغبة في الخير،

---

(١) لو لفنسون ـ تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص١٤٢.

(٢) محمد أحمد باشميل ـ غزوة الأحزاب، ص١٤١.

احتساباً له[1]، فأنزل الله تعالى قوله في أولئك المؤمنين:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[النور: ٦٢].

فنزلت هذه الآية الكريمة فيمن كان من المسلمين من أهل الحسبة والرغبة في الخير والطاعة لله ولرسوله ﷺ. وفي معنى هذه الآية الكريمة: أن المؤمنين الصادقين هم الذين آمنوا بالله ورسوله، ولم يتركوا الرسول وحده في أمر يتطلب اجتماعهم كالجهاد إلا بعد أن يستأذنوه في الانصراف، ويسمح لهم به. إن الذين يقدرونك أيها النبي حقَّ قدرك، ويدركون خطر الاجتماع، فلا ينصرفون إلا بعد موافقتك، هم الصادقون في إيمانهم بالله ورسوله، فإذا استأذنك هؤلاء لقضاء بعض مصالحهم، فأذن بالانصراف لمن تشاء منهم إذا رأيت من الدلائل أنه في حاجة ماسه إلى الانصراف، ولا يحتم الاجتماع وجوده.

ومع ذلك، اطلب المغفرة لهم من الله على انصرافهم الذي ما كان يليق أبداً، إن الله واسع المغفرة والرحمة.

هذا ولم تكن الحرب النفسية من المحرضين الحاسدين مقتصرة على تحريض مشركي العرب، بل اتسعت دائرة نشاطهم وحقدهم الضال حتى عملوا على ألا يكون هناك عهد بين رسول الله ﷺ وبين غيره.

---

(١) د. عبدالله محمد الرشيد ـ القيادة العسكرية في عهد الرسول، ص٤٨٢.

لقد اتجهوا إلى بني قريظة من اليهود؛ لكي ينقض بنو قريظة عهداً كان بين رسول الله ﷺ وبينهم[1].

أي إن المحرضين لم يدخروا جهداً في تجميع قوى الشر والعدوان على حرب رسول الله ﷺ.

فلقد خرج عدو الله حيي بن أخطب النضري إلى كعب بن أسد صاحب عقد بني قريظة مع الرسول ﷺ، فأقنعه بنقض العهد بين الرسول ﷺ وبني قريظة من اليهود، فنقض العهد[2]. وهكذا تكون الأخطبوط من أفاعي الشر، وحقق المحرضون المفسدون غرضهم في حربهم النفسية، ولكنهم فشلوا في تحقيق الهدف من هذا التجمع لجيوش الباطل والكفر.

لم يستطيعوا أن يستأصلوا رسول الله ﷺ كما كانوا يأملون. لم يستطيعوا أن يتخطوا الخندق. لم يستطيعوا أن يغزوا المدينة، لقد رجعوا مهزومين مدحورين، يجرون وراءهم أذيال الخيبة والفشل والهزيمة. ولقد كان نصر الله تعالى لرسوله وللمؤمنين نصراً عزيزاً، وحفظ الله رسوله والمؤمنين من كل مكر وغدر ومكيدة.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾[الأحزاب: ٩].

ولقد كان من حفظ الله ورعايته: أن علم نبيه ﷺ الأخذ بالأسباب، والعمل على رد العدوان، وذلك لتتعلم الأمة ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[الأحزاب: ٢١].

---

(١) محمد فرج ـ العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ﷺ، ص٤٤٢.

(٢) ابن هشام السيرة النبوية، ج٣، ص٢٣٢.

فالأخذ بالأسباب من أمر الله، ومن توفيق الله ﷻ، ولهذا نجد أن حرب الأعداء النفسية قوبلت بحرب نفسية مضادة لحربهم، محبطة لكيدهم، منتصرة على مكرهم.

فلم يستطع المشركون إخفاء تجمعهم على رسول الله ﷺ، وبالتالي فإنهم لم يستطيعوا أن يفاجئوا المدينة بالهجوم دون أن يكون للنبي ﷺ علم بهجومهم.

ثم إن النبي ﷺ بين الأمر للمؤمنين؛ ليقوم كل منهم بشرف الدفاع والجهاد. وقد كان من ثمرة علم النبي ﷺ ببدء تحرك العدو: أن الوقت كان في صالح المؤمنين؛ حيث كانت هناك فرصة لعمل ما يصد العدوان الذي لم يستطع المعتدون أن يجعلوه مفاجئاً.

ولقد استجاب الرسول ﷺ لمشورة سلمان الفارسي رضي الله عنه في حفر الخندق[1]، ثم إن النبي ﷺ اشترك مع الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ في حفر الخندق؛ زيادة في رفع الروح المعنوية ولم يقف الأمر عند المشاركة الفعلية في حفر الخندق، والمشاركة الفعلية في تحمل الأعباء من التعب والجوع. لم يقف الأمر عند هذا، وإنما كان ﷺ يشع بنور الخير والأمل الباسم، والإشراق المضيء بروح الثبات والصبر والطمأنينة والثقة بوعد الله، وهو في كل هذا يتعهد أصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ بما يزيدهم ثباتاً على ثباتهم، ويمدهم بزيادة من التعبئة الروحية، وهم ـ رضوان الله عليهم ـ مستجيبون، وعلى الإيمان ثابتون، وفي العمل مجدون، وللدفاع مرابطون،

---

(١) ابن سعد ـ الطبقات الكبرى، ج٢، ص٦.

وبالحق متمسكون، وعلى الجهاد مبايعون.

روى الإمام البخاري في «صحيحه»: وحدثنا عبدالله بن محمد عن معاوية ابن عمرو، عن إسحاق، عن حميد: سمعت أنساً ﷺ يقول:

خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق، فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة، ولم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم، فلما رأى ذلك، قال لهم: «اللهم إن العيش عيش الآخرة، فاغفر للأنصار والمهاجرة»[1].

فقالوا مجيبين له:

نحـــن الـــذين بـــايعوا محمـــداً على الجهـــاد مـــا بقينـــا أبـــداً

وحدثنا أبو معمر عن عبد الوارث، عن عبد العزيز، عن أنس بن مالك ﷺ، قال:

جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق حول المدينة، وينقلون التراب على متونهم، وهم يقولون:

نحـــن الـــذين بايعنـــا محمـــدا على الإســـلام مـــا بقينـــا أبـــداً

قال: يقول النبي ﷺ وهو يجيبهم:

«اللهـــم أن لا خيـــر إلا خيـــر الآخـــرة
فبارك في الأنصار والمهاجرة...».

---

(١) البخاري ـ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ـ صحيح البخاري ـ الحديث النبوي (٤١٠٦).

ففي شدة الأحداث يندفع نور الطمأنينة من رسول الله ﷺ، فيشرق على الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ فيزدادون ثباتاً وإرادة وقوة.

وحدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق، عن البراء ﷺ، قال:

كان النبي ﷺ ينقل التراب يوم الخندق حتى أعمر بطنه، أو أغبر بطنه، يقول:

«والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلَنْ سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

المشركون قد بغوا علينا وإن أرادوا فتنة أَبينا»

ويرفع بها صوته: أبينا، أبينا[1].

وحدثنا إبراهيم بن يوسف، قال: حدثني أبي، عن أبي إسحاق، قال: سمعت البراء يحدث، قال: رأيت رسول الله ﷺ ينقل من تراب الخندق حتى وارى عنِّي الغبارُ جلدة بطنه، وكان كثير الشعر، فسمعته يرتجز بكلمات ابن رواحة وهو ينقل من التراب يقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلَنْ سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

المشركون قد بغوا علينا وإن أرادوا فتنة أَبينا

---

(١) البخاري ـ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ـ صحيح البخاري ـ الحديث النبوي (٢٨٣٤).

قال: ثم يمد صوته بآخرها.

أما ما كان من شأن الأحزاب وتكتلهم، فقد شاء الله ﷻ أنْ يفرق جمعهم، ويشتت شملهم، وتتوجه إليهم حرب نفسية في صفوفهم، فتمزقهم، فيطيح حلفهم، ويتمزق شملهم، وتتفرق كلمتهم، ويفشل تدبيرهم.

يتضح ذلك في (قصة نعيم بن مسعود ﷺ؛ فقد أسلم نعيم بن مسعود، وأتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله! إني قد أسلمت، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فأمرني بما شئت. فقال رسول الله ﷺ: «إنما أنت فينا رجل واحد، فأخذل عنا إن استطعت؛ فإن الحرب خدعة»[1].

فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة، وكان لهم نديماً في الجاهلية.

فقال: يا بني قريظة! قد عرفتم ودي إياكم، وخاصة ما بيني وبينكم.

قالوا: صدقت، لست عندنا بمتهم.

فقال لهم: إن قريشاً وغطفان ليسوا كما أنتم، البلد بلدكم، وفيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم، لا تقدرون أن تحولوا منه إلى غيره، وإن قريشاً وغطفان قد جاؤوا لحرب محمد وأصحابه، وقد ظاهرتموهم عليه، وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره، فليسوا كأنتم، فإن أرادوا نهزة، أصابوها، وإن كان غير ذلك، لحقوا ببلادهم، وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من

---

(١) ابن كثير ـ البداية والنهاية، ج٤، ص١١٢.

أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تناجزوه.

فقالوا له: لقد أشرت بالرأي(١). ثم خرج حتى أتى قريشاً، فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش: قد عرفتم ودي لكم وفراقي محمداً، وإنه قد بلغني أمر قد رأيت عليَّ حقاً أن أبلغكموه نصحاً لكم، فاكتموا عني.

فقالوا: نفعل.

قال: تعلموا أن معشر اليهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا إليه إنا ندمنا على ما فعلنا، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالاً من أشرافهم، فنعطيكهم فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستأصلهم؟

فأرسل إليهم: أن نعم فإن بعثت إليكم اليهود يلتمسون منكم رهناً من رجالكم، فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً.

ثم خرج حتى أتى غطفان، فقال: يا معشر غطفان! إنكم أصلي وعشيرتي وأحب الناس إلي، ولا أراكم تتهمونني(٢).

فقالوا: صدقت، ما أنت عندنا بمتهم.

قال: فاكتموا عني.

قالوا: نفعل.

---

(١) ابن كثير ـ البداية والنهاية، ج٤، ص١١٣.

(٢) ابن هشام ـ السيرة النبوية، ج٣، ص٢٤٠.

ثم قال لهم ما قال لقريش، وحذرهم ما حذرهم.

فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس للهجرة، وكان من صنع الله لرسوله ﷺ أن أرسل أبو سفيان بن حرب ورؤوس من غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان.

فقالوا لهم:

إنا لسنا بدار مقام، قد هلك الخف والحافر، فاغدوا للقتال نناجز محمداً، ونفرغ مما بيننا وبينه. فأرسلوا إليهم: إن اليوم يوم السبت، وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً، وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثاً، فأصابه ما لم يخف عليكم. ولسنا مع ذلك بالذين يقاتلون محمداً حتى تعطونا رهناً من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمداً، فإنما نخشى إن خسرتم الحرب، واشتد عليكم القتال أن تنشمروا إلى بلادكم، وتتركونا والرجل في بلدنا، ولا طاقة لنا بذلك منه، فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة، قالت قريش وغطفان:

والله! إن الذي حدثكم به نعيم بن مسعود لَحَقّ، فأرسلوا إلى بني قريظة: إنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا، فإن كنتم تريدون القتال، فاخرجوا فقاتلوا[1].

فقال بنو قريظة حين انتهت الرسل إليهم بهذا: إن الذي ذكر لكم نعيم ابن مسعود لحق. ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا، فإن رأوا فرصة، انتهزوها، وإن كان غير ذلك، انشمروا إلى بلادهم، وخلوا بينكم وبين الرجل في

---

(١) د. عبدا لله محمد الرشيد ـ القيادة العسكرية في عهد الرسول ﷺ، ص٤٧٧.

بلدكم فأرسلوا إلى قريش وغطفان: إنا والله! لا نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رهناً، فأبوا عليهم، وخذل الله بينهم، وبعث الله عليهم الريح في ليال شاتية باردة شديدة البرد، فجعلت تكفأ قدورهم، وتطرح خيامهم، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ما اختلف من أمرهم، وما فرق من جماعته، دعا حذيفة بن اليمان ﷺ، فبعثه إليهم لينظر ما فعل القوم ليلاً.

فقال: «يا حذيفة! اذهب فادخل في القوم، فانظر ماذا يصنعون، ولا تحدثن شيئاً حتى تأتينا»[1].

قال: فذهبت فدخلت في القوم، والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل، لا تقر لهم قدراً ولا ناراً ولا بناء. فقام أبو سفيان بن حرب فقال:

يا معشر قريش! لينظر امرؤ من جليسه.

قال حذيفة: فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي.

فقلت: من أنت؟ فقال: فلان بن فلان.

ثم قال أبو سفيان:

يا معشر قريش! إنكم والله! ما أصبحتم بدار مقام، قد هلك الكراع والخف، وأخلفنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من شدة الريح ما ترون، ما تطمئن لنا قدر، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا فإني مرتحل. ثم قام إلى جمله وهو معقول، فجلس عليه، ثم ضربه فوثب به على ثلاث، فو الله! ما أطلق عقاله إلا وهو قائم، ولولا عهد رسول الله ﷺ إليّ: «أن لا تحدث شيئاً حتى تأتينا»، لقتلته بسهم[2].

---

(١) النووي ـ صحيح مسلم بشرح النووي ـ الحديث (١٧٨٨).

(٢) د. علي محمد الصلابي ـ السيرة النبوية، ج٢، ص٢٧٦ ـ ٢٧٧.

قال حذيفة:

فرجعت إلى رسول الله ﷺ وهو قائم يصلي، فلما سلم، أخبرته الخبر.

وسمعت غطفان بما فعلت قريش، فانشمروا راجعين إلى بلادهم.

ولما أصبح رسول الله ﷺ، انصرف عن الخندق راجعاً إلى المدينة ومعه المسلمون، ووضعوا السلاح[1].

وبوحي من الله ﷻ أمر النبي ﷺ بمجازاة بني قريظة الذين غدروا بعهدهم مع رسول الله ﷺ.

لقد تحزب بنو قريظة مع الأحزاب، وكان غرضهم من ذلك الغدر، واستئصال الإسلام والمسلمين، والقضاء التام على جميع المؤمنين. لقد جاء جبريل إلى النبي ﷺ ظهراً بعد أن انصرف الرسول عن الخندق صبحاً.

فلما كان الظهر، أتى جبريل رسول الله ﷺ، فقال: أوقد وضعتَ السلاح يا رسول الله؟ قال: «نعم».

فقال جبريل:

فما وضعت الملائكة السلاح بعدُ، وما رجعت الآن إلا من طلب القوم. إن الله ﷻ يأمرك يا محمد بالمسير إلى بني قريظة، فإني عامد إليهم، فمزلزل بهم.

فأمر رسول الله ﷺ مؤذناً في الناس: من كان سامعاً طائعاً، فلا يصلين العصر إلا ببني قريظة[1].

---

(١) منير الغضبان ـ فقه السيرة النبوية، ص٥٠٥.

وحاصرهم رسول الله ﷺ خمساً وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب. وقد انتهى بهم الأمر إلى أن نفذ حكم سعد ابن معاذ ﷺ، وقال سعد ﷺ:

(فإني أحكم فيهم أن تقتل الرجال، وتقسم الأموال، وتسبى الذراري والنساء)[٢].

وقد قال رسول الله ﷺ لسعد:

«لقد حكمت فيهم بحكم الله».

أما حُيَي بن أخطب الذي كان له دور كبير في تجميع الأحزاب ضد رسول الله ﷺ وضد المؤمنين، فقد لقي جزاءه، وقد اعترف حُيَي بأن الله تعالى قد خذله. لقد أتي بحُيَي بن أخطب عدو الله مجموعة يداه إلى عنقه، فلما نظر إلى رسول الله ﷺ، قال: أما والله! مالمُت نفسي في عداوتك، ولكنه من يخذل الله، يخذل... ثم جلس، فضربت عنقه[٣].

وهكذا كان للحرب النفسية من الأعداء تأثيرها الخطير في تجميع قوى الشر؛ فإنه لا عجب أن يلقى المفسدون جزاءهم الرادع.

فلما انقضى شأن الخندق، وأمر بني قريظة، وكان سلام بن أبي الحُقيق - وهو الملقب بأبي رافع - فيمن حزب الأحزاب على رسول الله ﷺ، وقد استأذنت الخزرج رسول الله ﷺ في قتل سلام بن أبي الحُقيق وهو بخيبر،

---

(١) البخاري - محمد بن إسماعيل بن إبراهيم - صحيح البخاري - الحديث النبوي الشريف (٤١١٩).

(٢) إبراهيم العلي - صحيح السيرة النبوية، ص٣٧٣.

(٣) البيهقي - دلائل النبوة، ج٤، ص٢٣.

فأذن لهم، فقتلوه[1].

وكان كعب بن الأشرف بعد هزيمة المشركين في غزوة بدر قد ذهب إليهم يبكي على قتلاهم، وصار يحرضهم على حرب الرسول ﷺ، ثم رجع إلى المدينة، فشبب بنساء المسلمين حتى آذاهم. لذلك أصبح لهم دور في الحرب النفسية ضد الرسول ﷺ والمسلمين، لذلك لابد أن يأخذ جزاءه ولابد أن يسكت لسانه من الدنيا، فبسبب لسانه سفكت دماء، وأشعلت نيران الفتنة، ولدرء خطر فتنته لابد أن تخمد أنفاسه[2].

قال رسول الله ﷺ: «من لكعب بن الأشرف؟ فإنه قد آذى الله ورسوله»، فقام محمد بن مسلمة فقال: يا رسول الله! أتحب أن أقتله؟ قال: «نعم»... فقتله[3].

ومن أساليب الأعداء في حربهم النفسية: محاولة إخافة المؤمنين، وبث الرعب في نفوسهم، والمبالغة الكبيرة في وصف قوة عدوهم، ولكن الكفار أيضاً قد فشلوا في ذلك، ولم يستطيعوا أن ينالوا شيئاً من معنويات المؤمنين.

لننظر ـ مثلاً ـ ما حصل عقب معركة أحد: إن من ينظر إلى الأحداث يمكن أن يقول: إن ما حصل عليه المشركون في غزوة أحد كفيل أن ينفخ في آذانهم الشراسة والعتو والغرور.

---

(١) البخاري ـ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ـ صحيح البخاري، ج٧، ص٢٦.

(٢) ابن كثير ـ البداية والنهاية، فصل كامل من غزوة بني قريظة.

(٣) البخاري ـ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ـ صحيح البخاري، ج٧، ص٢٥.

وبالتالي ـ في نظرة محدودة قاصرة ـ يمكن القول: إن ما حصل في غزوة أحد كفيل أن يضعف المؤمنين، وينال من معنوياتهم، ولكن هذا لم يحصل، بل الذي حصل هو أن الكفار قد تركوا المؤمنين في غزوة أحد، ولم يكونوا أصحاب عزيمة ماضية[1].

لقد لام الكفار أنفسهم، وقالوا: لم تركنا المسلمين؟ لم لم نتابع قتالهم حتى نستأصلهم؟ لقد قالوا لبعضهم البعض مثل هذا الكلام بعد أن تركوا المسلمين، ولكنهم لم يستطيعوا أن يتبعوا هممهم بالعمل. ولكن من الذي منعهم من الاستجابة لهذا الرأي؟!

لماذا لم ينفذوا تهديدهم، ويوفوا بوعيدهم؟!

إن الجواب كامن في نفوسهم التي انخفضت معنوياتها إلى الخوف والفزع والرعب من المؤمنين، ومن ناحية أخرى نجد معنويات المؤمنين في سمو وارتفاع، فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله، وما ضعفوا وما استكانوا، لقد ضمد المؤمنون الجراح، وجمعوا صفوفهم، فهم المؤمنون الذين اشتركوا في غزوة أحد، واستجابوا لله ورسوله من بعد ما أصابهم القرح، وقفوا يتحدون الطغاة المعتدين. وقفوا يتحدون الأعداء في ثبات المؤمنين وجهاد الصابرين[2].

ومن العجيب: أن الكفار من شدة خوفهم ورعبهم من المؤمنين لم يكتفوا بترك ما كانوا يتوعدون به ويهددون، بل حاولوا أن يخفوا خوفهم، فأرسلوا من يحاول إخافة المؤمنين ومحاربتهم نفسياً بتهويله استعداد

(١) ابن هشام ـ السيرة النبوية، ج٣، ص٥٩.

(٢) ابن هشام ـ السيرة النبوية، ج٣، ص١٠٧.

الكفار، والتحدث مع المؤمنين عن جموع الأعداء الزاحفة القوية الكثيرة؛ حتى يوقف إقدام المؤمنين، وينال من عزيمتهم، ويصرفهم عما أرادوه، ولكن هذا التخويف لم ينل من شجاعة المؤمنين، بل زادهم إيماناً.

قال تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[آل عمران: ١٧٢ ـ ١٧٥].

حرب الشائعات والاستهزاء كأسلوب للحرب النفسية:

من حرب الشائعات: تلك الشائعة الخطيرة التي أطلقها قوم من المنافقين في حالة الحرب؛ حيث أشاعوا كذباً في غزوة أحد، فقال قوم من المنافقين: قتل محمد، فالحقوا بدينكم الأول.

وقالوا: لو كان نبياً، ما قتل.

ولكن أمام تلك الحرب النفسية قال بعض من أصحاب رسول الله ﷺ: قاتلوا على ما قاتل عليه نبيكم حتى تلحقوا به[1]، فنزل قول الله تعالى:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[آل عمران: ١٤٤].

---

(١) محمد عيظة بن سعيد بن مذحج ـ غزوة أحد دراسة دعوية، ص١٠٠.

ومن هنا نلاحظ أن الشائعة لم تكن صادقة، إلا أن الرد عليها لم يكن متعلقاً بنفيها بقدر ما هو متعلق بنفسية المؤمنين، وما يجب أن يكونوا عليه من الإيمان الثابت. لقد كان الرد واقعياً متوجهاً إلى النفس في إيمانها، مبيناً ما يجب أن يكون عليه المؤمنون، وما يجب أن يوطنوا أنفسهم عليه. لقد كان الرد كاشفاً الوضع في حقيقته التامة، وفي أبعاده العميقة، وفي حقيقته الواضحة، دون مجاملة للعواطف، دون مجاملة تغيير الحقيقة، وإنما قرر القرآن الحقيقة من حيث هي...

وهي: أن النبي ﷺ رسول كالرسل.

يموت كما ماتت قبله الرسل، وأن على المؤمنين أن يثبتوا على الإيمان، وأن النبي ﷺ إن فارقهم بالموت، فلا ينبغي أن يفارقوا عقيدتهم وإيمانهم، بل عليهم أن يقاتلوا على ما قاتل عليه نبيهم[1].

إنهم معتنقو دين، وحملة عقيدة، وموت النبي أو قتله ﷺ لا يوجب رجوع الأمة عن دينه، قال تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٥].

والمعنى: لا يمكن أن تموت نفس إلا بإذن الله، وقد كتب الله ذلك في كتاب مشتمل على الآجال، ومن يرد متاع الدنيا، يؤته منها، ومن يرد جزاء الآخرة، يؤته منها، وسيجزي الله الذين شكروا نعمته فأطاعوه فيما أمرهم به من جهاد وغيره.

---

(١) ابن هشام ـ السيرة النبوية، ج٣، ص٨١.

إن المنافـقين أرجـفوا أن محمداً ﷺ قد قتـل، فالله تعالى يقول: إنـه لا تموت نفس إلا بإذن الله وقضائه وقدره، فكان قتله مثل موته في أنه لا يحصل إلا في الوقت المقدر المعين، فكما أنه لو مات في داره، لم يدل على فساد دينه، فكذا إذا قتل، وجب أن لا يؤثر ذلك، فالدين دين حق.

ومن هنا تبين أن في قوله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[آل عمران: ١٤٥] إبطالاً لقول المنافقين للمسلمين: لما قتل محمد: ارجعوا إلى ما كنتم عليه من الأديان.

إن المؤمن حينما يردد قوله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ يدرك أن هذا تحريض على الجهاد، فقد أعلمت الآية الكريمة أن الحذر لا يدفع القدر، وأن أحداً لا يموت قبل الأجل، وإذا جاء الأجل لا يندفع الموت بشيء، فلا فائدة من الخوف، وهكذا فإن الرد على الإشاعة كان توطيداً للعقيدة، وتدعيماً للإيمان، وتوطيداً للنفس المؤمنة على تحمل الشدائد، وتقريراً في صراحة واضحة لطبيعة الجهاد.

ومـن هنـا ندرك بعض الأمور التي عالـج الـدين بها هـذا النمط من الإشاعات، والحرب النفسية التي كان يشنها المنافقون والكفار.

ومن أساليب الأعداء النفسية: أنه إذا اطلعت طائفة المنافقين على أمر يتعلق بقوة المسلمين أو ضعفهم، أفشوه ونشروه، جاهرين به؛ للتغرير بالمسلمين، أو إلقاء الرعب في قلوبهم، أو توصيل أنبائهم إلى أعدائهم.

ولو أن هؤلاء المنافقين المذيعين ردوا أمر الأمن أو الخوف إلى الرسول، وإلى أولي الأمر من القواد وكبار الصحابة، وطلبوا معرفة الحقيقة

من جهتهم، لعلم أولئك الذين يحاولون استخراج الوقائع وإذاعتها الحق من جانب الرسول والقادة، ولولا فضل الله عليكم بتثبيت قلوبكم على الإيمان، ومنع الفتنة، ورحمته بتمكينكم من أسباب الظفر والانتصار، لاتبع أكثركم إغواء الشيطان، ولم ينج من إغوائه إلا القليل.

قال تعالى:

﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[النساء: ٨٣].

ومن أساليبهم في الحرب النفسية أيضاً: أن تدور تصرفاتهم حول الوصولية الباطلة الزائفة المجردة من الإيمان بالله.

قال تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾[النساء: ١٤١].

لقد كان المنافقون في حربهم النفسية يظهرون فرحهم بمصائب المؤمنين، ويتربصون بهم الدوائر، وبخاصة إذا لم يكن الفوز في الحرب النفسية من نصيب المؤمنين.

على أن هذه الشماتة لم تفد المنافقين في شيء؛ لأنها لم تخرجهم من دائرة الخوف والحيرة، وإنما أضافت إلى قلوبهم أوضاراً من الخسة والدناءة، وإلى نفوسهم أقنعة ليستتروا بها من مهانة العجز.

ومن أساليب الأعداء في حربهم النفسية: السخرية والاستهزاء والتهكم، إنهم يستهزئون بالقرآن الكريم، قال الله تعالى:

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤ - ١٢٧].

والمعنى: إذا ما نزلت سورة من سور القرآن، وسمعها المنافقون، سخروا واستهزؤوا وقال بعضهم لبعض: أيكم زادته هذه السورة إيماناً؟!

ولقد رد الله عليهم بأن هنالك فرقاً بين المنافقين والمؤمنين. فأما المؤمنون الذين أبصروا النور، وعرفوا الحق، فزادتهم آيات الله إيماناً، وهم عند نزولها يفرحون ويستبشرون. وأما المنافقون الذين مرضت قلوبهم، وعميت بصائرهم عن الحق، فقد زادتهم كفراً إلى كفرهم، وماتوا وهم كافرون.

أولا يعتبر المنافقون بما يبتليهم الله به في كل عام مرة أو مرات من ألوان البلاء؛ بكشف أستارهم، وظهور أحوالهم، وينصر المؤمنين؛ إذ يظهر باطلهم، ثم لا يتوبون عما هم فيه، ولا هم يذكرون ما وقع لهم؟! وكذلك إذا ما أنزلت سورة وهم في مجلس الرسول ﷺ، تغامزوا، وقال بعضهم لبعض: هل يراكم أحد؟ ثم انصرفت قلوبهم عن متابعته، والإيمان

به. زادهم الله ضلالاً بسبب تماديهم بالباطل، وإعراضهم عن الحق؛ لأنهم قوم لا يفقهون[1].

إن من أساليب الكفار في حربهم النفسية: الاستهزاء بالنبي ﷺ، قال الله تعالى:

﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾[الأنبياء: ٣٦].

ومعنى الآية الكريمة: إذا رآك ـ أيها النبي ـ الذين كفروا بالله، وبما جئت به، لا يضعونك إلا موضع السخرية والاستهزاء.

يقول بعضهم لبعض: هذا الذي يذكر آلهتكم بالعيب؟ وهم بذكر الله الذي يعمهم برحمته، وهم لا يصدقون.

وقال تعالى:

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾[الفرقان: ٤١].

وقال تعالى:

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ﴾[محمد: ١٦].

ومعنى الآية الكريمة: أن من الكفار فريقاً يستمعون إليك يا محمد غير مؤمنين بك، ولا منتفعين بقولك، حتى إذا انصرفوا من مجلسك، قالوا استهزاء للذين أوتوا العلم: أي قول قال محمد الآن؟

---

(١) ابن كثير ـ تفسير القرآن.

أولئك الذين طبع الله على قلوبهم الكفر، فانصرفوا عن الخير منقادين لشهواتهم.

وقال الله تعالى:

﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾[الزخرف: ٣١].

ومعنى الآية الكريمة: قال المشركون استخفافاً بمحمد رسول الله ﷺ، واستعظاماً أن ينزل عليه القرآن: هلا نزل القرآن الذي يزعم أنه وحي الله على رجل عظيم من مكة أو الطائف؟ وقد رد الله عليهم بقوله تعالى:

﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[الزخرف: ٣٢].

وقال تعالى:

﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا﴾[الفرقان: ٧ ـ ١٦].

ومعنى الآية الكريمة: أن المشركين سخروا من الرسول ﷺ، فقالوا: أي شيء يمتاز به هذا الذي يزعم أنه رسول؟ فهو يأكل الطعام كما نأكل، ويتردد في الأسواق لكسب عيشه كما يفعل سائر البشر.

لو كان رسولاً، لكفاه الله ذلك، ولسأل ربه أن ينزل له ملكاً من السماء يساعده على الإنذار والتبليغ، ويصدقه في دعوته، فنؤمن به.

وهلا سأل ربه أن يكفيه مؤونة التردد على الأسواق، فيلقي إليه كنزاً من السماء ينفق منه، أو يجعل له حديقة يقتات من ثمارها؟

وقال كبار الكافرين الذين ظلموا أنفسهم بالكفر، صادين الناس عن الإيمان بمحمد، ومحاولين تشكيك المؤمنين: ما تتبعون إلا رجلاً مسحوراً عقله، فهو يهذي بما لا حقيقة له.

وقد كان من حربهم النفسية: الاستهزاء بالدين وشعائره.

قال الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾[المائدة: ٥٧ ـ ٥٨].

وسلاح الاستهزاء في الحرب النفسية ليس جديداً في أن يستعمله أهل الكفر ضد أهل الإيمان.

قال الله تعالى:

﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾[الأنبياء: ٤١] و[الأنعام: ١٠].

ولقد ذكر لنا القرآن الكريم كيف أن قوم نوح قد كذبوه، وسخروا منه، وكذلك قوم شعيب ـ عليهما السلام ـ.

نعم، إن استخدام أسلوب الاستهزاء في الحرب النفسية ليس جديداً على ألسنة أعداء الإيمان.

ومن أساليبهم في هذا المجال: إظهار ألفاظ الطاعة والولاء كستار يحاولون به إخفاء كيدهم المبيت، وتدبيرهم الخفي الفاسد.

قال تعالى:

﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [النساء: ٨١].

نزلت هذه الآية في المنافقين، كانوا يظهرون الإسلام عند رسول الله ﷺ ليأمنوا، فإذا خرجوا، خالفوا. يقولون: أمرك مطاع، وليس لك منا إلا الطاعة فيما تأمر، ولكن إذا خرجوا من عندك، وابتعدوا عنك، دبرت طائفة منهم أمراً، وبيتت غير الذي تقوله أنت لهم من أمر ونهي، والله ـ سبحانه وتعالى ـ يحصي عليهم ما يدبرونه في خفاء، فلا تلتفت إليهم، وأعرض عنهم.

ومن أساليبهم كذلك: محاولتهم كسب ثقة المؤمنين بإظهارهم لأعمال من الطاعات جعلوها ستاراً يخفون وراءها نفاقهم. فأعمالهم هذه صدرت منهم جسداً بلا روح؛ حيث فقدوا الإيمان.

ولقد ادعى بعض اليهود الدخول في الإسلام، ولكنهم في الحقيقة كانوا منافقين، ومن هؤلاء: داعس وسعد بن حنيف، وزيد بن اللصيت، ورافع بن حريملة، وغيرهم، وكان هؤلاء المنافقون يتخذون المسجد

وحلقات العلم مجلساً لهم يتعقبون أخبار المسلمين؛ لينقلوا ذلك إلى اليهود، وإلى حلفائهم من المشركين، ولكن المسلمين شكوا في تهجدهم، فراقبوهم حتى ظهر منهم ما ينقل هذا الشك إلى اليقين، فانقض المسلمون عليهم، وكشفوا أمرهم، وأنزلوا بهم عقوبات مختلفة بحسب ما ثبت من جرائمهم.

ومن أساليبهم في الحرب النفسية أيضاً: مزجهم سوء كيدهم بضحكهم وخوفهم ولعبهم، فإن وجدوا أن شر قولهم قد انفضح، وأن حربهم النفسية قد باءت بالفشل، وأن ما انطوت عليه قلوبهم من الشر والكيد والسوء والنفاق قد أظهره الله وفضحهم، فإنهم سرعان ما يدّعون أنهم ما أرادوا إلا الخوض واللعب.

ومن العجيب أنهم في نفاقهم يحذرون أن تنزل فيهم آيات تفضح ما تكنه قلوبهم من النفاق.

وقال تعالى:

﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾[التوبة: ٦٤ ـ ٦٦].

إن المنافقين يستهزئون فيما بينهم بالرسول، ويخشون أن ينفضح أمرهم، فتنزل فيهم على النبي آيات من القرآن تظهر ما يخفون ويسرونه فيما بينهم.

فقل لهم أيها الرسول: استهزئوا ما شئتم، فإن الله مظهر ما تخشون ظهوره. تأكد أيها الرسول أنك إن سألت المنافقين بعد افتضاح أمرهم عن سبب طعنهم في الدين، واستهزائهم بالله وآياته، اعتذروا بقولهم: كنا نخوض في الحديث، ونلهو، فقل لهم: كيف ساغ لكم أن تخوضوا أو تلهوا مستهزئين بالله وآياته ورسوله؟! لا تعتذروا، قد ظهر كفركم بعد ادعائكم الإيمان، فإن نعف عن طائفة منكم تابت وآمنت بسبب إيمانها وصدق توبتها، فسنعذب طائفة أخرى منكم بسبب إصرارها على الكفر والنفاق، وإجرامها بحق الرسول والمؤمنين.

ومن هنا ندرك أن مما يستنبط من بعض تلك الآيات القرآنية الكريمة هو أن الرابطة بين المؤمنين مبنية على ثلاث دعائم: روح، وعاطفة، وعقل.

أما الروح: فهي الالتقاء على الحق والهدى والخير، والتمسك بالدين: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[آل عمران: ١٠٣].

أما العاطفة: فهي القوة المتماسكة والمترابطة، والقلوب المتعاطفة المتآلفة المتحابة؛ ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾[آل عمران: ١٠٣].

أما العقل: فيكون باليقظة الواعية، والعمل على ما فيه الخير والصلاح، والتقويم لكل انحراف عن الطريق المستقيم، إن أهل الإيمان يستغرقون أعمارهم في تحصيل رضاء الله، ويدعون خلق الله إلى الله، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر.

إنه مجتمع المثالية والألفة، ومجتمع الخير والحق والهداية، والعمل الصالح والفلاح في الدنيا والآخرة.

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[آل عمران: ١٠٤].

محاولات الإيقاع بالمسلمين:

ومن أساليب الحرب النفسية: محاولة الإيقاع بين المسلمين وبين من يتعاطف معهم، وذلك بواسطة الإغراء المادي، وإثارة الفتنة من ناحية الدين.

إن مثيري الفتنة لم يؤمنوا بدين من يتوددون إليهم، ولكنهم أرادوا استغلالهم في إيصال الأذى للمسلمين.

ومن أساليب الكفار في حربهم النفسية: افتعال المواقف التي يظنون أنها تضع النبي ﷺ في مأزق، مستخدمين في ذلك دهاءهم وكذبهم. فقد قدم رجل من أراش بإبل له إلى مكة، فابتاعها منه أبو جهل بن هشام، فماطله بأثمانها، فأقبل الأراشي حتى وقف على نادي قريش، قال:

يا معشر قريش! أنا غريب، وابن سبيل، وقد غلبني أبو الحكم بن هشام على حقي. فرجل منكم يأخذ حقي منه. ورسول الله ﷺ جالس في ناحية المسجد، فقال أهل المجلس للأراشي: ترى ذلك الرجل؟

يعنون رسول الله ﷺ، إنه نديم أبي الحكم، اذهب إليه، فهو يأخذ لك حقك منه؛ يهزؤون به؛ لما يعلمون من شدة عداوة أبي جهل لرسول الله ﷺ والأراشي لا يعرفه، فأقبل الأراشي حتى وقف أمام رسول الله ﷺ، فقال:

يا عبدالله! إن أبا الحكم بن هشام قد غلبني على حقي، وأنا غريب وابن سبيل، وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يأخذ لي حقي، فأشاروا

عليك، فخذ لي منه حقي رحمك الله. فقام رسـول الله ﷺ معـه، فلما رآه أهل المجلس قد قام معه، قالوا لرجل منهم: اتبعه، وانظر ما يصنع. فجاء رسول الله ﷺ إلى أبي جهل، فضرب عليه بابه.

فقال: من هذا؟ قال: «محمد، اخرج إلي». فخرج إليه وما معه روحه، وقد امتقع لونه، فقال له رسول الله ﷺ: «أعط هذا الرجل حقه».

فقال: نعم لا يبرح حتى أعطيه الذي له. فدخل فخرج إليه بحقه، فدفعه إليه. ثم انصرف رسول الله ﷺ، فقـال للأراشي «الحق بشأنك». فأقبل الأراشي حتى وقف على ذلك المجلس.

فقال: جزاه الله خيراً، فقد والله! أخذ لي حقي.

وجاء الرجل الذي بعثوه معه، قالوا ما الذي رأيت؟

قال: عجباً من العجب، والله! ما هو إلا أن ضرب عليه بابه، فخرج إليه، وما معه روحه، فأعطاه حقه. ثم لم يلبث أن جاء أبو جهل، فقالوا له: مالك؟ والله! ما رأينا مثل ما صنعت، وتحدثوا بأنهم هم أشاروا على الأراشي بالذهاب إلى محمد هزءاً، لما سألهم وجيهاً عندك، ونديماً يأخذ له حقه. فقال أبو جهل: ويحكم والله! إن هو إلا أن ضرب على بابي، وسمعت صوتـه، فملئت منـه رعباً، وخرجت إليـه، وإن فوق رأسـه لفحـلاً من الإبـل ما رأيت مثل هامته ولا أنيابه لفحل قط، والله! لو أبيت، لأكلني[1].

ومن أساليبهم في الحرب النفسية: الدفاع عن الباطل، وإخفاؤهم الحقيقة، محاولين الإيقاع في الخطأ والضلال ولكن خاب ظنهم، وفشل كيدهم، ووضح الحق والعدل، وثبت الإنصاف، ولا عجب أن نرى تحت

---

(١) ابن هشام ـ السيرة النبوية، ج١، ص٣٣٦.

لواء الإسلام وعدالته قد وضح العدل، وأقيم الإنصاف، حتى ولو كان الذي يحقق له الإسلام العدل من غير المسلمين.

نعم، لقد حقق الإسلام العدل في أسمى صورة، لقد أعلن الإسلام بأن كفر الكافر لا يبيح أن يلحقه حيف وظلم، إن الدين يشرق بنور العدالة، ويفضح منافقين حاولوا جاهدين أن يلحقوا بيهودي تهمة لم يقترفها، وجريمة لم يرتكبها، فجاء الإسلام بنور الحق يعلن العدل في وضوح ومثالية عليا، وينزل الوحي لتبرئة يهودي من جريمة سرقة لم يرتكبها.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[النساء: ١٠٥ ـ ١٠٦].

مما روي في سبب نزول الآية الكريمة: أن طعمة بن أُبيرِق سرق درعاً، فلما طلب الدرع منه، رمى واحداً من اليهود بتلك السرقة، ولما اشتدت الخصومة بين قومه وبين قوم اليهودي، جاء قومه إلى الرسول ﷺ، وطلبوا منه أن يعينهم على هذا المقصود، وأن يلحق هذه الخيانة باليهودي.

فنزلت الآية الكريمة...

وقد قيل: إن طعمة بن أبيرق سرق درعاً لقتادة بن النعمان، وكان الدرع في جراب فيه دقيق، فجعل الدقيق ينتشر من خرق في الجراب حتى انتهى إلى الدار، ثم خبأها عند رجل من اليهود، فالتمس الدرع عند طعمة، فلم تكن عنده، وحلف: مالي بها علم.

فقال أصحابه: بل والله! لقد دخل علينا، فأخذها، وطلبنا أثره حتى دخل داره، فرأينا أثر الدقيق، فلما حلف، تركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى

انتهوا إلى منزل اليهودي، فأخذوه منه، فقال: دفعها إلي طعمة، فقال قوم طعمة: انطلقوا إلى رسول الله ﷺ[1]، وليجادل عن صاحبنا؛ فإنه بريء، فأتوه فكلموه في ذلك، فنزلت هذه الآية الكريمة.

ومن أساليبهم: افتعال أسئلة لا علاقة لها بجوهر ما يدعو إلى الإيمان والإذعان له، ولكنهم قصدوا الامتحان والإحراج.

قال تعالى:

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[الإسراء: ٨٥].

ومن العجيب أن يتعاون أهل الباطل المختلفون في العقيدة، ولكنهم اتفقوا على شيء واحد، هو عداؤهم للحق، ومعارضتهم للنبي ﷺ.

وفي سبب نزول هذه الآية: أخرج أحمد، والترمذي، وصححه عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، قال: قالت قريش لليهود: أعطونا شيئاً نسأل هذا الرجل، فقالوا: سلوه عن الروح، فسألوه، فنزلت هذه الآية الكريمة[2].

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[الإسراء: ٨٥].

قالوا: علماً كثيراً: أوتينا التوراة، ومن أوتي التوراة، فقد أوتي خيراً كثيراً[3].

---

(١) ابن كثير ـ تفسير القرآن العظيم، ج١، ص٦٧١ ـ ٦٧٢.

(٢) تفسير الجلالين، ص٤٣٦ ـ ٤٣٧.

(٣) ابن هشام ـ السيرة النبوية، ج١، ص٣٢٢.

فأنزل الله تعالى:

﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾[الكهف: ١٠٩].

ومما يروى في سبب النزول هو: أن اليهود قالت لقريش: سلوا محمداً عن ثلاث، فإن أخبركم عن اثنتين، وأمسك عن الثالثة، فهو نبي: سلوه عن فتية فقدوا، وسلوه عن ذي القرنين، وسلوه عن الروح، فسألوه عنها، ففسر لهم أمر الفتية في الكهف، وفسر لهم قصة ذي القرنين، وأمسك عن قصة الروح[1].

فنزلت هذه الآية:

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[الإسراء: ٨٥].

رواه عطاء عن ابن عباس[2].

ومن أساليبهم: افتعال مطالب لأمور لا علاقة لها بجوهر ما يدعون إليه. إنهم فقدوا الأسلوب الموضوعي للقضية من حيث هي، وإنما ذهبوا إلى التعنت في مطالب لا علاقة لها مطلقاً بالحق، ولا صلة لها بالعقيدة التي يطلب منهم اعتقادها، ولا صلة لها بالدين الحق الذي يدعون إلى الاستجابة له، ونبذ ما هم عليه من عقائد فاسدة باطلة... مع أن الحق واضح، وليس لهم حجة لباطلهم الزائف.

---

(١) ابن هشام ـ السيرة النبوية، ج١، ص ٣٣٧ ـ ٣٣٨.

(٢) ابن هشام ـ السيرة النبوية، ج١، ص٣٢٣.

وقد بين الله في هذا القرآن الكريم أحسن بيان ضروباً من الأمثال والمواعظ والأحكام التي يكون بها الاعتبار. ولقد نوع الله تعالى مناهج البيان بوجوه مختلفة للناس في هذا القرآن من كل معنى هو كالمثل في غرابته، فأبى أكثر الناس إلا الجحود والإنكار[1].

حيث قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾[الإسراء: ٨٩].

ولما ظهر إعجاز القرآن، ولزمتهم الحجة، اقترحوا الآيات والمعجزات؛ فعلَ المحجوج المبهوت المتحير.

فقالوا: لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من أرض مكة عيناً لا ينقطع ماؤها، أو يكون لك بمكة بستان من نخيل وعنب، فتفجر الأنهار وسطه تفجيراً كثيراً، أو تسقط السماء فوق رؤوسنا قطعاً؛ كما زعمت أن الله توعدنا بذلك، أو أن تأتي بالله والملائكة، فنقابلهم معاينة ومواجهة، أو يكون لك بيت من زخرف: من ذهب، أو تصعد في السماء، ولن نصدقك في هذه الحال إلا إذا جئتنا بكتاب من الله يقرر فيه صدقك نقرؤه. وقل لهم: أُنزه ربي أن يتحكم فيه أحد، أو يشاركه في قدرته، ما كنت إلا بشراً كسائر الرسل، ولم يأتوا قومهم بآية إلا بإذن الله[2].

قال تعالى:

﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ۝٩٠ أَوْ تَكُونَ لَكَ

---

(١) د. مصطفى مسلم محمد ـ معالم قرآنية في الصراع مع اليهود، ص ٥٥ ـ ٦٠.

(٢) ابن هشام ـ السيرة النبوية، ج١، ص٣٤٦.

جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾[الإسراء: ٩٠ ـ ٩٣].

إن حرب الأعداء النفسية قد تعددت أنواعها، وتشعبت أساليبها، لا تقف عند حدود معينة، وإنما يبذلون قصارى جهدهم ومكرهم وحيلهم. إن الأعداء لهم أسلحة كثيرة من أسلحة المكر والخديعة، يبغون للنبي ﷺ الغوائل، ويحاولون تشتيت أمره، وإبطال دينه، وإظهارهم ما ليس في قلوبهم، وميلهم إلى النبي في الظاهر محاولين الخداع، وموالاة المشركين في الباطن، وحلفهم بالله وهم كاذبون، ولكن الله تعالى ناصر دينه.

التصدي لحملات العدو النفسية، ووسائل مقاومة الحرب النفسية:

جاء في «صحيح البخاري»:

حدثنا محمد، حدثنا أبو معاوية عن هشام، عن أبيه، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[آل عمران: ١٧٢]؟ قالت لعروة: يا بن أختي! كان أبوك الزبير منهم، وأبو بكر، لما أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب يوم أحد، وانصرف المشركون، خاف أن يرجعوا.

قال: «من يذهب في إثرهم[١]؟»

فانتدب منهم سبعين رجلاً، قال: كان فيهم أبو بكر، والزبير[٢].

---

(١) البخاري ـ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ـ كتاب: المغازي، ج٥، ص٣٨.

(٢) النووي ـ صحيح مسلم بشرح النووي ـ الحديث النبوي الشريف (٢٤١٨).

ومما قاله الحافظ شهاب الدين أبو الفضل العسقلاني المعروف بابن حجر في شرحه «فتح الباري بشرح البخاري» (ج٧، ص٣٧٦): قوله: باب: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[آل عمران: ١٧٢]؛ أي سبب نزولها، وأنها تتعلق بأحد[1]:

قال ابن إسحق: كان أحد يوم السبت المصادف النصف من شوال، فلما كان الغد يوم الأحد السادس عشر من شوال، أذن رسول الله ﷺ في الناس بطلب العدو، وأن لا يخرج معنا إلا من حضر بالأمس، فاستأذنه جابر ابن عبدالله في الخروج معه، فأذن له؛ حيث خرج مرهباً للعدو، وليظنوا أن الذي أصابهم لم يوهنهم من طلب عدوهم. فلما بلغ حمراء الأسد، لقيه سعيد بن أبي معبد الخزاعي ـ فيما حدثني عبدالله بن أبي بكر ـ، فعزاه بمصاب أصحابه، فأعلمه أنه لقي أبا سفيان ومن معه وهم بالروحاء، وقد تلوموا في أنفسهم[2]، وقالوا: (أصبنا جل أصحاب محمد وأشرافهم، وانصرفنا قبل أن نستأصلهم)، وهموا بالعودة إلى المدينة، فأخبرهم سعيد أن محمداً قد خرج في طلبهم في جمع لم أر مثله ممن تخلف عنه بالمدينة.

قال: فثناهم ذلك عن رأيهم، فرجعوا إلى مكة[3].

وقال ابن كثير في «تفسيره»:

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[آل عمران: ١٧٢] في سبب نزولها قولان:

---

(١) ابن حجر ـ شهاب الدين أبو الفضل العسقلاني ـ فتح الباري، ج٧، ص٣٧١.

(٢) البيهقي ـ دلائل النبوة، ج٣، ص ٣١٤.

(٣) د. علي محمد الصلابي ـ السيرة النبوية، ج٢، ص١٢١.

أحدهما: أن المشركين لما انصرفوا يوم أحد، ندب النبي ﷺ أصحابه لاتباعهم، ثم خرج بمن انتدب معه، فلقي أبو سفيان قوماً، فقال: إن لقيتم محمداً، فأخبروه أني في جمع كثير، فلقيهم النبي ﷺ، فسألهم عنه، فقالوا:

لقيناه في جمع كثير، ونراك في قلة[1].

فأبى إلا أن يطلبه، فسبقه أبو سفيان فدخل مكة، فنزلت هذه الآية. هذا قول ابن عباس والجمهور.

والثاني: أن أبا سفيان لما أراد الانصراف عن أُحد، قال: يا محمد! موعد بيننا وبينك موسم بدر، فلما كان العام المقبل، خرج أبو سفيان، ثم ألقى الله في قلبه الرعب، فبدا له الرجوع، فلقي نعيم بن مسعود، فقال: إني قد واعدت محمداً وأصحابه أن نلتقي بموسم بدر الصغرى، وهذا عام جدب لا يصلح لنا، فثبطهم عنا، وأعلمهم أنا في جمع كثير، فلقيهم فخوفهم.

فقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، وخرج النبي ﷺ بأصحابه حتى أقاموا في بدر ينتظرون أبا سفيان[2]، فنزل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[آل عمران: ١٧٢].

وهذا المعنى مروي عن مجاهد، وعن عكرمة.

والاستجابة هي الإجابة.

---

(١) ابن كثير ـ تفسير القرآن العظيم، ج١، ص٥٢١ ـ ٥٢٧.

(٢) ابن كثير ـ البداية والنهاية، ج٤، ص٥٠.

من هنا ندرك أن ما تم عقب غزوة أحد يمكن أن يكون نوعاً من الحملات النفسية الهجومية على نفسية العدو، ترد كيده، وتصد محاولاته، وتثبت أن عزائم المؤمنين ما زالت قوية، وتخيف الأعداء، وتبثُّ الرعب في نفوسهم، ولهذا فإن ما همَّ به الكفار من محاولة الرجوع إلى المؤمنين لاستئصالهم لم يتم، وذلك للرد على محاولاتهم بإظهار الاستعداد على المواجهة مرة أخرى.

وإذا كان التهويل من قوة العدو لم يضعف من عزيمة المؤمنين، فإن الأمر لا يصل إلى التهوين من قوة العدو، فيندفع المؤمنون إلى الانطلاق خلف العدو الراجع إلى مكة.

إن المؤمنين لم ينطلقوا خلف العدو ليفتحوا مكة في هذه الغزوة؛ لأن فتح مكة لم يأت وقته بعد، فمن دعائم الجهاد ومن متطلباته: الإرادة والإعداد، والصبر والإيمان، والتخطيط والثبات، واليقظة والعمل الدائب المنظم، والعقل الواعي، والتوقيت المناسب.

بل إن الجهاد بمعناه العام له عدة أساليب، وليس له إستراتيجية واحدة فقط هي الالتحام الدائم المتواصل، بل له أساليب متعددة... تتلاقى في العمل على الوصول إلى الهدف، وإذا كان المؤمنون قد مرت عليهم تلك الشدائد في غزوة أحد، فلم تنل الشدائد من عزائمهم، بل أشرقت أنوار يقينهم، وضياء ثباتهم، فما ذا كان من شأن المنافقين بعد موقفهم المتخاذل وخيانتهم، وبعد ما فعلوه من رجوعهم وامتناعهم عن المشاركة في غزوة أحد؟

ماذا كان شأن المنافقين بعدما رأوا انكشاف الشدة عن المؤمنين؟

إن الجواب نراه في موقف عبدالله بن أُبَيّ ابن سلول رأس المنافقين[1]، الذي انخذل بثلث الناس قبل معركة أحد، وانصرف عن القتال قائلاً:

ما ندري علام نقتل أنفسنا هاهنا أيها الناس؟! فرجع ابن سلول مع من اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب. إن ابن سلول بعد انكشاف الشدة عن المؤمنين حاول أن يلقي بستائر الألفاظ ليخفي وراءها ما فعله، ولكن هل يمكن أن يقبل المؤمنون استمرار المنافقين في محاولات زيفهم؟ إن المؤمنين لم يقبلوا أن يسكتوا على النفاق، فواجهوه بما يلائمه من التحقير والإهانة[2].

قال ابن إسحق: فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، وكان عبدالله بن أبي ابن سلول ـ كما حدثني ابن شهاب الزهري ـ له مقام بقومه كل جمعة، لا ينكر له شرف في نفسه وفي قومه.

وكان فيهم شريفاً، إذا جلس رسول الله ﷺ يوم الجمعة وهو يخطب الناس، قام فقال:

أيها الناس! هذا رسول الله ﷺ بين أظهركم، أكرمكم الله وأعزكم به، فانصروه وعزروه، واسمعوا له وأطيعوا، ثم يجلس، حتى إذا صنع يوم أحد ما صنع، ورجع الناس، قام يفعل ذلك كما كان يفعله، فأخذ المسلمون بثيابه من نواصيه، وقالوا:

اجلس أي عدو الله! لست لذلك بأهل وقد صنعت ما صنعت، فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول: والله! لكأنما قلت بجراً أن قمت أشدد

---

(١) د. علي محمد محمد الصلابي ـ السيرة النبوية، ج٢، ص٨١ ـ ٨٣.

(٢) ابن كثير ـ البداية والنهاية، ج٤، ص١٤.

أمره! فلقيه رجل من الأنصار بباب المسجد، فقال: مالك ويلك؟!.

قال: قمت أشدد أمره، فوثب علي رجال من أصحابه يجذبونني، لكأنما قلت بجراً أن قمت أشدد أمره، قال: ويلك! ارجع يستغفر لك رسول الله ﷺ.

قال: والله! ما أبتغي أن يستغفر لي[1].

قال ابن إسحق: وكان يوم أحد يوم بلاء ومصيبة وتمحيص اختبر الله ﷻ به المؤمنين، ومحن به المنافقين ممن كان يظهر الإيمان بلسانه، وهو مستخف بالكفر، ويوماً أكرم الله فيه من أراد كرامته بالشهادة من أهل ولايته[2].

تتجلى قدرة المسلمين على مقاومة الحرب النفسية ضدهم بالوسائل التالية:

أولاً: قوة الترابط والألفة.

إنها قوة الصلة والترابط والتعاون على فعل الخير، قال تعالى:

﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[المائدة: ٢].

وقوة الصلة في الدعوة إلى التراحم والتعاطف، والعمل الحسن النافع، والإصلاح بين الناس، والإخلاص لله في ذلك. تتم على المستوى الخاص والعام. فالخاص فيها هو قوة الصلة بين الآباء والأبناء، وبين الأقارب كصلة الرحم. وكثيرة هي الآيات القرآنية الكريمة التي نزلت بهذه الجوانب.

---

(١) ابن كثير ـ البداية والنهاية، ج٤، ص٥٣.

(٢) البخاري ـ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ـ صحيح البخاري، ج٥، ص٣٨.

أما في جانبها العام، فإن قوة الترابط تتحد في أن يكون المؤمن مصدر أمن وخير، وعدل وسلام ومحبة صافية لإخوانه المسلمين.

وفي الحديث النبوي الشريف العديد من الأحاديث التي تدعو إلى الترابط والألفة بين المسلمين.

قال ﷺ:

«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[1].

وقال ﷺ:

«المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»[2].

وقال ﷺ:

«المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه. من كان في حاجة أخيه، كان الله في حاجته. ومن فرج عن مسلم كربة، فرج الله عنه ألف كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً، ستره الله يوم القيامة»[3].

وهنالك العديد من الأحاديث النبوية التي تشير إلى الترابط والألفة، ولقد كان لهذه الألفة والترابط دور مهم في سد الأبواب بوجه الحرب النفسية للمشركين والمنافقين.

---

(١) النووي الإمام أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف ـ شرح النووي على صحيح مسلم، الحديث (٤٦٨٥).

(٢) البخاري ـ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ـ صحيح البخاري، ج١، ص٨.

(٣) النووي الإمام أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف ـ شرح النووي على صحيح مسلم، الحديث (٤٦٧٧).

ثانياً: قوة الاستعداد.

وتكون بأمور:

منها: حسن الصلة بالله، وحسن الصلة بين المؤمنين بعضهم مع بعض، والاستعداد الروحي، والبعد عن الشقاق والتنازع.

قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[الأنفال: ٤٥ ـ ٤٦].

وعن أنس ﷺ، قال: كان رسول الله ﷺ إذا غزا قال: «اللَّهم أنت عضدي ونصيري. بك أحول، وبك أصول، وبك أقاتل».

ومنها: الاستعداد العلمي: فالعلم في صورته العامة الشاملة النافعة في جميع المجالات، مع حسن النية، وحسن التوجيه للعلم، قال ﷺ:

«من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهل الله له طريقاً إلى الجنة»[1].

ومنها: الاستعداد المادي، والأخذ بأسباب القوة المتعددة الكثيرة، والحكمة في الانتفاع بتلك القوة، وحسن استخدامها.

على أن هناك أسئلة متعلقة بالقوة المادية، وتكون الإجابة عنها ومراعاتها في حكمة ودراية، وعلم وخبرة، وإيمان وإخلاص، وهذه الأسئلة المتعلقة بالقوة المادية هي: كيف تستخدم؟ ومتى تستخدم؟ ولأي شيء تستخدم؟

---

(١) البخاري ـ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ـ صحيح البخاري، ج١، ص٢٥.

وقد أمر الله تعالى بإعداد القوة، وبذل الجهد والاستطاعة والمال في الإعداد.

قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[الأنفال: ٦٠].

ثالثاً: اليقظة والحذر، والتصرف بحكمة، والعمل بمقتضى ما يتلاءم مع كل حالة.

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا﴾[النساء: ٧١].

والمعنى: يا أيها الذين آمنوا! كونوا في حذر دائم من أعدائكم، وخذوا الأهبة لرد كيدهم، واخرجوا لقتالهم جماعات متفرقة، جماعة بعد جماعة، أو اخرجوا لهم مجتمعين.

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ۝ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ۝ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[الحجرات: ٦ ـ ٨].

والمعنى: يا أيها الذين آمنوا! إن جاءكم فاسق بأي خبر، فتبينوا من صدقه؛ مخافة أن تصيبوا أي قوم بأذى ـ جاهلين حالهم ـ فتصبحوا على

ما فعلتم ـ بعد ظهور براءتهم مغتمين على وقوعه، متمنين أنه لو لم يقع منكم، واعلموا أيها المؤمنون ـ أن فيكم رسول الله، فقدروه حق قدره، واصدقوه، لو يطيع ضعاف الإيمان منكم في كثير من الأمور، لوقعتم في المشقة والهلاك. ولكن الله حبب إليكم الإيمان، وزينه في قلوبكم. وبغض إليكم جحود نعم الله، والخروج عن حدود شريعته ومخالفة أوامره، أولئك هم ـ وحدهم ـ الذين عرفوا طريق الهدى، وثبتوا عليه؛ تفضلاً كريماً، وإنعاماً عظيماً من الله عليهم، والله محيط علمه بكل شيء، ذو حكمة بالغة في تدبير كل شأن.

رابعاً: المعرفة الواسعة بالعدو.

مما لاشك فيه أن معرفة العدو وطبيعة أساليبه المتعددة لها أثرها في الوقاية من العدو ومكائده وخطره.

ومما روي في غزوة بدر ـ فيما يتعلق بمعرفة أخبار العدو[1] ـ: قال ابن إسحق: ثم رجع رسول الله ﷺ إلى أصحابه، فلما أمسى، بعث علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص في نفر من أصحابه إلى بدر يلتمسون الخبر له ﷺ كما حدثني يزيد بن روحان عن عروة بن الزبير ـ فأصابوا راوية لقريش فيها أسلمُ غلام بني الحجاج، وعريض بن يسار غلام بني العاص ابن سعيد، فأتوا بهما، فسألوهما، ورسول الله ﷺ يصلي، فقالا:

نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من الماء. فكره القوم خبرهما، ورجوا أن يكونا لأبي سفيان، فضربوهما، فلما أزلقوهما، قالا: نحن لأبي سفيان، فتركوهما. فركع النبي ﷺ، وسجد سجدتيه، ثم سلم وقال: «إذا

(١) ابن هشام ـ السيرة النبوية، ج٢، ص٢٦٨.

صدقاكم، ضربتموهما، وإذا كذباكم، تركتموهما، صدقاً والله! إنهما لقريش، أخبراني عن قريش».

قالا: هم والله! وراء الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى، والكثيب: العقنقل - فقال لهما رسول الله ﷺ:

«كم القوم؟»، قالا: كثير.

قال: «ما عدتهم؟»، قالا: لا ندري.

قال: «كم ينحرون كل يوم؟»، قالا: يوماً تسعة، ويوماً عشراً.

فقال رسول الله ﷺ: «القوم ما بين التسع مئة والألف».

ثم قال: «فمن فيهم من أشراف قريش؟».

قالا: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو البختري بن هشام، وحكيم بن حزام، ونوفل بن خويلد، والحارث بن عامر بن نوفل، وطعمة ابن عدي بن نوفل، والنضر بن الحارث، وزمعة بن الأسود، وأبو جهل بن هشام، وأمية بن خلف، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، وسهيل بن عمرو، وعمرو بن عبد ود العامري.

فأقبل رسول الله ﷺ[1] على الناس، فقال: «هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها».

قال ابن إسحق: وكان بسبس بن عمرو، وعدي بن أبي الزغباء قد مضيا حتى نزلا بدراً، فأناخا إلى تل قريب من الماء، ثم أخذا شناً لهما

---

(١) ابن هشام - السيرة النبوية، ج٢، ص٢٦٩.

يسقيان فيه، ومجدي بن عمرو الجهني على الماء، فسمع عدي وبسبس جاريتين من جواري الحاضر، وهما تتلازمان على الماء.

والملزمة تقول لصاحبتها: إنما تأتي العير غداً، أو بعد غد، فأعمل لهم، ثم أقضيك الذي لك.

قال مجدي: صدقت، ثم خلص بينهما.

وسمع ذلك عدي وبسبس، فجلسا على بعيرهما، ثم انطلقا فأتيا رسول الله ﷺ، فأخبراه بما سمعا.

على أن مقاومة الحرب النفسية والوقاية من كيد العدو والتأثير النفسي تكون بأمور.

منها: مخاطبة العقول، وتنبيهها، والعمل على توجيهها وإقناعها، وذلك بأمور:

أ ـ الدعوة إلى العقيدة الصحيحة، وإلى الطريق المستقيم، وإقامة الأدلة على ذلك، ومن ذلك:

قوله تعالى:

﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ﴾[الطور: ٣٥].

وقوله تعالى:

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾[المؤمنون: ١١٥ ـ ١١٦].

وقوله تعالى:

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٧٨ ـ ٨٣].

وقوله تعالى:

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣].

ب ـ بيان الواقع الخاطئ الذي يعتنقه الكفار، والضلال الذي يتخبطون في ظلماته، مع بيان الرد على ضلالاتهم بالأدلة الواضحة، والبراهين الساطعة.

قال الله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣].

وقال الله تعالى:

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئْتُونِي بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الأحقاف: ٤ ـ ٥].

ج ـ دعوتهم إلى أن يتركوا باطلهم، ويعملوا عقولهم، ويفكروا فيما يدعون إليه من الحق والهدى.

قال الله تعالى:

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾[النساء: ٨٢].

وقال الله تعالى:

﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝٥ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا وَزَيَّنَّـٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَـٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّـٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَـٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًاۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴾[ق: ٥ ـ ١١].

د ـ بيان حرية الاختيار، ونفي الإكراه، مع التنبيه على أن يتحملوا مسؤوليتهم فيما يؤول إليه اختيارهم.

قال تعالى:

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[البقرة: ٢٥٦].

وقال تعالى:

﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾[الكهف: ٢٩].

هـ ـ بيان أن كفر الكافرين لن يغير من موقف المؤمنين في التمسك بالإيمان، ولن يغيـر من حقيقـة الحق، فالحق ثابت، سواء آمنوا، أو لم يؤمنوا.

قال الله تعالى:

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[البقرة: ١٣٥ ـ ١٣٦].

و ـ الإخلاص في النصح والتبليغ.

قال تعالى:

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾[ص: ٨٦ ـ ٨٨].

وقال الله تعالى:

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[سبأ: ٤٧].

ز ـ بيان أن المهمة هي التبليغ.

قال الله تعالى:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾[ص: ٦٥ ـ ٦٦].

وقال الله تعالى:

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾[الغاشية: ٢١].

ح ـ بيان الالتزام بما يدعو إليه، وإعلان الطاعة التامة لله ﷻ.

قال الله تعالى:

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[الأنعام: ١٤ ـ ١٧].

وقد شهد الله ﷻ للنبي ﷺ بالكمال البشري، والطاعة التامة له ﷻ، والامتثال الكامل لما يوحى إليه، وقد أكمل الله عليه نعمته.

فقال الله ﷻ:

﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم: ١ ـ ٤].

وقال الله تعالى:

﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾[النجم: ١ ـ ٥].

ومن عوامل التأثير النفسي: الترغيب والترهيب:

قال الله تعالى:

﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾[الحجر: ٤٩ ـ ٥٠].

قال الله تعالى:

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾[غافر: ١ ـ ٣].

وقال الله تعالى:

﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ۝٤ فَمَا كَانَ دَعۡوَىٰهُمۡ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٥ فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٖۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۝٧ وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٨ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ﴾[الأعراف: ٤ ـ ٩].

ومن عوامل التأثير النفسي أيضاً: باب التوبة لكل من أراد التوبة، فبإعلان التوبة الصادقة يصبح التائب مغفوراً له ما مضى قبل الإسلام، غيرَ مؤاخذ بما ارتكب من جرائم قبل إسلامه، مهما كانت تلك الجرائم، ولو كانت تلك الجرائم قتلاً للمسلمين، وحرباً ضدهم، إنه بإعلان إسلامه يصبح مندمجاً تمام الاندماج وسط المسلمين كواحد منهم، لا يفرق بينه وبينهم في المعاملة، وفي الثقة، وفي تحمل ما يتحمله المسلمون، إنه لا يعيش حاضره بعقدة ماضيه، بل يصبح إنساناً جديداً تعانقه القلوب المؤمنة، وتبتسم له الشفاه التي طالما تحركت بالنصح لتدعوه إلى الإيمان، وتنصحه بالإسلام، فإذا ما جاء مسلماً، فلا شيء عليه بالنسبة لماضيه، إنه يسير جنباً إلى جنب مع كل من كان قتل أباه المسلم، ويجلس مع من قتل ابنه المسلم (قبل الإسلام)، إنه يعيش في أمن وطمأنينة، لا يقال له قول يؤذيه، أو يهدد بما فعل في ماضيه. كلا، فقد أصبح واحداً من المسلمين، ولا فرق بينه وبينهم.

قال الله تعالى:

﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[الأنفال: ٣٨].

ومن عوامل التأثير النفسي: دعوة الإسلام إلى السلام:

قال الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾[البقرة: ٢٠٨].

إن معنى تلك الآية الكريمة: يا أيها الذين آمنوا! كونوا جميعاً مسالمين فيما بينكم، ولا تثيروا العصبيات الجاهلية وغيرها من أسباب النزاع والخلاف، ولا تسيروا في طريق الشيطان الذي يرفعكم إلى الشقاق؛ فإنه لكم عدو مبين.

ففي الآية دعوة عامة إلى السلام، وتفيد: أن الحرب والخصام هي من السير وراء الشيطان، وأنها تدعو عامة المؤمنين إلى أن يكونوا مسالمين مع غيرهم، ولا حرب فيما بينهم. إن الآية تدل على أن الأصل في العلاقة بين الدولة الإسلامية وغيرها هي السلم، وإن ذلك هو مبدأ الأديان السماوية، ففي الوقت الذي كان قانون الغاب هو الذي يحكم بين الدول، وهو الذي يحدد العلاقات بينها؛ القوي يأكل الضعيف، جاء الإسلام بذلك المبدأ السامي، هو أن العلاقة هي السلم، وإذا كان القتال، فإنه لدفع الأعداء؛ أي: لحمل المعتدي على أن يكون مسالماً، فاحرب التي شرعها الإسلام، وشرعتها الأديان هي لتثبيت دعائم السلم، وتحقيق العدل.

وقال تعالى:

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[التوبة: ٦ ـ ٧].

والمعنى: إن طلب منك الأمان ـ أيها الرسول ـ أحد المشركين الذين أمرتم بقتالهم ليسمع دعوتك، فآمّنه حتى يسمع كلام الله، فإن دخل في الإسلام، فهو منكم، وإن لم يدخل، فأبلغه مكاناً يكون فيه آمناً، وهذا الأمر بتأمين المستجير حتى يسمع كلام الله بسبب ما ظهر من جهله للإسلام، ورغبته في العلم به.

كيف يكون لهؤلاء المشركين الناقضين للعهود عهد محترم عند الله، وعند رسول الله، فلا تأخذوا بعهودهم، إلا الذين عاهدتموهم من قبائل العرب عند المسجد الحرام، ثم استقاموا على عهدهم، فاستقيموا أنتم لهم على عهدكم ماداموا مستقيمين، إن الله يحب الطائعين له، الموفين بعهودهم.

ومن عوامل التأثير النفسي: إثارة الرعب والخوف في قلب العدو؛ لإلحاق الهزيمة به عند الحرب، ولمنعه من الحرب، ولصده عن الاعتداء.

قال الله تعالى:

﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ

بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[الأنفال: ١٢ ـ ١٤].

ومن عوامل التأثير النفسي كذلك: العمل على أن لا تجتمع كلمة العدو في حربه للمؤمنين:

ففي غزوة الخندق جاء نعيم بن مسعود إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله! إني قد أسلمت، وإن قومي لم يعلموا إسلامي، فأمرْني بما شئت. فقال رسول الله ﷺ: «أما أنت فينا رجل واحد، فخذِّلْ عنا إن استطعت؛ فإن الحرب خدعة»، فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة، وكان لهم نديماً في الجاهلية.

فقال: يا بني قريظة! قد عرفتم ودي إياكم، وخاصة ما بيني وبينكم.

قالوا: صدقت، لست عندنا بمتهم[1].

فقال لهم: إن قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم، البلد بلدكم، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم، لا تقدرون أن تحولوا منه إلى غيره. وإن قريشاً وغطفان قد جاؤوا لحرب محمد وأصحابه. وقد ظاهرتموهم عليه، وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره، فليسوا كأنتم، فإن رأوا نهزة، أصابوها، وإن كان غير ذلك، لحقوا ببلادهم، وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرافهم يكونوا بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تناجزوه.

---

(١) ابن هشام ـ السيرة النبوية، ج٣، ص٢٤٠.

فقالوا له: لقد أشرت بالرأي، ثم خرج حتى أتى قريشاً.

فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش: قد عرفتم ودي لكم، وفراقي محمداً، وأنه قد بلغني أمر قد رأيت علي حقاً أن أبلغكموه نصحاً لكم، فاكتموا عني، فقالوا: نفعل.

قال: تعلموا إن معشر اليهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا إليه: إنا قد ندمنا على ما فعلناه، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالاً من أشرافهم، فنعطيكم، فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستأصلهم؟

فأرسل إليهم: أن نعم، فإن بعثت إليكم يلتمسون رهناً من رجالكم، فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً.

ثم خرج حتى أتى غطفان، فقال: يا معشر غطفان! إنكم أهلي وعشيرتي، وأحب الناس إلي، وآراؤكم تهمني، قالوا: صدقت، ما أنت عندنا بمتهم[1].

قال: فاكتموا عني، قالوا: نفعل، ما أمرك؟

ثم قال لهم مثل ما قال لقريش، وحذرهم ما حذرهم، فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس للهجرة، وكان من صنع الله لرسوله ﷺ أن أرسل أبو سفيان بن حرب ورؤوس غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان، فقالوا لهم: إنا لسنا بدار مقام، قد هلك الخف والحافر، فاغدوا للقتال حتى نناجز محمداً، ونفرغ مما بيننا وبينه،

---

(١) البيهقي ـ دلائل النبوة، ج٣، ص٤٤٥ ـ ٤٤٦.

فأرسلوا إليهم، فقالوا له: إن اليوم يوم السبت، وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً، ولقد كان أحدث فيه بعضناً حدثاً، فأصابه ما لم يخف عليكم، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رهناً من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمداً؛ فإنا نخشى إن هزمتكم الحرب، واشتد عليكم القتال، أن تنشمروا إلى بلادكم، وتتركونا والرجل في بلدنا، ولا طاقة لنا بذلك منه.

فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة، قالت قريش وغطفان: والله! إن الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحق، فأرسلوا إلى بني قريظة: إنا والله! لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا، فإن كنتم تريدون القتال، فاخرجوا فقاتلوا.

فقالت بنو قريظة حين انتهت الرسل إليهم بهذا: إن الذي دلكم إليه نعيم بن مسعود لحق، ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا، فإذا رأوا فرصة، انتهزوها، وإن كان غير ذلك، انشمروا إلى بلادهم، وخلوا بينكم وبين الرجل في بلدكم. فأرسلوا إلى قريش وغطفان: إنا والله! لا نقاتل[1] معكم حتى تعطونا رهناً، فأبوا عليهم، وخذل الله بينهم، وبعث الله عليهم الريح في ليالي شاتية باردة شديدة البرد، تكفأ قدورهم، وتطرح آنيتهم، فلما انتهى إلى الرسول ﷺ ما اختلف من أمرهم، وما فرق الله من جماعتهم، دعا حذيفة بن اليمان، فبعثه إليهم لينظر ما فعلوا ليلاً.

ومن عوامل النجاح، والحفاظ على الروح المعنوية للمؤمنين: المحافظة على أسرار المؤمنين، وعدم إفشائها للعدو:

---

(١) ابن هشام ـ السيرة النبوية، ج٣، ص٢٤٠.

وفي هذا أيضاً إرباك لنفسية العدو، وإحباط لكيده؛ حيث يتعذر عليه معرفة ما لا يجوز له أن يعرفه، فتخطئ تقديراته، وتفشل تصرفاته، وقد حذر الله المؤمنين من إفشاء الأسرار للعدو.

فقال الله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[الأنفال: ٢٧].

ومما روي في سبب نزول تلك الآية الكريمة: أنها نزلت في أبي لبابة ابن عبد المنذر، وذلك أن النبي ﷺ لما حصر قريظة، سألوه أن يصالحهم على ما صالح عليه بني النضير؛ على أن يسيروا إلى أرض الشام، فأبى أن يعطيهم ذلك إلى أن ينزلوا إلى حكم سعد بن معاذ، فأبوا وقالوا. أرسل إلينا أبا لبابة، وكان مناصحاً؛ لأن ولده وأهله كانوا عندهم، فبعثه إليهم[١].

فقالوا: ما ترى؟ أننزل إلى حكم سعد بن معاذ؟ فأشار أبو لبابة بيده على حلقه أنه الذبح، فلا تفعلوا، فنزلت الآية الكريمة.

قال أبو لبابة: فما زالت قدماي حتى علمت أني خنت الله ورسوله[٢].

حزن أبو لبابة، وقام وربط نفسه على سارية في المسجد.

وقال: والله! لا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى أموت، أو يتوب الله علي، فمكث سبعة أيام حتى خر مغشياً عليه، ثم تاب الله عليه.

---

(١) د. علي محمد محمد الصلابي ـ السيرة النبوية، ج٢، ص٢٨٩.

(٢) البيهقي ـ دلائل النبوة، ج٤، ص١٤ـ١٦.

فقال: والله! لا أحل نفسي حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحلني، فجاء فحله بيده.

فقال أبو لبابة: إن من تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت بها الذنب، وأن أنخلع من مالي[1].

فقال رسول الله ﷺ: «يجزئك الثلث».

ولما كان الإنسان شديد الحب والحرص على أمواله وأولاده، وكان تعلقه بهم يتسبب عنه وقوعه في الإثم والعقاب، أو يدعوه إلى الاتصاف ببعض الرذائل؛ كالبخل والخيانة، فقد جعلهم الله فتنة.

فقال الله تعالى:

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[الأنفال: ٢٨].

قال ابن عباس رضي الله عنهما في نزول الآية الكريمة: إنها خطاب لأبي لبابة؛ لأنه كانت له أموال وأولاد عند بني قريظة.

وقال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ۝١ إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ

---

(١) عبد الكريم زيدان ـ المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، ج٢، ص٢٨٦.

﴿أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ۝ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الممتحنة: ١ ـ ٣].

ذكر أهل التفسير: أنها نزلت في حاطب بن أبي بلتعة، وذلك أن سارة مولاة أبي عمرو بن صيفي بن هاشم أتت رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة، ورسولُ الله ﷺ يتجهز لفتح مكة، فقال لها: «أمسلمة أنت؟»، قالت: لا.

فقال: «فما جاء بك؟»، قالت: أنتم الأهل والعشيرة والموالي، وقد احتجت حاجة شديدة، فقدمت إليكم لتعطوني، فقال لها رسول الله ﷺ: «فأين أنت من شباب أهل مكة؟»، وكانت مغنية، فقالت: ما طلب مني شيء بعد وقعة بدر، فحث رسول الله ﷺ بني عبد المطلب، فكسوها، وحملوها، وأعطوها، فأتاها حاطب بن أبي بلتعة، فكتب معها كتاباً إلى أهل مكة، وأعطاها عشرة دنانير على أن توصل الكتاب إلى أهل مكة، (وكتب في الكتاب: من حاطب إلى أهل مكة): إن رسول الله ﷺ يريدكم، فخذوا حذركم، فخرجت به سارة[1]، ونزل جبريل فأخبر رسول الله ﷺ بما فعل حاطب، فبعث رسول الله ﷺ علياً، وعماراً، والزبير، وطلحة، والمقداد، وأبا مرثد، وقال[2]:

«انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ[3]؛ فإن فيها ظعينة معها كتاب

---

(١) د. علي محمد محمد الصلابي ـ السيرة النبوية، ج٢، ص٤٨٨.

(٢) البخاري ـ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ـ صحيح البخاري ـ الحديث النبوي الشريف (٣٩٨٣).

(٣) روضة خاخ: مكان يقع بين مكة والمدينة.

من حاطب إلى المشركين، فخذوه منها، وأخلوا سبيلها، فإن لم تدفعه إليكم، فاضربوا عنقها»، فخرجوا حتى أدركوها، فقالوا لها: أين الكتاب؟ فحلفت بالله ما معها من كتاب، ففتشوا متاعها، فلم يجدوا شيئاً[1].

فهموا بالرجوع، فقال علي: والله! ما كذبنا، ولا كذبنا، وسل سيفه وقال: أخرجي الكتاب، وإلا ضربت عنقك، فلما رأت الجد، أخرجته من ذؤابتها، فخلوا سبيلها، ورجعوا بالكتاب إلى رسول الله ﷺ، فأرسل إلى حاطب فأتاه.

فقال له: «هل تعرف هذا الكتاب؟»، قال: نعم، قال: «فما حملك على ما صنعت؟»، فقال: يا رسول الله! والله! ما كفرت منذ أسلمت، ولا غششتك منذ نصحتك، ولا أحببتهم منذ فارقتهم، ولكن لم يكن أحد من المهاجرين إلا وله بمكة من يمنع عشيرته، وكنت غريباً فيهم، وكان أهلي بين ظهرانيهم، فخشيت على أهلي، فأردت أن أتخذ عندهم يداً. وقد علمت أن الله ينزل بهم بأسه، وكتابي لا يغني عنهم شيئاً، فصدقه رسول الله ﷺ، وعذره، ونزلت هذه السورة تنهى حاطباً عما فعل، وتنهى المؤمنين أن يفعلوا فعله، فقام عمر بن الخطاب، فقال: يا رسول الله! دعني أضرب عنق هذا المنافق[2].

فقال رسول الله: «وما يدريك يا عمر؟ لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم».

ثم إن رسول الله ﷺ وأبا بكر الصديق رضي الله عنه كانا يتعرفان أخبار قريش

---

(١) البخاري ـ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ـ صحيح البخاري، ج٧، ص٨٩.

(٢) تفسير القرطبي، ج١٨، ص٥٢.

قبيل غزوة بدر[1].

فمما روي: قال ابن إسحق:

(... حتى وقف على شيخ من العرب، فسأله عن قريش، وعن محمد وأصحابه، وما بلغه عنهم، فقال الشيخ: لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما؟ فقال رسول الله ﷺ: «إذا أخبرتنا، أخبرناك»، فقال: أذاك بذاك؟ قال: «نعم»[2].

قال الشيخ: فإنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني، فهم اليوم بمكان كذا وكذا: المكان الذي به رسول الله ﷺ، وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان الذي أخبرني صدقني، فهم اليوم بمكان كذا وكذا: المكان الذي فيه قريش، فلما فرغ من خبره، قال: ممن؟ فقال رسول الله ﷺ: «نحن من ماء»، ثم انصرف عنه. قال: يقول الشيخ: ما من ماء؟! أمن ماء العراق؟

قال ابن هشام: يقال: ذلك الشيخ: سفيان الضمري.

وفي إجابة الرسول ﷺ: العمل على إبعاد الرجل عن كشف سر رسول الله ﷺ وصاحبه أبي بكر الصديق ﷺ، وتنزهه ﷺ عن الكذب[3].

وبأسلوب التورية من المحافظة على سر رسول الله ﷺ وصاحبه أبي بكر الصديق ﷺ نجد إجابة سيدنا أبي بكر الصديق ﷺ حين سئل عن

---

(١) البخاري ـ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ـ صحيح البخاري، ج٧، ص١٠.

(٢) ابن هشام ـ السيرة النبوية، ج٢، ص٢٦٦.

(٣) ابن هشام ـ السيرة النبوية، ج٢، ص٢٦٧ ـ ٢٦٨.

النبي ﷺ وهما مهاجران إلى المدينة.

فقال: (هاد يهديني)، فظاهر كلامه: أنه هاد يرشده إلى طريقه في السفر، وهو يريد: أنه يهديه إلى الإسلام، ويرشده إلى عبادة الله وحده، وقد يصل الأمر بالإخفاء إلى درجة تثير التقدير العظيم(١).

فقد بعث رسول الله ﷺ عبدالله بن جحش بن رئاب الأسدي في رجب مقفله من بدر الأولى، وبعث معه ثمانية رهط، وكتب له كتاباً، وأمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين، ثم ينظر فيه، فيمضي لما أمره به، ولا يستكره من أصحابه أحداً... فلما سار عبدالله بن جحش يومين، فتح الكتاب، فنظر فيه، فإذا فيه: إذا نظرت في الكتاب، فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف، فترصد بها قريشاً، وتعلم لنا من أخبارهم.

فلما نظر عبدالله بن جحش في الكتاب، قال: سمعاً وطاعة، ثم قال لأصحابه: قد أمرني رسول الله ﷺ أن أمضي إلى نخلة أرصد منها قريشاً حتى آتيهم منهم بخبر، وقد نهاني أن أستكره أحداً منكم. فمن كان منكم يريد الشهادة، ويرغب فيها، فلينطلق، ومن كره ذلك، فليرجع، فأما أنا، فماض لأمر رسول الله ﷺ، فمضى، ومضى معه أصحابه، لم يتخلف عنه منهم أحد.

وهكذا كان الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ يقدرون ما يكلفون به وينفذون أمر رسول الله ﷺ بروح المؤمنين الصادقين المخلصين، الذين

---

(١) محمد بن عبد الباقي الزرقاني ـ شرح الزرقاني على المواهب، ج١، ص ٣٥٥، (نقلا عن معين السيرة).

يعيشون في نور المراقبة لله ﷻ، وسمو الطاعة لله، ورسول الله ﷺ[١].

ومن عوامل التأثير النفسي: ما وضحه النبي في عمرة القضاء[٢]؛ حيث خرج في ذي القعدة في الشهر الذي صده فيه المشركون معتمراً عمرة القضاء، ومكان عمرته التي صدوه عنها، خرج ومعه المسلمون ممن كان صد معه في عمرته تلك، وهي سنة سبع، فلما سمع به أهل مكة، خرجوا عنها، وتحدثت قريش فيما بينها: أن محمداً وأصحابه في عسرة وجهد وشدة.

قال ابن إسحق: فحدثني من لا أتهم عن ابن عباس، قال: صفوا له عند دار الندوة؛ لينظروا إليه ولأصحابه، فلما دخل رسول الله ﷺ، اضطبع بردائه، وأخرج عضده اليمنى، ثم قال: «رحم الله امرأً أراهم اليوم من نفسه قوة»[٣]، ثم استلم الركن، وخرج يهرول، ويهرول أصحابه معه، حتى إذا واراه البيت منهم، واستلم الركن اليماني، مشى حتى يستلم الركن الأسود، ثم هرول كذلك ثلاث أطواف، ومشى سائرها، فكان ابن عباس يقول: كان الناس يظنون أنها ليست عليهم، وذلك أن رسول الله ﷺ إنما صنعها لهذا الحي من قريش؛ للذي بلغه، حتى إذا حج الوداع، فلزمها، فمضت السنة بها[٤].

---

(١) محمود شيت خطاب ـ الرسول القائد، ص٢٠٩ ـ ٢١٠.

(٢) د. علي محمد محمد الصلابي ـ السيرة النبوية، ج٢، ص٤٥٢.

(٣) البخاري ـ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ـ صحيح البخاري، ج٧، ص٨٦.

(٤) محمود شيت خطاب ـ الرسول القائد ﷺ، ص٢٠٩ ـ ٢١٠.

ومن عوامل التأثير النفسي: الاتصال الشخصي والجماعي، والعلاقات الإنسانية:

يشرق على ذلك نور القرآن الكريم، وضياء الحديث النبوي الشريف، والقدوة الحسنة من جانب الرسول ﷺ والصحابة أجمعين.

ففيما يتعلق بالقرآن الكريم قال الله ﷻ:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[يونس: ٥٧].

وقال الله تعالى:

﴿إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[الإسراء: ٩ ـ ١٠].

وقال الله تعالى:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[الأنفال: ٢].

وقال الله تعالى:

﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱلْعُلَى﴾[طه: ١ ـ ٤].

هذا وقد تكلم الإمام الحارث بن أسد المحاسبي عن القرآن الكريم، وعن الذين انتفعوا بالقرآن، وأثمرت عظة القرآن الكريم في قلوبهم، وتدبروا

معاني القرآن، وفهموا قول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[يونس: ٥٧].

مما قاله الإمام الحارث المحاسبي عن تلك الآية الكريمة: (فلما عقلوا ذلك عن ربهم، ابتغوا منه الشفاء والهدى والرحمة، فداووا به قساوة قلوبهم، وغسلوا به درن ذنوبهم، ووضعوا دواءه على أدواء قلوبهم، ونفوا به سوء النيات من ضمائرهم، وأزالوا به وحر صدورهم، ونظروا ببصائرهم إلى ما يشبه الشبهات من سوء الدلائل، ومكائد الشيطان، وزخرف المبطلين، وكشفوا بدلائله ما وارته الظلمات، وغطته الشهوات من خفيات الغيوب، فنظروا بنور هداية كلام الرب ـ جل ذكره ـ، وواضح دلائله إلى ما خفي عن الغافلين المؤثرين لأهوائهم على استيضاح كتاب ربهم ـ جل مولانا وتعالى ـ، فهتكوا بنوره كل ظلام، وكشفوا بتبيانه كل ضلالة وبدعة؛ لأن الدليل واضح، والصراط المستقيم الذي جعله للناس إماماً، ورضي به بينهم حاكماً، فأماتوا عنده كل شهوة، وابتعثوا بتأمله كل رغبة، وصنعوا بتشوقه إلى جوار المولى الكريم، وصبروا لأحكامه في كل عسر ويسر، وتأدبوا بأدبه في كل أقوالهم، وتزينوا بأخلاقه في كل أمورهم، فصاروا للقيام به والمتعبدين أعلاماً.

يرجع الحائرون عن الحق إلى سبيلهم، ويتأدبون بمكارم الأخلاق، ويتزينون بزينة هديهم، ويستضيئون بنور هديهم، ويدينون بما ألزموا من برهان حجته، فارغب إلى الله ﷻ في طلب آثارهم، وسلوك طريقهم.

أما فيما يتعلق بالحديث النبوي الشريف، فقد أكرم الله نبيه ﷺ.

قال تعالى:

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾[النجم: ٣ ـ ٤].

وقال تعالى:

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[الحشر: ٧].

وعن أبي نجيح العرباض بن سارية السلمي ﷺ: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجبت منها القلوب، وذرفت منها العيون. قلنا: يا رسول الله! كأنها موعظة مودع، فأوصنا.

قال: «أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد، وإنه من يعش منكم، فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجد، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة»[1] رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي.

عن المقدام بن معديكرب، قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أني أوتيت القرآن ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال، فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام، فحرموه، وإن ما حرم رسول الله ﷺ كما حرم الله» رواه أبو داود، وابن ماجه[2].

---

(١) الدارمي ـ عبدالله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي ـ سنن الدارمي، الحديث النبوي (٩٥).

(٢) أبو داود ـ سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني، سنن أبي داود، ج٤، ص٢٠٠.

ومن الاتصال المباشر الشخصي والجماعي، والعلاقات الإنسانية: تبليغ النبي ﷺ لأهل مكة وغيرها من مدن الحجاز، واتصاله الشخصي بهم، ودعوتهم إلى الإيمان، وقد تعب الرسول ﷺ تعباً شديداً في ممارسة تلك الوسيلة.

حيث إن الرسالة التي جاء بها ﷺ لقيت نفوراً واعتراضاً كبيراً من جانب العرب في مكة، وإن كانت تربطه بهؤلاء المكيين وشائج القربى؛ لأنهم من قريش، والرسول ﷺ من قريش، ومن ثم لم يكن غريباً ما سمعناه عن الأذى الذي لقيه النبي ﷺ من بعض أعمامه ـ وهو أبو لهب ـ وقد بلغ أبو لهب وزوجته في إعنات الرسول ﷺ حتى نزلت سورة من سور القرآن الكريم في ذم أبي لهب وزوجته، وفيها يقول الله ﷻ:

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ﴾[المسد: ١ ـ ٥].

ولم تستطع المعارضة أن تمنعه من التبليغ، والاتصال المباشر بالعامة والفقراء، وبزعماء قريش.

وقد عرض رسول الله ﷺ نفسه على القبائل العربية هنا وهناك؛ ليناقش أفرادها، سواء كانوا من الأغنياء، أو الفقراء، وكان ﷺ لا يفرق بين المؤمنين.

ومن الاتصال: ما حصل في لقائه ﷺ برجال من أهل المدينة وهو في مكة قبل أن يهاجر إلى المدينة، وقد حصلت بيعة العقبة الأولى. . .

هذا ومن الاتصال المباشر الشخصي والجماعي والعلاقات الإنسانية:

أ ـ بعثات الرسول ﷺ إلى الملوك والأمراء يدعوهم إلى اعتناق الإسلام.

ب ـ استقبال الرسول ﷺ للوفود العربية التي وفدت عليه بالمدينة لكي تسلم على يديه.

وكان النبي ﷺ يرسل مع كل وفد من هذه الوفود بالقراء والمعلمين الذين يفقهونهم في الدين، ويفسرون لهم بعض آيات القرآن الكريم.

ومما لاشك فيه أن سيرة الرسول ﷺ، وعظمته الخلقية، وكماله النفسي، وغير ذلك من الكمالات البشرية التي امتاز بها عن سائر البشر، وهي الصفات التي عبر بها القرآن الكريم مخاطباً الرسول ﷺ بقوله تعالى:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

لاشك أن هذه السيرة العطرة، والمثل الأعلى في الأخلاق والمعاملات والعبادات، كانت مصدر إشعاع ونور، ومثار دهشة كبيرة من جميع العرب في مكة والمدينة، وفي غيرهما من أرجاء شبه الجزيرة العربية.

كان الناس يتحدثون عن هذه الصفات التي اكتملت للنبي ﷺ، وكان هذا التحدث في ذاته عاملاً قوياً من عوامل التأثير النفسي والإبداعي في انتشار الإسلام.

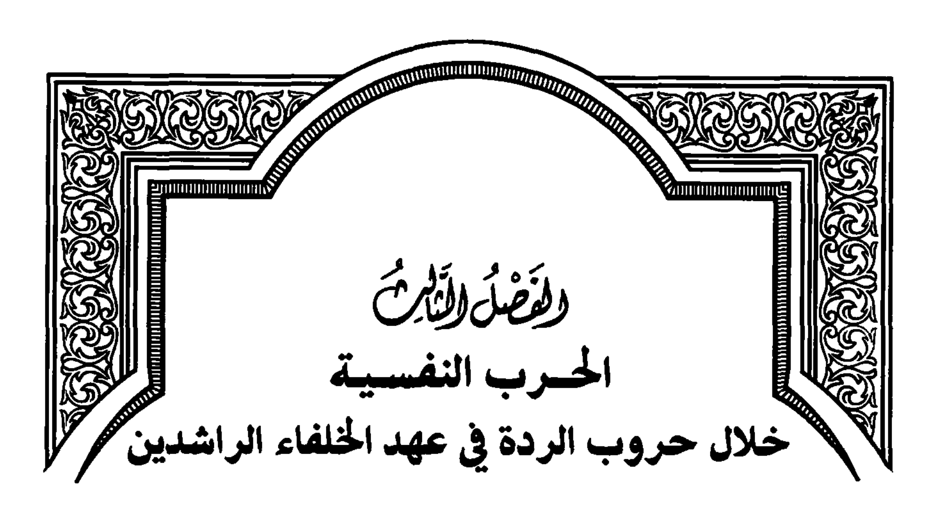
والحق أن الهجرة في ذاتها كانت وسيلة من أبلغ وسائل التنبيه إلى الإسلام، ذلك أن مجرد خروج المسلمين من بلد كانوا فيه منذ نشأتهم يخلق تساؤلاً كبيراً في المجتمع الذي فيه تشويه لأخبار هذا الدين الجديد، وذلك بفعل مشركي مكة، لذلك لا عجب أن تسمى الهجرة بأنها نصر.

قال تعالى:

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِيَ

ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠].

❑❑❑



الفصل الثالث

الحرب النفسية

خلال حروب الردة في عهد الخلفاء الراشدين

بواعث القتال في الإسلام:

تعددت أسباب القتال عند العرب قبل الإسلام، فكان من تلك الأسباب:

الغزو للحصول على الغنيمة؛ حيث عدوا العدوان مفخرة من مفاخرهم، بل كانوا يعدون نقض العهد وخفر الذمم أمارة القوة والعزة عندهم؛ كما كان الصراع على الماء والمرعى سبباً آخر في نشوب القتال بينهم.

وكذلك كانت المنافسة، وحب السيادة، وطلب الثأر، وانتهاك حرمة، أو الاعتداء على جار.

جاء الإسلام فجعل للقتال هدفاً آخر هو الجهاد، ويمكن إيجاز بواعث القتال في الإسلام بما يلي:

١ ـ حماية العقيدة، والدفاع عن الدين الإسلامي تمثل في مدافعة المسلمين للمشركين.

قال تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ

ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[الحج: ٤٠].

وقد عنى بقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ﴾:

أي: لولا دفع الله المشركين بالمسلمين بقتالهم وجهادهم(١).

٢ ـ القتال من أجل نشر الدين. يقول رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله»(٢).

وذكر ابن عباس: أن النبي ﷺ كان يوصي أمراء الأجناد إذا وجههم بتقوى الله، وبمن معهم من المسلمين خيراً، ويقول:

«اغزوا باسم الله، تقاتلون من كفر بالله»(٣).

وكذلك كان يفعل الخلفاء من بعده. فلقد قال أبو بكر الصديق ﷺ عندما امتنع المرتدون من دفع الزكاة:

(والله لا أفرق بين الصلاة والزكاة، ولأقاتلن من فرق بينهما).

وقال كذلك: (لو منعوني عقالاً، لقاتلتهم عليه)(٤).

وكذلك عمر بن الخطاب قال لسلمة بن قيس: (سر باسم الله، تقاتل في سبيل الله من كفر بالله)(٥).

وذكر نصر بن مزاحم قول علي بن أبي طالب ﷺ: (فإنكم وزعة الله في

---

(١) الطبري ـ تفسير، ج١٧، ص١٢٤ ـ ١٢٦.
(٢) ابن حنبل ـ، ج١، ص١٨١ (أبو هريرة).
(٣) المصدر نفسه، ج١، ص١٨٢.
(٤) أبو يوسف ـ الخراج، ص٢١٠.
(٥) الطبري ـ تاريخ، ج٣، ص٢٣١.

الأرض، فكونوا له أعواناً، ولدينه أنصاراً، ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها، إن الله لا يحب المفسدين)[١].

٣ ـ الباعث الاقتصادي، ويتضح هذا في قول الرسول ﷺ محرضاً أصحابه للخروج إلى بدر: «هذه عير قريش، فيها أموالهم، فاخرجوا إليها؛ لعل الله أن ينفلكموها»[٢].

ويتضح هذا الباعث كذلك في قول رسول الله ﷺ لعمرو بن العاص: «أريد أن أبعثك على جيش، فيسلمك الله، ويغنمك، وأرغب لك من المال رغبة صالحة».

ويجيبه عمرو على ذلك بقوله: (يا رسول الله! ما أسلمت من أجل المال، بل أسلمت رغبة في الإسلام)، فيقول له رسول الله ﷺ: «نعم ما المال الصالح للمرء الصالح»[٣].

وكان لهذا العامل أثره في استجابة البعض، ومشاركتهم بالفتوح في عهد الصديق ﷺ يشير إلى هذا البلاذري في حديثه عن استجابة الناس لدعوته للجهاد بعد الردة بقوله: (سارع الناس إليه من بين محتسب وطامع، وأتوا المدينة)[٤].

وشجع خالد بن الوليد المقاتِلة بقوله لهم: (ألا ترون إلى الطعام كرفع التراب؟ وبالله! لو لم يلزمنا الجهاد بالله، والدعاء إلى الله ﷻ، ولم يكن إلا

---

(١) نصر بن مزاحم ـ صفين، ج٢، ص١٢٦.

(٢) ابن هشام، ج٢، ص٢٤٤.

(٣) ابن حجر ـ الإصابة، ج٣، ص٣ (أحمد بن حنبل).

(٤) البلاذري ـ فتوح، ص١١٥.

المعاش، لكان الرأي أن نصارع على هذا الريف حتى نكون أولى به، ونولي الجوع والإقلال من تولاه ممن اثّاقل عما أنتم عليه)[1].

وبعد تولي الخليفة أبي بكر الصديق ﷺ راح عمر بن الخطاب ﷺ يستنفر الناس لقتال الفرس ثلاثة أيام، وعمد إلى التذكير بحدودية بلاد العرب، والإغراء بالفيء؛ حيث قال: «إن الحجاز ليست لكم بدار إلا على النجعة، ولا يقوى عليه أهله بذلك»[2].

وحاول المثنى ترغيب الناس، فوقف قائلاً: (أيها الناس! لا يفطمن عليكم هذا، فإنا قد تبحبحنا ريف فارس، وغلبناهم على خير شقي السواد، وشاطرناهم، ونلنا منهم، واجترأنا من قبلنا عليهم، ولها إن شاء الله ما بعدها).

٤ ـ نقض العهد والاعتداء من طرف آخر[3].

٥ ـ كما أن الدفاع عن المستضعفين كان سبباً أو باعثاً للقتال في هذه الفترة، ويتضح ذلك في قوله تعالى:

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾[النساء: ٧٥].

ويقول المفسرون إن كلمة المستضعفين في هذه الآية بأنهم المقهورون[4]. ودللوا على ذلك بقول الله تعالى في الآية نفسها:

---

(١) الطبري ـ تاريخ، ج٤، ص٩.

(٢) الطبري ـ تاريخ، ج٤، ص٦١.

(٣) ابن هشام، ج٣، ص١٩١، سبب غزوة بني النضير، وبني قينقاع، ودومة الجندل.

(٤) طبري ـ التفسير، ج٥، ص١٠٧.

﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٧٥].

٦ ـ كان هناك دافع آخر تمثل في وجود متطلبات سوقية لحماية ما فتح من الأرض، وتأمين الدولة الإسلامية، وحماية ثغورها، ويظهر ذلك في قول عمرو بن العاص ﷺ للخليفة عمر بن الخطاب بشأن فتح مصر: (إنك إن فتحتها، كانت قوة للمسلمين، وعوناً لهم)[1].

فكان عمرو بن العاص يرى أن سواحل بلاد الشام لن تكون في مأمن قط مادام الأسطول البيزنطي معتمداً على قواعده في مصر.

الموقف الإسلامي والوضع بالحجاز:

ذهب النعاة إلى جميع ربوع الجزيرة العربية لتبليغ القبائل وعمال رسول الله ﷺ النبأ المحزن بوفاة قائدها ونبيها محمدﷺ، كما أن خبر انتخاب ومبايعة أبي بكر الصديق خليفة لرسول الله ﷺ وصل إلى الناس، وعلم به الجميع، ووصلت الأخبار بأوقات متفاوتة بالزمن بحسب بعدها عن المدينة.

حصل الاضطراب، ثم الردة في كل ناحية من الجزيرة العربية، ولكن بأشكال متفاوتة، ودرجات مختلفة.

بعضهم يرومون الرجوع إلى شبه جاهليتهم الأولى، والبعض يريدون أن يلقوا عن عواتقهم حكم وسلطان المدينة، ومنهم من اتبع أنبياء كذابين من قبائلهم، أو يستهدفون الاستقلال بأنفسهم، ومنهم من بقي على دينه،

---

(١) اليعقوبي ـ تاريخ، ج٢، ص١٣٧.

ولكنه لا حول له ولا قوة، ومنهم من امتنع عن دفع الزكاة فقط، وهناك من لهم اتصال بالفرس، أو بالروم[1].

اليهود والنصارى قلوبهم أكلها الحقد على محمد وأتباعه، وأخذوا بتأليب الروم على المسلمين.

حشود الروم كبيرة في البلقاء جاهزة للتعرض على الإسلام ولذلك كانت آخر وصية لرسول الله ﷺ هي بإرسال جيش أسامة لهم.

أما الفرس، فكانت جيوشهم قد زالت سيطرتها على جنوب الجزيرة العربية، وهم يستهدفون إرجاعها، وبثوا عملاءهم، وتحركوا لهذا الغرض.

أما المسلمون، فقد أصبحوا جماعات ضمن القبائل العربية المتمردة ومناطقها، حصرتهم الفتنة في منازلهم، ولا قوة لهم للمقاومة وإعادة الأمن، والقضاء على الردة والتمرد.

إذاً لقد كان هذا هو الموقف العام.

الموقف في الحجاز وإرسال جيش أسامة إلى الروم:

١ ـ المدينة:

حسم النزاع بين المهاجرين والأنصار بيوم واحد بانتخاب أبي بكر الصديق ﷺ خليفة للمسلمين، وبقيت المدينة عاصمة الإسلام، ولم يرتد منها أحد أبداً، وكانت القوة المتيسرة فيها بإمرة الخليفة هي جيش أسامة، وكان في موضع الاجتماع ينتظر أوامر الخليفة، سواء بالسير إلى الروم،

---

(١) علي العتوم ـ حركة الردة، ص١١٠.

أو بمعالجة الوضع المضطرب بالجزيرة العربية[1].

٢ ـ مكة المكرمة:

حاول بعض أهل مكة التحرك ضد سلطة المدينة، فخاف أميرها عتاب ابن أسيد بن أبي العاص بن أمية المعين من قبل الرسول محمد ﷺ، فاستخفى.

قام سهيل بن عمرو مفاوض قريش في الحديبية، وخطب بأهل مكة، وذكر وفاة النبي ﷺ، وقال: إن ذلك لم يزد الإسلام إلا قوة، فمن يرتد، نضرب عنقه، والله! ليمكن الله لكم هذا الأمر.

استتب الأمن في مكة بسهولة، ورجع أمير مكة عتاب إلى سلطته، ولما كان أمر السلطة في المدينة لقريش، والخلافة فيهم، اطمأن أهل مكة، وتمسكوا بالإسلام، وأصبحوا قوة أخرى تحت إمرة الخليفة مع أهل المدينة[2].

٣ ـ الطائف:

حاولت بعض ثقيف أن ترتد، فقام عثمان بن العاص عامل النبي ﷺ خطيباً، فقال: يا أبناء ثقيفا كنتم آخر الناس من أسلم، فلا تكونوا أول من يرتد.

كما ذكرت ثقيف معاملة الرسول ﷺ لهم بعد غزوة حنين والطائف، وكيف أنه تركهم بعد حصارهم لرغبتهم، حتى شملتهم هداية الله برضاهم، فأسلموا وبايعوا.

---

(١) ابن كثير ـ البداية والنهاية، ج٦، ص٣٠٥ ـ ٣٠٦.

(٢) الطبري ـ تاريخ، ج٢، ص٢٦٣.

كما أن ثقيف لها نسب بينها وبين أهل مكة وقربى، والخليفة أبو بكر الصديق ﷺ من مكة، وهذا له تأثير كبير في نفوسهم، فهم يساندون أهل مكة، فتمسكت ثقيف بإسلامها[1].

وهكذا ثبت هذا المثلث الإسلامي المبارك على دين الإسلام، وهذا مهم جداً؛ حيث إنه شكل مصدر قوة، وقاعدة أمينة للدولة الإسلامية؛ كما أن تأثيره النفسي على قبائل الجزيرة العربية كبير، وبذلك فإنه أضعف موقف المرتدين، وقوى شكيمة ومعنوية المسلمين، وأعطاهم زخماً كبيراً في التصدي للردة.

ومن الناحية العسكرية، فإن المسلمين بقوة إيمانهم ازداد عددهم وعدتهم بالمجاهدين، وبالإمكانيات المادية لهذا المثلث الإسلامي في منطقة الحجاز من الجزيرة العربية.

التمرد حول المدينة:

بعد أن وصل خبر وفاة الرسول ﷺ إلى قبائل العرب الأقرب إلى المدينة، وهي القبائل التي مضاربها على مقربة من المدينة، وقواتها على بعد ثلاثين ميلاً عن المدينة؛ حيث تقوم بشبه حصار للمدينة، وتمنع عنها الاتصال بالعالم الخارجي، وكانت نواياهم غير حسنة، إلا أنهم لم يتعرضوا حتى الآن على المدينة، ولكنهم أظهروا التمرد في وقت كانت القوة الجاهزة في المدينة هي جيش أسامة[2].

---

(١) ابن كثير ـ الكامل في التاريخ، ج٢، ص٢٤٩.

(٢) الطبري ـ التاريخ، ج٤، ص١٦٤.

إرسال جيش أسامة إلى الروم:

كانت الدولة الرومانية إحدى الدولتين المجاورتين للجزيرة العربية في عهد النبي ﷺ، وكانت تحتل أجزاء كبيرة من شمال الجزيرة العربية، وكان أمراء تلك المناطق يعينون من قبل الدولة الرومانية، وينصاعون لأمرها[١].

لقد أرسل الرسول ﷺ الدعاة إلى هرقل يدعونه إلى الإسلام، ولكنه عاند، وأخذته العزة بالإثم، فأرسل الرسول ﷺ في السنة الثامنة للهجرة جيشاً إلى مؤتة لقتل رسول رسول الله، اشتبك مع نصارى العرب، ومع الروم في معركة مؤتة، واستشهد بها ثلاثة قادة، ثم عاد خالد بن الوليد بالجيش إلى المدينة[٢].

وفي العام التاسع للهجرة خرج رسول الله ﷺ بجيش كبير إلى تبوك، ولم يشتبك الروم بجيش المسلمين ولا بالقبائل العربية هناك، وآثر حكام المدن الصلح على الجزية، وعاد الرسول ﷺ بالجيش إلى المدينة بعد أن مكثت القوات عشرين يوماً بتبوك[٣].

وفي العام الحادي عشر للهجرة ندب الرسول ﷺ الناس لغزو الروم بالبلقاء وفلسطين[٤].

---

(١) د. أكرم العمري ـ السيرة النبوية الصحيحة، ج٢، ص٥٥٢.

(٢) النووي ـ شرح على صحيح مسلم، ج٤، رقم ٤٧٨٤.

(٣) د. مهدي رزق الله أحمد ـ السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ـ، ص٦٨٥.

(٤) د. أكرم العمري ـ السيرة النبوية الصحيحة، ج٢، ص٥٣٥.

إن هذه الغزوات كانت تعد ذات دلالة واضحة على الحرب النفسية، وبالمستوى الاستراتيجي؛ كما أنها تعد حرباً نفسية تعرضية هجومية، فبهذا التخطيط الاستراتيجي للرسول ﷺ حقق عدة أهداف:

أولها: كسر الحاجز النفسي الذي تشكله دولة الروم أمام العرب والمسلمين باعتبارها دولة كبرى، وذات قوة وإمكانيات كبيرة.

والهدف الثاني: التقليل من هيبة هذه الدولة في نظر المسلمين، وفي نظر العرب الخاضعين لسلطتها شمال الجزيرة العربية.

والهدف الآخر: هو ترويض الدولة الرومانية بهذه الغزوات تمهيداً لفتحها، وبما يؤمن مباغتة إستراتيجية[1].

ويمكن أن نسمي مثل هذه الغزوات بهجمات الاستطلاع التي تسبق الهجوم الشامل الكبير، فضلاً عن تقوية معنويات العرب الخاضعين لسلطة الرومان، وزعزعة ولائهم للدولة الرومانية، إضافة إلى الهدف الديني الإسلامي، والذي هو نشر دين الله الإسلام، إضافة للحصول على الغنائم، وتدريب وإعداد القادة المسلمين لنشر الدين الإسلامي كما سنرى لاحقاً[2].

أما على الصعيد الداخلي في الجزيرة العربية، فقد كانت لإظهار قوة شكيمة المسلمين والدولة الإسلامية في نظر قبائل العرب في أطراف الجزيرة العربية التي ما يزال إيمانها ضعيفاً.

إن كل هذه العوامل قد تحققت بسبب هذه الحرب النفسية الهجومية التي خطط لها ونفذها الرسول ﷺ، وقد عين الرسول ﷺ قبل وفاته أسامة

---

(١) مهدي رزق الله أحمد ـ السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص٦٨٥.

(٢) ابن كثير ـ البداية والنهاية، ج٦، ص٣٠٧.

ابن زيد ﷺ قائداً لهذا الجيش الذي فيه كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار، وكان عمره لا يتجاوز العشرين عاماً.

لقد كان تجهيز جيش أسامة يوم السبت قبل وفاة الرسول ﷺ بيومين[1].

دعا النبي ﷺ لأسامة: «سر إلى موضع مقتل أبيك، فأوطئهم الخيل، فقد وليتك هذا الجيش»[2].

وطعن بعض الناس في إمارة أسامة ﷺ، فرد عليهم الرسول ﷺ، فقال: «إن تطعنوا في إمارته، فقد كنتم تطعنون بإمارة أبيه من قبل، وايم الله! إنه كان خليقاً بالإمارة، وإنه لمن أحب الناس إلي وإن هذا لمن أحب الناس إلي بعده»[3]. وقد عسكر الجيش في منطقة الجرف[4]، وبعد وفاة الرسول ﷺ عاد إلى المدينة.

على ضوء الموقف الذي ذكرناه آنفاً في المدينة بعد وفاة الرسول ﷺ، والخطر الذي كان يحدق بالمدينة عند بدء الردة، والمخاطر التي تهدد الإسلام في بقية الجزيرة العربية، أشار الصحابة، ومنهم عمر بن الخطاب ﷺ بعدم إرسال جيش أسامة إلى الروم، والاستفادة منه لمواجهة الأخطار الناجمة عن الردة وتهديد المدينة نفسها، فرفض أبو بكر الصديق ﷺ هذه المشورة، وأصر على إرساله برغم أنه عقد اجتماعين مع الصحابة حول هذا الموضوع، واستشارهم، حتى إن أسامة ﷺ طلب من عمر بن الخطاب أن يعرض على

---

(١) الدكتور فضل الهي ـ قصة بعث جيش أسامة، ص٨.

(٢) ابن حجر العسقلاني ـ فتح الباري، ج٨، ص١٥٢.

(٣) البخاري ـ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ـ كتاب: المغازي (٤٤٦٩).

(٤) الجرف تبعد ثلاثة أميال عن المدينة على طريق الشام.

الخليفة أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنهما ـ أمر عودة الجيش إلى المدينة، ولكن الخليفة أصر قائلاً: (والذي نفس أبي بكر بيده! لو ظننت أن السباع تخطفني، لنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ، ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذن)[1].

ولقد ثبت صواب رأي الخليفة أبي بكر برغم أنه لم يأخذ بآراء الصحابة الكرام ـ رضي الله عنهم جميعاً ـ؛ لأن في ذلك أمراً من رسول الله ﷺ، كما أن ذلك أثبت شجاعة أبي بكر الفائقة، وصواب رأيه الثاقب، وحنكته، كما أثبتت ذلك الأحداث والأيام اللاحقة.

كما أن الأنصار طلبت رجلاً أكبر سناً من أسامة يقود الجيش، وطلب من عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهم جميعاً ـ أن يحدث أبا بكر الصديق بذلك، وعندما عرض عمر بن الخطاب ذلك على الخليفة أبي بكر الصديق ﷺ، وكان جالساً، فنهض، وأخذ بلحية عمر، وقال له: ثكلتك أمك وعدمتك يا بن الخطاب! استعمله رسول الله ﷺ[2]، وتأمرني أن أنزعه! فخرج عمر ﷺ إلى الناس، فقالوا: ما صنعت؟ فقال: امضوا ثكلتكم أمهاتكم، ما لقيت في سببكم من خليفة رسول الله ﷺ[3].

وقد كان الخليفة أبو بكر الصديق ﷺ قد أرسل في اليوم الثالث من وفاة الرسول ﷺ أن ينادى في الناس للالتحاق بجيش أسامة؛ تمهيداً

(١) الطبري ـ تاريخ، ج٤، ص٤٥.

(٢) الطبري ـ تاريخ، ج٤، ص٤٦.

(٣) الطبري ـ تاريخ، ج٤، ص٤٦.

لإرساله: ألا لا يبقينَّ أحد في المدينة من جند أسامة إلا خرج إلى معسكره بالجرف.

ثم أمر الصديق ﷺ جيش أسامة بالحركة، وخرج معه يودعه ماشياً، وأسامة راكب، وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنهم جميعاً ـ.

فقال له أسامة ﷺ: يا خليفة رسول الله! والله! لتركبن، أو لأنزلن. فقال: والله! لا تنزل، والله! لا أركب! وما علي أن أغبر قدمي في سبيل الله ساعة[1]؟!

ثم قال الصديق ﷺ لأسامة ﷺ: إن رأيت أن تعينني بعمر، فافعل، فأذن له، ثم توجه الصديق ﷺ إلى الجيش، فقال: أيها الناس! قفوا أوصيكم بعشر، فاحفظوها عني، فأوصى الجيش كما كان يفعل الرسول ﷺ.

وأوصى خليفة رسول الله أبو بكر الصديق ﷺ أسامة أن يفعل ما أمر به النبي الكريم ﷺ قائلاً: اصنع ما أمرك به النبي، ابدأ ببلاد قضاعة، ثم ائت آبل، ولا تقصرن بشيء من أمر رسول الله ﷺ، ولا تعجلن لما خلفت عن عهده.

ومضى أسامة بجيشه، وانتهى إلى ما أمر به النبي ﷺ[2] من بث الخيول في قبائل قضاعة، والغارة على آبل، فسلم، وغنم، وكان مسيره

---

(١) المصدر نفسه، ج٤، ص٤٧.

(٢) الطبري ـ تاريخ، ج٤، ص٤٧.

ذهاباً وإياباً أربعين يوماً[1].

قدم بنعي رسول الله على هرقل وإغارة أسامة في ناحية أرضه خبر واحد، فقالت الروم: ما بال هؤلاء يموت صاحبهم، ثم يغيرون على أرضنا؟! وقال العرب: لو لم يكن لهم قوة، لما أرسلوا هذا الجيش[2]. فكفوا عن كثير مما كانوا يريدون فعله.

ولقد نفذ جيش أسامة واجبه على أكمل وجه، وغنم غنائم كثيرة؛ كما أنه نفذ أكبر عملية بإظهار القوة والاستطلاع السوقي من الناحية العسكرية[3].

فعاليات جيش أسامة ضد المرتدين وهو في طريقه إلى المدينة[4]:

كان عمال الرسول ﷺ على قضاعة وكلب، وهم امرؤ القيس بن الأصبغ الكلبي على كلب. وعمرو بن الحكم على القين، وهو جد سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب. ومعاوية بن خلان الكلبي على سعد هذيم، ارتد قسم من كلب، وبقي قسم منهم مع عامل الرسول ﷺ امرئ القيس، كما ارتد قسم من القين، وبقي قسم منهم مع عمرو بن الحكم، أما سعد هذيم، فقد ارتدت، وارتد معها عامل الرسول ﷺ، وعندما علم خليفة رسول الله ﷺ في المدينة بالموقف، أرسل كتاباً إلى امرئ القيس بن الأصبغ، وطلب منه حصر المرتدين بالتعاون مع عمرو بن الحكم، يومها وصل جيش أسامة إلى المنطقة، وأقام قاعدة فيها، وأرسل سرايا من

---

(١) المصدر السابق، ج٤، ص٤٨.

(٢) د. فضل الهي ـ قصة بعث أبي بكر جيش أسامة، ص١٤.

(٣) عباس محمود العقاد ـ عبقرية الصديق، ص١٠٧.

(٤) الطبري ـ تاريخ، ج٤، ص٤٨ ـ ٤٩.

الجيش بمساعدة المسلمين لدحر المرتدين، وقد هرب المرتدون وتشتتوا وخذلوا، وفر قسم منهم مع وديعة الكلبي إلى دومة الجندل، فزال خطرهم، وتفتت جمعهم، ثم عاد جيش أسامة إلى المدينة.

أثر عودة جيش أسامة على هيبة الدولة الإسلامية:

عاد جيش أسامة ظافراً غانماً بعدما أرهب الروم، حتى قال لهم هرقل وهو بحمص بعد ما جمع بطارقته[1]: هذا الذي حذرتكم، فأبيتم أن تقبلوا مني، قد صارت العرب تأتي مسيرة شهر، فتغير عليكم، ثم تخرج من ساعتها، ولم تكلم[2].

وأصاب القبائل العربية في الشمال الرعب والفزع من سطوة الدولة الإسلامية، وكان لهذه الغزوة أثر في حياة المسلمين وحياة العرب الذين فكروا في الثورة عليهم[3]. وفي حياة الروم الذين تمتد بلادهم على حدودهم لقد كان الأثر النفسي والحرب النفسية التي فعلها جيش أسامة عظيمة، فقد فعل هذا الجيش بسمعته ما لم يفعله بقوته وعدده، فأحجم من المرتدين من أقدم، وتفرق من اجتمع، وهـادن المسلمين من أوشك أن ينقلب عليهم، وصنعت الهيبة صنعها قبل أن يصنع الرجال، وقبل أن يصنع السلاح.

حقاً لقد كان إرسال هذا الجيش نعمة على المسلمين، فقد أمست جبهة الردة في الشمال أضعف الجبهات، ولعل من آثار هذه الغزوة في

---

(١) د. فضل الهي ـ قصة بعث أبي بكر جيش أسامة، ص٧٠.

(٢) الذهبي ـ أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان ـ تاريخ الإسلام، المغازي، ص٢٠.

(٣) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ، ج٢، ص٢٢٧.

وقت الفتوحات أن كسر هذه الجبهة كان أهون على المسلمين من كسر جبهة العدو في العراق.

كل ذلك يبين تأثير الحرب النفسية الفتاكة أكثر من تأثير السلاح، وهذا ما ظهر في موضوعنا آنف الذكر. لقد ثبت من إرسال جيش أسامة أن أبا بكر الصديق كان مصيباً في إرساله للجيش، وكان رأيه هو الصحيح، وأنه أعمق فهماً للموقف من غيره[1].

الردة في الجزيرة العربية بأنواعها:

جاءت الأنباء تباعاً من عمال النبي ﷺ وغيرهم من الجزيرة كلها إلى الخليفة أبي بكر الصديق أول أيام خلافته تقول بانتفاض عام وخاص ينذر بالشر[2].

كان للمرتدين أسباب مختلفة، واتجاهات متعددة نوجزها بما يلي:

فأسبابها منها: الصدمة بموت الرسول ﷺ، والسقم في فهم نصوص الإسلام، والحنين إلى الجاهلية، ومقارفة موبقاتها، والتفلت من النظام، والخروج على سلطة المدينة، والعصبية القبلية، والطمع في الملك، والشح بالمال، وشعور رؤساء القبائل بفقدان مكانتهم وسلطانهم، والمؤثرات الأجنبية؛ كدور اليهود والنصارى والمجوس[3].

أما أصناف الردة، فمنهم من ترك الإسلام جملة وتفصيلاً، وعاد إلى

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط، ص١٠١.

(٢) الذهبي ـ أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان ـ تاريخ الإسلام، الخلفاء الراشدين، ص٢١.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٢.

الوثنية وعبادة الأصنام.

فمن مرتكبيها من ادعى النبوة، ومنهم من دعا إلى ترك الصلاة، ومنهم من ظل معترفاً بالإسلام، ويقيم الصلاة، ولكنه امتنع عن أداء الزكاة، ومنهم من شمت بموت رسول الله ﷺ، وعاد أدراجه يمارس عاداته الجاهلية، ومنهم من تحير وتردد، وانتظر لمن تكون الغلبة.

لقد برزت الحرب النفسية بشكل واسع ومؤثر في مجريات ونتائج حرب الردة، سواء على مستوى التخطيط في التصدي للردة، أو على مستوى مجريات المعارك الميدانية في مختلف محاور وجبهات القتال ضد المرتدين.

أبو بكر في مواجهة الردة:

جمع أبو بكر الصديق ﷺ الصحابة للتشاور معهم حول ما يجب اتخاذه إزاء الذين امتنعوا عن دفع الزكاة، فظهر هناك رأيان:

الأول: تزعمه عمر بن الخطاب، وهو عدم قتالهم، وحجتهم استندت على أمرين: فقهي، وعسكري.

والرأي الآخر: يجب قتالهم، تزعمه الخليفة أبو بكر الصديق ﷺ[1].

ونذكر الأمر الفقهي، والعسكري، وقرار الخليفة.

فالأمر الفقهي: أن لا يقاتلوا قوماً يؤمنون بالله ورسوله، فقال أبو بكر ﷺ بعد أن اعتد برأيه: والله! لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ، لقاتلتهم على منعه ـ وهو يصر على قتالهم[2].

---

(١) ابن كثير ـ البداية والنهاية، ج٦، ص٣١٦.

(٢) المصدر السابق، ج٦، ص٣١٥.

قال عمر ﷺ: كيف نقاتل الناس وقد قال رسول الله: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فمن قالها، عصم مني ماله ودمه، إلا بحقها، وحسابهم على الله»[1].

قال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة.

إن الموافقة على إهمال الزكاة تعطي الفرصة الكبيرة للمساومات، والوسيلة للمتنبئين؛ للتشكيك فيما جاء به محمد من عند ربه، ولوجدوا من القبائل العربية القريبة العهد في الجاهلية المجال لتصديق أعمالهم واتباعهم، كما أن ترك الزكاة هدم لركن أساسي من أركان الإسلام[2].

هنالك موقف شبيه بموقف أبي بكر حدث في حياة الرسول ﷺ، فقد طلب وفد ثقيف عند إسلامهم أن يعفيهم النبي من الصلاة، فأبى عليهم، وقال: «إنه لا خير في دين لا صلاة له». وأبو بكر أشار ضمناً إلى ذلك بقوله: من فرق بين الصلاة والزكاة؛ إذ أن كليهما فرض.

انتهت المناقشة حول هذا الأمر الفقهي بقول عمر بن الخطاب: فوالله! ما هو إلا إن رأيت الله شرحَ صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق.

لقد سمع أبو بكر الصديق ﷺ وجهات نظر الصحابة في حرب المرتدين، وما عزم على خوض الحرب إلا بعد أن سمع وجهات النظر بوضوح، إلا أنه كان سريع القرار، وحاسم الرأي، فلم يتردد لحظة واحدة بعد ظهور الصواب له، وهذه سمة بارزة من سمات الخليفة أبي بكر ﷺ. كان موقف أبي بكر ﷺ لا هوادة فيه، ولا مساومة، ولا تنازل، موقفاً

(١) صحيح البخاري ـ الحديث النبوي الشريف رقم (١٤٠٠).

(٢) عز الدين التميمي ـ الشورى بين الأصالة والمعاصرة، ص٧٠.

ملهماً من الله، يرجع إليه الفضل الأكبر بعد الله تعالى في سلامة هذا الدين وبقائه على نقائه وصفائه وأصالته، وشهد التاريخ بأن أبا بكر وقف في مواجهة الردة الطاغية، ومحاولة نقض عرا الإسلام عروة عروة موقف الأنبياء والرسل في عصورهم، وهذه خلافة النبوة التي أداها أبو بكر حقها، واستحق بها ثناء المسلمين ودعاءهم إلى أن يرث الله الأرض وأهلها[1].

إذاً الآن قرار الحرب على المرتدين بكل أصنافهم وأسبابهم هو قرار الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه[2].

هنا تبرز الحرب النفسية وتأثيرها على المرتدين بكل أصنافهم من خلال خطة التصدي للمرتدين، والقضاء عليهم.

لقد كانت الخطة تتضمن أمرين غاية في الأهمية.

إن الحرب تشن على المرتدين في كل المناطق، ولكن وفق أسبقيات حسب الخطورة. فالأسبقية الأولى القبائل القريبة، أو المحيطة بالمدينة.

أما الأسبقية الثانية، فهي بقية أجزاء جزيرة العرب: وسطها، وشرقها، وجنوبها، وشمالها، واليمن وحضرموت، وترتكز على قاعدة أمينة هي مثلث الحجاز الثابت على الإسلام؛ كما سبق أن تطرقت إليه.

أما الأمر الثاني، فهو كسب الوقت؛ حيث إن الوقت ليس في صالح المرتدين بسبب قرب عودة جيش أسامة أولاً؛ كما أن المرتدين لا يستطيعون البقاء لفترة طويلة في حالة تحشد؛ بسبب مصالحهم اليومية، ووجود التناقض بينهم؛ مما يسبب تصدع جمعهم، وسهولة القضاء عليهم.

---

(١) محمود شلبي ـ حياة أبي بكر، ص١٢٣.

(٢) د. يسري محمد هاني ـ تاريخ الدعوة الإسلامية في عهد الخلفاء، ص٢٨٠.

لقد كان من تأثير الحرب النفسية التي نتجت عن خطة الخليفة ما يلي:

١ ـ تفتيت المرتدين من الداخل؛ بسبب عدم تجانسهم في الرأي، وتردد قسم كبير منهم، ووجود المسلمين الثابتين على الإسلام بينهم.

٢ ـ إن قرار محاربة المرتدين كافة يجعل عدم إمكانية التعاون بينهم أمراً واقعاً، وبخاصة المناطق المتباعدة؛ حيث لا يستطيع كل منهم معرفة أسلوب مهاجمتهم، وكل منهم يقاتل في منطقته.

٣ ـ تراجع بعض القبائل عن الردة مثل طَيّ، وأسلم، وبذلك تزداد قوة المسلمين، وتقل قوة المرتدين.

٤ ـ قرب وقت وصول جيش أسامة يزيد في قوة المسلمين.

٥ ـ المسلمون يقاتلون متجانسين وصامدين في عقيدتهم، أما المرتدون، فإنه لا تجمعهم عقيدة يقاتلون من أجلها، وإن أسباب الردة مختلفة؛ كما سبق ذكرها.

التعرض على القبائل التي تحيط بالمدينة لإبعادهم عنها:

قدِمت الكتب من الأمراء في أنحاء الجزيرة العربية إلى الخليفة تخبره بتفاصيل تمرد في مناطقهم، فاليمن، وبعد مقتل الأسود العنسي، ثارت جماعته وغيرهم، وشمل التمرد كل اليمن، في وسط الجزيرة مسيلمة الكذاب، وقد كثر أتباعه، وطليحة بن خويلد الأسدي مع القبائل التي تبعته يحاصر المدينة، كما ظهر متنبئ آخر في عمان هو لقيط بن مالك الأزدي (ذو التاج)، ثم البحرين، وشمال الجزيرة، ودومة الجندل، وقضاعة، وغيرهم.

ويقابل هذه المناطق: الحجاز بمدنه الثلاث: المدينة، ومكة، والطائف ثابتة على الإسلام. المسلمون الثابتون على الإسلام في هذه المناطق المتمردة هم قلة، وأخذوا يتعرضون في بعض الأماكن إلى القتل والاعتداء؛ مما دفع قسماً منهم إلى الهرب إلى الجبال والأماكن الآمنة، والتي فيها أكثرية من المسلمين. كل هذا الموقف الصعب والخليفة ﷺ صامد هادئ، يعالج المواقف بصبر وهدوء، غير منفعل أو مرتبك[1].

لقد كان وضع الخليفة هذا قد زاد ثقة المسلمين ورفع معنويتهم حوله؛ حيث إن هذه هي صفات القائد الناجح[2]. وكما ذكرت سابقاً فقد أعطى الخليفة الأسبقية الأولى في خطته لمواجهة القبائل المتمردة حول المدينة وقربها؛ لإبعاد الخطر عن المدينة التي هي القاعدة الأمينة، وعاصمة دولة الإسلام، وقد قرر الخليفة تولي القيادة بنفسه في هذا المحور من محاور القتال، وذلك برغم إشارة الصحابة عليه بعدم الذهاب بنفسه، وتعيين غيره للقيادة؛ خوفاً عليه، لأن مقتل الخليفة يسبب انتكاسة وكارثة للمسلمين، ولكنه أصر على موقفه، وبذلك فقد ضرب مثلاً رائعاً في التضحية والإقدام انعكس بشكل كبير على الوضع النفسي والروح المعنوية لهم؛ حيث إنه أكسبهم الثقة العالية بقائدهم[3].

كان ضرار بن الأزور الذي أرسله رسول الله ﷺ إلى طليحة بن خويلد الأسدي ليقاتله قد وصل، فلما شاهد ضرار التحاق قبيلة هوازن وغيرها مع

---

(١) ابن كثير ـ البداية والنهاية، ج٦، ص٣١٦.

(٢) د. مهدي رزق الله ـ الثابتون على الإسلام أيام فتنة الردة، ص٢١.

(٣) المصدر السابق، ص٢٢.

طليحة، اضطر إلى الهرب مع قوته القليلة إلى المدينة. وقد أخبر الخليفة بتفاصيل الموقف، وحذره من كثرة الناس المرتدين الملتحقين مع طليحة الأسدي، فالقبائل: عبس، وذبيان، وأسد تجمعت شرق خيبر، وشمال نجد: فزارة، وكنانة بزعامة عيينة بن حصن الفزاري، ومعهم هوازن، وثعلبة عليهم الحارث بن فلان، جميع هذه القبائل تحشدت حول المدينة وقربها، وقد انقسموا إلى فرقتين، وذلك بسبب قلة الماء، وكثرتهم، وللقيام بالمناورة على المسلمين، فكانت الفرقة الأولى تحشدت بالأبرق والربذة، وعليهم عون بن فلان بن سنان، والفرقة الثانية هي غطفان، وقد تحشدوا بذي العقبة، وهي الأقرب إلى المدينة على طريق نجد، وعليهم أخو طليحة الأسدي حبال بن خويلد.

إن هذا الموقف الصعب لن يثني الخليفة والمسلمين؛ لأنهم يستندون في قوتهم إلى عمق إيمانهم بالإسلام عقيدتهم، بينما قوة الضلالة والردة ليس لديها هدف واحد وعقيدة، وهذه هي المرتكز الأساسي للحرب النفسية، وأهم شروطها: المعنويات[1].

في اليوم العاشر لوفاة النبي ﷺ أرسلت القبائل المرتدة القريبة من المدينة وفودها لمفاوضة الخليفة وعرضوا على الخليفة، أن يمنعوا الزكاة وبعض الأمور، إلا أن الخليفة رفض مطالبهم، وطلب منهم ما كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ، فامتنعوا، وطلبوا تأجيلهم يوماً وليلة، ورجعوا إلى قبائلهم، وقد شك الخليفة بذكائه الحاد بنواياهم؛ مما جعله يتخذ إجراءات لحماية المدينة من غدرهم، وتأسيس قاعدة للهجوم عليهم لاحقاً، وكانت

---

(١) الطبري - تاريخ -، ج٤، ص٦٤.

إجراءات الخليفة أبي بكر الصديق ﷺ لحماية المدينة كما يلي:

نظم الخليفة قوة خاصة لحماية المدينة، وشكَّلها من علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وعبدالله بن مسعود؛ حيث وضع بإمرة كل منهم قوة مناسبة، ووضعها على الطرق المؤدية إلى المدينة ـ الأنقاب ـ وسميت هذه القوة بقوة الأنقاب، وهي بنفس الوقت قاعدة واحتياط تستند عليها الحركات ضد القبائل.

إن التمعن بالخطط التي أعدت وطبقت في حروب الردة يظهر أنها غاية في الدقة والبراعة، ويبرز فيها سبق النظر، والتحسب للمواقف الطارئة، والمناورة والاحتياط؛ مما لم يظهر في العلم العسكري الحديث أكثر منه.

أما الإجراء الثاني، فهو الطلب من الناس التجمع مع رواحلهم في المسجد، والمبيت هناك، ويشمل هذا الأمر كل قادر على حمل السلاح، وبذلك شكلت قوة ضاربة لمواجهة القبائل، والدفاع عن المدينة، والهجوم على القبائل أيضاً[1].

في جانب الحرب النفسية، والتي هي حرب باردة، فقد أرسل الخليفة الكتب إلى الأمراء في الجزيرة العربية بيد رسل منتخبين، وبخاصة الأماكن البعيدة؛ ليشجعهم، ويحثهم على نفير المسلمين، وتجمعهم تحت قيادتهم للمقاومة، وحسب إمكانياتهم، وكما قيل عن هذا الأمر: حارب أبو بكر المرتدين بالرسل والكتب لكسب الوقت؛ انتظاراً لوصول أسامة بن زيد، وبالإضافة إلى كسب الوقت، فإن تجميع المسلمين في مناطق التمرد والردة يؤمن عدة أغراض، أهمها: تأمين الأمن والحماية لهم، وتشكيل جزر أو

---

(١) الطبري ـ تاريخ، ج٢، ص٦٤.

بؤر للمقاومة والقتال من داخل المرتدين عند وصول أرتال المسلمين. وبذلك يكون ضرب المرتدين من الداخل والخارج[1].

اعتقدت القبائل القريبة من المدينة أن قوات المسلمين ضعيفة[2]، وقليلة، وقررت التعرض عليها لإجبار الخليفة على الرضوخ لمطالبها، وذلك بعد ثلاثة أيام من رجوع وفودها إلى الخليفة، وكانت قوات هذه القبائل الأمامية في ذي الحسى، فتقدمت بهجومها إلى مشارف المدينة، فاصطدمت بقوة الأنقاب بقيادة علي بن أبي طالب ﷺ، ومعه الزبير، وطلحة، وابن مسعود، وتمكنوا من صد الهجوم، وأخبروا الخليفة بذلك، فأمر الخليفة أبو بكر ﷺ قوة الأنقاب بالصمود في أماكنهم، وقرر التعرض على القبائل بالقوة الضاربة لديه في المسجد مستنداً على قوة الأنقاب[3].

استفاد أبو بكر ﷺ من غفلة القبائل؛ لاعتقادها بعدم وجود قوة إسلامية بإمكانها التعرض عليها، فتقدم بالقوة الضاربة التي هيأها، وسار بها على الإبل لإحاطة قوة القبائل الأمامية على مشارف المدينة، فبوغت المرتدون، فهربوا باتجاه ذي الحسى، فعقبهم أبو بكر، ودار قتال ليلي.

إلا أن المرتدين قاموا بخدعة هربت بسببها[4] إبل المسلمين إلى المدينة، وهي أن نفخوا قُرباً، ودحرجوها باتجاه الإبل، وبين أرجلها، فهربت دون أن تكبد المسلمين خسائر بسبب ذلك، فرجعت قوات القبائل إلى مواضعها السابقة على مشارف المدينة.

---

(١) المقدسي ـ البدء والتاريخ، ج٥، ص١٥٧.
(٢) الطبري ـ التاريخ، ج٤، ص٦٥.
(٣) د. علي العتوم ـ حركة الردة، ص٧٤.
(٤) الطبري ـ تاريخ، ج٤، ص٦٥.

وتقدمت قوة أخرى من ذي الحسى لتعزيزهم، وأرسلوا خبراً إلى قوتهم الرئيسة في ذي القصة، وازداد اعتقادهم بعد رجوع القوة الإسلامية بضعف قوة الخليفة، لذلك قرروا في تلك الليلة التقدم إلى المدينة ومهاجمتها؛ لإجبار الخليفة على الرضوخ لمطالبهم، لكن الخليفة أبا بكر الصديق ﷺ القائد الحازم، والحاد الذكاء أدرك ذلك، فقرر إعادة الهجوم عليهم في الليلة ذاتها برغم الإجهاد الذي أصاب قواته كما ذكر أعلاه[١].

عند الثلث الأخير من الليل نفسه تقدم أبو بكر ﷺ بالقوة، وجعل على ميمنته النعمان بن مقرّن المزني، وعلى ميسرته عبدالله بن مقرّن المزني، وعلى المؤخرة سويد بن مقرّن المزني، وأبو بكر على القلب، سارت القوة بمسير ليلي ومناورة، وأحاطت بالقبائل المرتدة فجراً، وتمت المباغتة، فما شعرت قوة القبائل إلا بالسيوف من كل جانب، فانهزموا مذعورين تتعقبهم القوة الإسلامية الضاربة بقيادة الخليفة، وتمكنت من احتلال ذي الحسى، وذي القصة؛ حيث[٢] نزل فيها المسلمون، وتركوا قوة حماية فيها، وبذلك تشتتت القبائل المرتدة القريبة من المدينة وحولها، وأبعد خطرها، وبذلك تحقق نصر حاسم ومهم في مجرى حركات الردة بعد زوال خطر المرتدين على المدينة، وبهروبهم وتشتتهم عاد الخليفة ببقية قواته إلى المدينة، وبقيت قوة الأنقاب، وقوة ذي القصة في أماكنها مما يعطي للمدينة أمناً واستقراراً.

لقد كانت الحرب النفسية متزامنة مع القتال في الميدان خلال هذه المعارك، وفي هذا الجانب نبين ما يلي:

---

(١) الطبري ـ تاريخ، ج٤، ص٦٦.

(٢) الطبري ـ تاريخ، ج٤، ص٦٦.

١ ـ إن الهجمات التي شنها الخليفة متسلسلة ومتتالية وشديدة، ولكنها محدودة، ولم يترك للعدو فرصة لالتقاط أنفاسه وتنظيم صفوفه، لذلك انهزم العدو متقهقراً فاقداً توازنه، وفاقداً قواعده في ذي الحسى وذي القصة.

٢ ـ لم يفكر الخليفة بتحشيد قوات كبيرة، وفسح المجال للمرتدين لخوض معركة فاصلة قد يتكبد المسلمون فيها خسائر تؤثر عليهم معنوياً في هذا الظرف الصعب، وإنما اعتمد على السرعة والمناورة في القتال.

٣ ـ إن هذه الانتصارات كان لها الأثر النفسي الكبير على بقية القبائل المحيطة بالمدينة، فأخذت تتراجع عن الردة، وتعود لدفع الزكاة، والثبات على الإسلام كما سنرى لاحقاً، وبذلك حققت الحرب النفسية غرضها بتعميق وتوسيع الانتصار؛ ليشمل القبائل العربية التي لم تشترك بالمعارك بعد.

بعث الخليفة أبو بكر ﷺ إلى من كان حول المدينة من القبائل التي ثبتت على الإسلام ـ وكان منهم: أسلم، وغفار، وأشجع، ومزينة، وكعب ـ كتباً يأمرهم فيها بالجهاد ضد أهل الردة، فاستجابوا، وبأعداد كبيرة، ومعهم عدتهم وخيولهم وإبلهم حتى ضاقت بهم المدينة، وتزامن ذلك مع وصول جيش أسامة؛ تمهيداً لشن التعرض الشامل في كل الجزيرة العربية على المرتدين، وكمثال على ذلك: قبيلة جهينة، فقد قدمت وحدها أربع مئة مقاتل مع الظهر والخيل إضافة إلى مئة بعير لإعانة المسلمين[١].

ومن نتائج النصر على القبائل المرتدة القريبة: وصلت إلى المدينة في ليلة واحدة أموال زكاة ستة من القبائل والأحياء القريبة من المدينة.

---

(١) مهدي رزق الله ـ الثابتون على الإسلام أيام فتنة الردة، ص٢١.

وفي هذه الأثناء عاد جيش أسامة منتصراً محققاً كل ما طلبه الرسول ﷺ منه قبل وفاته، وقد أمرهم الخليفة بالراحة، واستخلفهم بالمدينة[1].

لقد انقسمت القبائل المحيطة بالمدينة إلى قسمين: قسم منهم عاد إلى الإسلام، وانضم إلى القبائل الثابتة على الإسلام، ودفعوا الزكاة، أما بقية المرتدين المنهزمين من ذي القصة، فقد تجمعوا في منطقة الربذة، والأبرق وراء ذي القصة. فقرر أبو بكر الخروج إليهم لطردهم نهائياً من منطقة المدينة، وإنهاء خطرهم.

فأمر قوة المسلمين الضاربة، وقوة الأنقاب وذي القصة التي اشتركت في المعارك بالتهيؤ للخروج بقيادته تاركاً جيش أسامة في المدينة، وقد أشار الصحابة على الخليفة بعدم الخروج لقيادة الجيش خوفاً عليه[2]. وطلبوا منه أن يعين قائداً بدلا منه، ومنهم علي بن أبي طالب ﷺ.

إلا أن الخليفة أبا بكر رفض ذلك مفضلاً قيادة القوة بنفسه. وقد استهدف الخليفة في تقدمه على القبائل المرتدة الكتمان، وتحقيق المباغته، وترك قوة ذي القصة بقيادة النعمان بن مقرّن المزني كاحتياط وقاعدة أمينة له.

فسار بقوته إلى منطقة يمكنه إخفاء القوة بها؛ ليباغت العدو، وقد نجح بذلك نجاحاً باهراً؛ حيث شن هجوماً مباغتاً على منطقة الأكمة التي أخفى قطعاته فيها، وقد أمر الخليفة بالهجوم مستهدفاً أسد بن بكر،

---

(١) محمد بن عبد الرحمن ـ أبو بكر الصديق أفضل الصحابة وأحقهم بالخلافة، ص٦٩.

(٢) د. عبد الرحمن شجاع ـ دراسات في عهد النبوة، ص٣١٩.

فنجحت المباغتة، وهرب المرتدون[1]؛ حيث لم يصمدوا في القتال كثيراً، وهربوا إلى منطقة بزاخة؛ حيث التحقوا بقوة طليحة الأسدي.

أما الخليفة فقد نزل بالربذة والأبرق، وغنمها، وجعلها مرعى لمواشي المسلمين، وقد امتنع الخليفة عن إعادة هذه الأراضي لهم؛ لكونها منطقة تشكل خطراً على أمن المدينة، وبهذه المعركة زال الخطر عن المدينة، وتطهرت إحدى أهم المناطق المرتدة، وهي بداية النصر الشامل على المرتدين في بقية مناطق جزيرة العرب. لقد غنم المسلمون أموالاً كثيرة، كما أن القبائل العربية بدأت بدفع الزكاة إضافة إلى العدة والعدد لتجهيز الجيوش لمحاربة بقية المرتدين.

لم يبق قرب المدينة مرتدون عدا بعض بطون قبائل عامر وسليم وهوازن؛ حيث إنهم مترددون، يرقبون ما تؤول إليه نتائج ردة القبائل الأخرى القريبة، وكان يتزعمهم قرة بن هبيرة بن سلمة، فأرسل الخليفة قوة بقيادة القعقاع بن عمرو التميمي لإنهاء تمرد هذه القبائل، وإعادتها إلى الإسلام، وكانت مضاربهم شرق المدينة وجنوبها، وتمكن القعقاع منهم، وعادوا إلى الإسلام، ودفعوا الزكاة[2].

من كل ما تقدم نستنتج أموراً كثيرة، ونعيد قراءة الموقف، فالمدينة أصبحت آمنة، وزال خطر المرتدين عنها، وانتشرت أخبار هزائمهم في بقية مناطق الجزيرة.

وعاد جيش أسامة من بلاد الروم، كما أن الأموال والنجدات أخذت

---

(١) أبو الفداء بن كثير ـ البداية والنهاية، ج٦، ص٣١٩.

(٢) د. علي العتوم ـ حركة الردة، ص١٠ ـ ١٢.

بالوصول من القبائل إلى الخليفة، فأصبح الموقف أكثر وضوحاً، وأقل خطراً، أما جانب الحرب النفسية، فإن هزائم المرتدين وعودة جيش أسامة منتصراً، فقد أعطى ذلك للمسلمين ثباتاً أكثر، ومعنوية أعلى، وثقة بالنصر.

في حين أن المرتدين ازدادوا ضعفاً وارتباكاً، خاصة منهم المشتركين في المعارك، أو القريبين منهم، لذلك فقد كانت للحرب النفسية خلال المعارك الميدانية نتائجها وانعكاساتها الايجابية على المواقف القتالية.

التعرض الشامل على المرتدين في عموم الجزيرة العربية:

قبل التعرض للخطة السوقية العامة لمحاربة المرتدين لابد أن نستعرض الموقف العام، والإجراءات التي سبقت وضع الخطة موضع التنفيذ، لقد شملت الردة والتمرد جميع مناطق الجزيرة العربية، عدا مثلث الحجاز الثابت على الإسلام، وكانت الردة أشـدها في المناطق التي ظهر فيها الأنبياء الكذابون، ونذكر ذلك موجزاً أدناه[1].

طليحة الأسدي والقبائل التي انحازت معه بعد أن طردهم الخليفة من ذي القصة والأبرق، وتجمعوا في بزاخة شرق المدينة.

سجاح النبية الكاذبة وتحركاتها في تميم، واتصالها مع مسيلمة الكذاب.

مسيلمة الكذاب وبنو حنيفة ومن تبعها في اليمامة.

جنوب الجزيرة العربية.

البحرين وعمان والنبي الكذاب لقيط بن مالك.

اليمن ـ قوات القبائل جنوب الحجاز واليمن كلها متمردة.

---

(١) محمود شاكر ـ التاريخ الإسلامي، ج٩، ص ٤٩.

حضرموت وكندة.

شمال الجزيرة العربية.

قضاعة وغيرها تحشد أكثرهم في دومة الجندل.

إنذار الخليفة للمتمردين:

بذل الخليفة آخر محاولة سلمية مع المتنبئين بإنذارهم للرجوع إلى الصراط المستقيم، هذا الإنذار يحملهم تبعة ومسؤولية أعمالهم، ولا يلومون إلا أنفسهم.

أرسل الخليفة إنذاره مكتوباً إلى جميع الناس مع رسل، وأمرهم بقراءته عليهم حتى يعلم ويسمع به كل فرد منهم؛ ليرجعوا عن غيهم، ويكونوا أمة واحدة[1]، فكان الإنذار بالصيغة التالية:

بسم الله الرحمن الرحيم ـ من أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ إلى من بلغه كتابي هذا من عامة وخاصة، أقام على الإسلام، أو رجع عنه، وقد بلغني رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقر بالإسلام، وعمل به؛ اغتراراً بالله ﻷ وجهالة لأمره، وإجابة إلى الشيطان ـ وقال ـ جل ذكره ـ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[فاطر: ٦].

وإني قد أنفذت لكم فلان ـ اسم قائد القوة ـ في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان، وأمرته أنه لا يقاتل أحداً ولا يقتله حتى يدعوه إلى داعية الله، فمن استجاب وأقر، وكف وعمل صالحاً، قبل منه، وأعانه

---

(١) السيد عمر ـ الدور السياسي للصفوة في صدر الإسلام، ص٢٦٦.

عليه، ومن أبى أن يقاتله على ذلك، ولا يبقي على أحد قدر عليه، وأن يحرقهم بالنيران، ويقتلهم كل قتلة، ويسبي النساء والذراري، ولا يقبل من أحد إلا الإسلام[1].

فمن آمن، فهو خير له، ومن تركه، فلن يعجز الله، وقد أمرت رسولي أن يقرأ كتابي في كل مجمع لكم، والداعية الأذان، فإن أذن المسلمون، فأذنوا، كفوا عنهم، وإن لم يؤذنوا، فاسألهم بما هم عليه، فإن أبوا، عاجلوهم، وإن أقروا، قبل منهم، وحملهم على ما ينبغي[2].

إن كتاب الخليفة هذا، وإنذاره للمرتدين هو صيغة واضحة في الحرب النفسية، وهو ما نسميه بالترغيب والترهيب؛ فقد تضمن الكتاب عفواً صريحاً وواضحاً عن كل من يتوب ويعود إلى دين الله، دون أن تكون عليه تبعة. كما تضمن التهديد بالقتل والحرق، وسبي النساء والذراري لكل من يبقى مرتداً عن دين الله. لقد وصل إنذار الخليفة إلى كل أماكن الردة في الجزيرة العربية؛ شرقها وشمالها وجنوبها.

وكان له أثر بالغ بعودة الكثير من الناس إلى دين الله بدون قتال، وحتى من لم يعد منهم، فقد بقي مرتبكاً متردداً أو متهيئاً للعودة إلى دين الله بدون قتال، عدا من كان إيمانهم ضعيفاً أو حديثاً، أو أنه مدسوس من أطراف أجنبية. كما أن هذا الكتاب زاد من صمود المسلمين الباقين على دينهم ثابتين في أماكن الردة كما سبق بحثه، لذلك بسبب هذه الحرب النفسية البارعة أصبحت جبهة المرتدين الداخلية متصدعة ومرتبكة ومهيأة

---

(١) شوقي أبو خليل - في التاريخ الإسلامي، ص٢٢٦ - ٢٢٧.

(٢) الطبري - تاريخ، ج٤، ص٦٨ - ٦٩ - ٧٠ - ٧١.

للهزيمة قبل القتال، لقد كان من نتائج خطة الصديق ﷺ:

١ ـ نجحت خطة الصديق في تحقيق حملات التوعية والدعاية والتعضيد للمسلمين، والتخذيل لقوى المرتدين؛ تمهيداً لاتخاذ الوسيلة الأخرى حينما تتوافر لها الإمكانات، وهي أداة الجيوش المنظمة.

٢ ـ إنها حققت أغراضها من حيث التربية، وإعداد الثابتين على الإسلام؛ ليكونوا قادة في حركة الفتوح الإسلامية فيما بعد؛ كعدي بن حاتم الطائي وغيره.

٣ ـ تكوين قوى مسلمة مرابطة في بعض المراكز التي حددها لهم الصديق؛ لتنضم بعد ذلك إلى الجيوش القادمة.

٤ ـ القضاء على بعض مناطق الردة ـ ولو بمحدودية ضيقة ـ مثلما حصل في جنوب الجزيرة العربية[١].

الخطة السوقية للتعرض، والقاعدة العامة لحرب المرتدين:

تضمنت القاعدة العامة أن مشركي العرب لا يقبل منهم إلا الإسلام. أما أهل الكتاب، فيدعون إلى الإسلام، فإن أبوا، فالجزية، وإن رفضوا، فهي الحرب.

أما المجوس فيعاملون مثل أهل الكتاب، ولكن لا يؤكل منهم، ولا يتزاوجون معهم.

الحروب تشمل أهل الشرك والردة الذين أصروا على كفرهم[٢].

---

(١) الطبري ـ تاريخ، ج٤، ص٧١ ـ ٧٢.

(٢) د. علي العتوم ـ حركة الردة، ١٧٦ ـ ١٧٧.

إن مناطق الردة متباعدة، وتشمل كل الجزيرة العربية؛ حيث لا تتوفر المياه في كل الأماكن، كما أن مسافات التنقل في الصحراء، لذلك فإن الخطة السوقية أخذت هذه الجوانب بنظر الاعتبار، كما أن الزمن مهم، ويجب القضاء على الردة بأسرع ما يمكن، كما ينبغي عدم إعطاء فرصة لتعاون مناطق الردة فيما بينهم، بل العكس، يجب منعهم من التعاون، وتمكين أرتال المسلمين من المناورة والتعاون، وإسناد بعضها البعض، ولذلك ينبغي أن تكون الخطة مرنة.

كما أن كل رتل بحاجة إلى قاعدة أمينة، وإلى احتياط يمكنه نجدة الأرتال عند الحاجة وتطور المواقف، ولهذا فقد كانت خطة التعرض السوقية تتضمن هذه الجوانب كافة؛ فقد قسمت القوات إلى أرتال متعددة ـ تنطلق من منطقة ذي القصة قرب المدينة إلى الاتجاهات المحددة لها حسب ما سيرد ذكره.

إن هذا النوع من المناورة يسمى: المناورة على الخطوط الخارجة، وتعني: انطلاق القوات إلى أماكن متعددة ومتباعدة في آن واحد، وهو ما تم حسابه بدقة.

الأرتال إلى الجزيرة العربية وقادتها[1]:

شرق الجزيرة العربية:

١ ـ الرتل الأول: خالد بن الوليد، وهدفه طليحة الأسدي، ومنطقة بزاخة، وهو خير الأرتال وأقواها، وفيه خيرة المقاتلين.

---

(١) الطبري ـ تاريخ، ج٤، ص٦٨.

٢ ـ الرتل الثاني: عكرمة بن أبي جهل، وهدفه مسيلمة الكذاب؛ بني حنيفة في اليمامة.

٣ ـ الرتل الثالث: شرحبيل بن حسنة يعقب أثر عكرمة، وهو احتياط سوقي له، وإذا فرغ من أمر مسيلمة، يلحق قضاعة لمساندة الرتل العاشر.

٤ ـ الرتل الرابع: معن بن حاجز، وهدفه سليم ومن معهم من هوازن.

جنوب الجزيرة العربية:

٥ ـ الرتل الخامس: المهاجر بن أمية المخزومي، وهدفه اليمن بصورة عامة، ثم يسير إلى كندة لقتال الأشعث بن قيس والمرتدين معه.

٦ ـ الرتل السادس: سويد بن مُقَرِّن، وهدفه تهامة اليمن.

٧ ـ الرتل السابع: عرفجة بن هرثمة البارقي، وهدفه مهرة، ويعاون الرتل الثامن.

الجنوب الشرقي للجزيرة:

٨ ـ الرتل الثامن: حذيفة بن محصن، وهدفه عمان: لقيط بن مالك الأزدي النبي الكاذب.

٩ ـ الرتل التاسع: العلاء الحضرمي، وهدفه البحرين.

شمال الجزيرة العربية:

١٠ ـ الرتل العاشر: عمرو بن العاص، وهدفه قضاعة، ودومة الجندل.

١١ ـ الرتل الحادي عشر: خالد بن سعيد بن العاص، وهدفه مشارف الشام إلى الحمقتين لتثبيط الروم[١].

---

(١) د. عبد الرحمن شجاع ـ دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، ص٣٢١.

لقد أمر الخليفة كل قائد بترغيب المسلمين في طريقه إلى الجهاد، كذلك في منطقة واجبه؛ ليلتحق إليه المسلمون الثابتون على الإسلام، وذلك لكي تزداد قوة الأرتال. كما أن الخليفة أخذ عهداً من القادة في تنفيذ واجبهم[1].

لقد كان أغلب قادة الأرتال من المهاجرين، وقد تباينت الآراء في أسباب ذلك، ولقد اتخذت تدابير الكتمان في اتجاه حركة الأرتال، وباشرت حركتها.

كانت خطة أبي بكر الصديق ﷺ في غاية الدقة، وتنم عن معرفة تامة بالصحراء وطرقها، إن انطلاق جيوش المسلمين في آن واحد أحد عشر رتلاً لتغطي كل مناطق الردة في الجزيرة يشكل حرباً نفسية مرعبة للعدو قبل أن تصله السيوف والرماح.

بل إن الأثر النفسي يفوق تأثير السيف والرمح؛ حيث إن العدو قد يلقي سلاحه قبل القتال، وهذا ما حصل فعلاً في الميدان عندما نتابع حركات كل جيش من هذه الجيوش.

استمر الخليفة بشن الحرب النفسية، وتفتيت القبائل المرتدة، وقد طلب من عدي بن حاتم الطائي عندما قدم إلى المدينة بأموال الزكاة أن يتحرك على قبيلة طي؛ لثنيها عن الردة، والتي سبق وأن كان لها حلف في الجاهلية مع أسد وغطفان، وقد نجح عدي بن حاتم الطائي بمسعاه، وعادت طيّ إلى الإسلام، حتى إنهم[2] طلبوا منه أن يؤخر وصول قوات خالد بن الوليد إليهم ريثما يقومون بسحب رجالهم من قوة طليحة في

---

(١) محمود شاكر ـ التاريخ الإسلامي، ج٩، ص٤٩.

(٢) د. أحمد نوفل ـ الحرب النفسية من منظور إسلامي، ج٢، ص ١٤٣ ـ ١٤٤.

بزاخة، وقد وافق خالد بن الوليد، وتمكنت طي من خداع طليحة، والانسحاب؛ مما أضعف قوته، وأربك صفوفه.

كما أن عدي بن حاتم قد تمكن من إقناع قبيلة جديلة بالانسحاب من الردة، والعودة إلى صفوف المسلمين، وبذلك فقد كانت الحرب النفسية التي وجهها الخليفة لتفتيت المرتدين قد آتت ثمارها، وكان أن انسحبت هذه القبائل بدون قتال، معززة بصفوف المسلمين، ومفتتة للردة والشرك.
ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل إن جديلة لوحدها التحق منها ألف مقاتل في صفوف قوات خالد بن الوليد، أما قبيلة طي، فقد التحق منها خمس مئة مقاتل في صفوف قوات خالد بن الوليد. لقد كانت حكمة ودبلوماسية عدي بن حاتم الطائي الناجحة وراء هذا الكسب القتالي للمسلمين، ولذلك قيل عن عدي بأنه خير مولود في أرض طي، وأعظمهم عليها بركة[1].

حركات الرتل الأول: خالد بن الوليد، والقضاء على طليحة الأسدي في بزاخة:

لقد كان للمخادعة والكتمان لحركة قوات خالد بن الوليد دور في تأمين المباغتة، فقد أشاع الخليفة بين الناس أنه خارج إلى خيبر، وخالد سار برتله ليلاقي الخليفة، واستمر بهذا المسير لغش طليحة عن قصده.

ثم سار خالد باتجاه قبيلة جديلة، ثم سار باتجاه منازل طي، واستنفر القبيلتين، والتحق مع قوات خالد أعداد كبيرة من المقاتلين من القبيلتين[2].

---

(١) د. علي العتوم ـ حركة الردة، ص١٧٩.

(٢) مصطفى محمود منجود ـ الأبعاد السياسية، المفهوم الأمني في الإسلام، ص١٦٩.

معركة بزاخة وهروب طليحة وعُيينه:

كانت قوة المسلمين مؤلفة من الرتل الأول بقيادة خالد بن الوليد، والرتل الرابع بقيادة معن بن حاجز، ومعه بنو سليم ممن بقوا على الإسلام. فقد بعث خالد إلى معن طالباً منه العون، فالتحق معن بن حاجز مع قسم من قواته، واستخلف أخاه على بقية قواته؛ ليستمر على واجبه الأصلي[1]. إذاً تعزز رتل خالد بن الوليد من رتل معن إضافة إلى مقاتلين من طي وجديلة الذين استخدمهم خالد لتثبيت قوات طليحة، وقام خالد بمناورة التفاف مستهدفاً بني أسد، وعمق قطعات العدو. وبهذا فإن التعاون بين الأرتال، والتساند ظهر في هذه المعركة.

وعندما وصل المسلمون إلى منطقة قبيلة أسد[2]. وشاهدت قبيلة أسد نجاح المسلمين، هربت، وتركت المعركة بدون قتال، وعند انسحابهم مروا بطليحة الأسدي، وقالوا له: ما تأمرنا؟ فركب راحلته، وحمل امرأته النوار على بعير، وهرب معهم وهو يقول لقومه: من استطاع منكم أن ينجو بأهله، فليفعل مثلما فعلت، وبهذا كان هروبه خاتمة أمره، وسار إلى الشام، واستقر في قبيلة كلب، ولما علم بعودة القبائل إلى الإسلام، عاد هو أيضاً، وحسن إسلامه.

أما عيينه بن حصن، فقد هرب، فأسرته قوات خالد بن الوليد، وأرسله مع ثلاثين أسيراً إلى الخليفة أبي بكر ﷺ مقيد اليدين، فكان صبيان المسلمين في المدينة يقولون له: يا عدو الله! أكفرت بالله بعد إيمانك؟! فقال: والله!

(١) محمد أحمد باشميل ـ حروب الردة، ص٢٩١.

(٢) ابن كثير ـ البداية والنهاية، الجزء الثاني، ص٣٢٢.

ما آمنت بالله طرفة عين. وقيل: تجاوز عنه الخليفة، وحقن دمه.

أما خالد بن الوليد، فقد عسكر بقواته في بزاخة مدة شهر، وأخذ يرسل السرايا إلى كل الاتجاهات؛ لتعقب المرتدين من القبائل وفلولهم، وخاصة أولئك الذين عذبوا وقتلوا المسلمين الثابتين على الإسلام في مناطقهم؛ تنفيذاً لأمر الخليفة؛ حيث كان يقتلهم شر قتلة، ويحرق قسماً منهم، وقد أثار ذلك الرعب، وانتشر خبره في المناطق التي لا تزال مرتدة، وقد أخذت القبائل تتوافد على الخليفة معلنة عودتها إلى الإسلام، وقسم منها أرسل وفوداً إلى خالد بن الوليد بنفس الغرض.

إن نتائج هذه المعركة وانعكاساتها النفسية على أهل الردة في جميع أنحاء الجزيرة العربية كبير؛ فقد كتب الله النصر لجيش المسلمين، وسرعان ما طفقوا يقتلون ويأسرون أعداءهم حتى أبادوهم، وهرب قائدهم طليحة على فرسه، ولم يسلم منهم إلا من استسلم، أو هرب.

بعد هذه المعركة انتشر الضعف في قلوب المرتدين من قبائل الجزيرة، فأصبح الجيش الإسلامي لا يجد عناء في هزيمة من تجمَّع منهم في أماكن أخرى[1].

أسباب هزيمة طليحة بن خويلد الأسدي:

كان هناك العديد من الأسباب ساهمت في هزيمة طليحة، وكان للحرب النفسية ـ التي سبق أن ذكرنا فقرات مهمة منها ـ دور كبير في هذه الهزيمة، ومنها:

١ ـ إن المسلمين كانوا يقاتلون مدفوعين بعقيدة راسخة، ويقين

---

(١) د. أحمد نوفل ـ الحرب النفسية من منظور إسلامي، ج٢، ص١٤٣ ـ ١٤٤.

بنصر الله لهم، وحب الشهادة، فكان حب الموت في سبيل الله سلاحاً معنوياً فتاكاً. كان خالد بن الوليد يرسل هذه الكلمات القلائل للمرتدين: لقد جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة. وقد سأل طليحة الأسدي قومه لما انهزموا أمام المسلمين في بزاخة: (ويلكم! ما يهزمكم؟)، فقال رجل منهم: أنا أخبركم: إنه ليس من رجل منا إلا ويحب أن يموت قبله صاحبه[1]. وإنا نلاقي قوماً كلهم يحب أن يموت قبل صاحبه.

٢ ـ انضمام طَيِّ وجديلة إلى صفوف المسلمين، والتحاق مقاتليهم إلى جيش خالد بعد انسحابهم من طليحة الأسدي أضعف العدو، وخلخل صفوفه، وعجل في هزيمتهم.

كانت أهم نتائج معركة بزاخة: القضاء على قوة أحد الأدعياء الأقوياء، وعودة أعداد كبيرة من قبائل العرب إلى الإسلام، فبنو عامر بعد هزيمة بزاخة جاؤوا يقولون:

ندخل فيما خرجنا منه، فبايعهم خالد، وكذلك أسد وغطفان وسليم، وغيرهم[2].

حركات الرتل الرابع:

الرتل الرابع اشترك قسم منه بقيادة معن بن حاجز في معركة بزاخة؛ كما ذكرت.

أمر أبو بكر ﷺ معن بن حاجز بالتحرك ضد الفجاءة السلمي، والقضاء عليه، وهذا الفجاءة قد خان المسلمين، وغدر بهم؛ حيث قتل عدداً من

---

(١) د. علي العتوم ـ حركة الردة، ص٢٨٩.

(٢) ابن كثير ـ البداية والنهاية، ج٢، ص٢٢٣.

المسلمين الثابتين على الإسلام من بني عامر وسليم بوحشية، وحرقهم بالنيران، وعندما سمع الفجاءة بحركة رتل معن بن الحاجز إليه، هرب، فعقبه الرتل، وتمكن من أسره وإرساله إلى الخليفة أبي بكر الصديق ﷺ، فعاقبه الخليفة بالحرق كما فعل بالمسلمين، وتم ذلك في المدينة[1].

وبذلك انتهت حركات الرتل الأول والرابع اتجاه طليحة الأسدي وقبائله المرتدة، وقُضي على الردة شرقي المدينة وما حولها.

حركات الرتل الثاني والرتل الثالث:

كان الرتل الثاني بقيادة عكرمة بن أبي جهل، واجبه قبيلة بني حنيفة حيث مسيلمة الكذاب في اليمامة، يسانده الرتل الثالث بقيادة شرحبيل بن حسنة احتياطاً له، ويسير خلفه[2]. أسرع عكرمة بتقدمه، واصطدم بقوة بني حنيفة، ولم ينجح، فتراجعت قوته.

إن سرعة عكرمة بالتقدم جعلت هناك فجوة أو مساحة كبيرة بينه وبين الرتل الثالث الذي يسانده، وعلى الأغلب، فان عكرمة أفرز من رتله قوة أمام الرتل، وهي التي اصطدمت مع قوة بني حنيفة، واندحرت، وقد عرف عكرمة من خلال هذا الاصطدام قوة عدوه، والتي بلغت أربعين ألفاً، فانسحب برتله من دون قتال كبير، أو معركة فاصلة؛ لأن العدو يتفوق عليه بالعدد بشكل كبير[3].

إن انسحاب عكرمة كان باختياره؛ لأنه قدر ان رتله لا يمكنه كسب

---

(1) د. علي العتوم - حركة الردة، ص١٨٥.

(2) شوقي أبو خليل - حروب الردة، ص٧٨.

(3) شوقي أبو خليل - حروب الردة، ص٨٠.

المعركة، ويثبت لنا ذلك: أن القوات التي قادها خالد بن الوليد ضد بني حنيفة كبيرة، وهي إضعاف رتل عكرمة.

لقد أخبر عكرمة الخليفة أبا بكر الصديق ﷺ، فعاتبه على تسرعه، ولم يعزله، بل كلفه بواجب آخر أكبر من رتل، وهو قيادة الجبهة الجنوبية في الجزيرة العربية كما سنذكر لاحقاً.

أما الرتل الثالث رتل شرحبيل بن حسنة، فقد اصطدم بقوات بني حنيفة، وانتهى إلى الموقف نفسه عكرمة، فانسحب، وقد لامه خالد بن الوليد على صنيعه[1].

إن تراجع الرتلين الثالث والثاني دون خوض معركة فاصلة كان له تأثيره الإيجابي؛ حيث تجنب تكبد خسائر كبيرة تنعكس سلبا على معنوية المسلمين، وتزيد من عزيمة ومعنوية المرتدين من قوات مسيلمة الكذاب، على ضوء المعلومات والمواقف الواردة للخليفة، وخاصة من رتلي عكرمة وشرحبيل، فجرى تعديل الخطة العامة؛ حيث تم توحيد عدة أرتال سوية؛ لتشكل جبهة خاصة، وان الخطة مرنة كما ذكرنا. كما ان الموقف يبين أن ثقل قوات المرتدين هو في أماكن محددة مثل اليمامة[2].

جبهات الحرب للقضاء على الردة:

أمر الخليفة قادة الأرتال جنوب الجزيرة أن تعود بقراراتها إلى عكرمة ابن أبي جهل، وهي الرتل السابع عرفجة بن هرثمة، والرتل الثامن حذيفة

---

(١) ابن كثير ـ البداية والنهاية، ج٦، ص٣٢٨.

(٢) ابن كثير ـ البداية والنهاية، ج٦، ص٣٢٩.

ابن محصن، إضافة إلى رتله، وبذلك تشكلت الجبهة الجنوبية، وقد طلب الخليفة من عكرمة المسير، وتطهير المناطق التي يمرون بها حتى يلتقي مع رتل المهاجر بن أبي أمية الرتل الخامس، وكان الهدف الرئيسي: المتنبئ الكذاب لقيط في عمان.

أما الجبهة الشرقية، فقد أوكلت قيادتها إلى خالد بن الوليد، وشملت كل الأرتال المتوجهة إلى وسط الجزيرة وشرقها، وهي خمسة أرتال.

أما الجبهة الشمالية، فشملت رتلين هما: العاشر عمرو بن العاص، والحادي عشر خالد بن سعيد بن العاص، وسنستعرض حركات الجبهات بدلاً من الأرتال، مركزين على جوانب الحرب النفسية، والحركات الرئيسية، والخطط لهذه الجبهات.

حركات الجبهة الشرقية:

اختار الخليفة لقيادة الجبهة الشرقية خالد بن الوليد، وقواته تتكون من:

الرتل الأول: في البطاح بعد انتهاء حركاته ضد بزاخة وتميم.

الرتل الثالث: شرحبيل بن حسنة، والرتل الرابع معن بن حاجز السلمي، قوة قبائل طيّ وجديلة ١٥٠٠مقاتل.

أمدَّ الخليفة هذه الجبهة بقوات أخرى من المهاجرين والأنصار والقبائل الأخرى من منطقة المدينة، وقادتهم: ثابت بن مالك، والبراء بن مالك على الأنصار، وزيد بن الخطاب، وأبو حذيفة على المهاجرين[1].

كما أن الخليفة شكل قوة للحماية السوقية في الجبهة الشرقية من

---

(١) شوقي أبو خليل حروب الردة، ص٨٠.

الاحتياطات، ووضع عليها سليطاً.

أما المرتدون، فبلغت قوات مسيلمة الكذاب أربعين ألفاً، وازدادت حتى بلغت ستين ألفاً.

تحشدت هذه القوات في عقرباء[1]، واتخذت موضعاً فيها خارج اليمامة. وقد تركوا حصون اليمامة خلفهم، وهذا في صالح المسلمين.

تعد معركة اليمامة من المعارك الفاصلة في حروب الردة، واشترك فيها عشرات الألوف من البشر، وحصل فيها أشرس قتال، وتخللتها صفحات حرب متعددة. هجوم العدو وتثبيته، وهجوم قوات خالد بخطة حسنة، ومناورة انسحاب أجنحة، ودفاع وقتال في أراض زراعية.

الحرب النفسية قبل المعركة[2]:

وضع خالد بن الوليد خطته على أساس استخدام الحرب النفسية، ثم تحكيم السيف بالعدو، فبعث زياد بن لبيد، وكان صديقاً لمحكم بن طفيل سيد أهل اليمامة؛ بقصد أن يكسبه إلى جانبه. فقال خالد لزياد: لو ألقيت إلى محكم شيئاً تكسبه به، فكتب زياد إليه أبياتاً من الشعر. واتجه خالد كذلك إلى عمير بن صالح اليشكري، وكان قد أسلم وكتم إسلامه عن قومه، وكان راسخ الإيمان، وقال خالد: تقدم إلى قومك، فأتاهم، وقال لهم: أظلكم خالد في المهاجرين والأنصار، إني رأيت قوماً إن غالبتموهم بالصبر، غلبوكم بالنصر، وإن غالبتموهم بالعدد، غلبوكم بالمدد، ولستم

---

(١) المصدر السابق، ص٨١.

(٢) أحمد نوفل ـ الحرب النفسية في صدر الإسلام، ص١٤٤ ـ ١٤٥.

والقوم سواء، الإسلام مقبل، والشرك مدبر، وصاحبهم نبي، وصاحبكم كذاب. . .

ثم باشر خالد بن الوليد المهمة نفسها مع ثمامة بن أثال الحنفي، فمشى إلى قومه يدعوهم إلى الاستسلام، ويحطم لديهم روح القتال: (إنه لا يجتمع نبيان بأمر واحد. إن محمداً لا نبي بعده، ولا نبي مرسل معه، لقد بعث إليكم رجلاً لا يسمى باسمه، ولا باسم أبيه، يقال له: سيف الله، ومعه سيوف كثيرة، فانظروا في أمركم)[1].

وقد وصف خالد بن الوليد ﷺ أنه لا ينام إلا على تعبئة ولا يخفى عليه من أمر عدوه شيء[2].

لقد كان لهذا التغلغل الذي زرعه خالد بن الوليد في صفوف أعدائه الأثر الكبير في هزيمتهم من الداخل قبل بدء القتال. قسم خالد جيشه إلى مجنبتين ومقدمة، إضافة إلى قلب قواته، وتحشد في كثيب مشرف على اليمامة، ولطول المعركة فقد قسمت إلى عدة صفحات:

١ ـ الصفحة الأولى ـ هجوم بني حنيفة ونجاحها.

٢ ـ الصفحة الثانية ـ الهجوم الإسلامي ونجاحه.

٣ ـ الصفحة الثالثة ـ القتال الشرس في حديقة اليمامة.

٤ ـ الصفحة الرابعة ـ انتهاء ردة بني حنيفة.

---

(١) د. علي محمد محمد الصلابي ـ تاريخ الخلفاء الراشدين ـ أبو بكر الصديق، ص٢٩٢.

(٢) د. علي العتوم ـ حركة الردة، ص١٩٩.

الصفحة الأولى: هجوم حنيفة ونجاحها:

بدأ بنو حنيفة الهجوم على المسلمين، وجرى قتال شديد، ثم انثنى جناح المسلمين أمام هذا الهجوم الشديد تراجعاً، وتمكن المرتدون من الوصول إلى فسطاط (خيمة) خالد، فمزقوها. وقد قتل المسلمون منهم أعداداً كثيرة، بضمنهم بعض قادتهم، ولما كان العدو يتفوق عددياً، فقد كانت خطة خالد تتضمن إيقاع خسائر كبيرة بالعدو أولاً، ثم التظاهر بالانسحاب؛ لجرهم إلى منطقة قتل، وهذا ما تم تطبيقه؛ حيث تم انسحاب جناح المسلمين الذي تعرض لهجوم شديد، وعندما شاهد خالد ذلك، ونجاح خطته، قال: أبشروا يا معشر المسلمين؛ فقد كفاكم الله أمر عدوكم، واختلف القوم ـ إن شاء الله ـ؛ يقصد بذلك انقسام قوة بني حنيفة، وهنا قرر خالد شن الهجوم المقابل[1].

الصفحة الثانية: الهجوم الإسلامي ونجاحه:

خلال المعركة طلب خالد من قواته أن يقاتلوا بقبائلهم الأصلية قائلاً: امتازوا أيها الناس؛ لنعلم بلاء كل حي. فأخذت كل قبيلة تقاتل على شكل كتيبة، وهذا مما زاد في حميتهم وشراستهم بالقتال.

وقد ركز خالد في الهجوم المقابل على القوة التي اندفعت في جناح المسلمين، فوقعت بها خسائر كبيرة، وأخذت بنو حنيفة تنثني جبهتها بشكل خط متعرج، ولكنهم يقاتلون بشراسة، أما مسيلمة، فقد ابتعدت عنه القوات، وهو لا يستطيع قيادة هذه القوة الكبيرة. عندئذ طلب خالد مبارزة مسيلمة، إلا أنه أجابه أنه يراجع شيطانه، فقرر خالد الهجوم على قلب

---

(١) د. علي العتوم ـ حركة الردة، ص١٩٩.

قوات مسيلمة للوصول إلى مقره. فاندفع أمام قوات مسيلمة، وجرى قتال شرس قتل فيه أعداد كبيرة من قوات مسيلمة، فتقهقرت قوات مسيلمة، والمسلمون قد ركبوهم، وكثر القتل بهم، فهرب مسيلمة متراجعاً مع بقية قواته، وانتهت الصفحة الثانية[1].

الصفحة الثالثة: القتال في حديقة اليمامة:

حديقة مسيلمة الكذاب سماها: حديقة الرحمن، وهي كبيرة ومشجرة، حولها سور، وقد لجأ إليها مسيلمة مع بقية قواته بعد هروبه من ساحة المعركة، وقد حاصرهم المسلمون فيها، وقد تمكن المسلمون من فتح أبوابها؛ حيث طلب البراء بن مالك أن يقذفوا به لفتح الأبواب، وقد تم فتح الأبواب، فدخلها المسلمون، وجرى فيها قتال شرس؛ حيث ارتفعت معنويات المسلمين، واهتز المرتدون، وتمكن وحشي قاتل الحمزة من التسلل بين الأشجار، وقتل مسيلمة، فانهارت بنو حنيفة، واستمر القتل فيهم؛ حيث لم ينج منهم إلا قليل، وقد قالت العرب: إنها لم تواجه خسائر مثل هذه المعركة[2]. فسميت: حديقة الموت.

الصفحة الرابعة: انتهاء ردة بني حنيفة[3]:

بدأ خالد يرسل السرايا من قواته إلى الحصون؛ لملاحقة الشراذم المتبقية من المرتدين، وجمع الأموال والغنائم المختلفة والنساء التي كانت كثيرة؛ فقد فقدت قبيلة بني حنيفة كل إمكانياتها للقتال، ولما كان هدف

(١) علي العتوم ـ حركة الردة، ص٢٠٠.

(٢) الطبري ـ تاريخ، ج٢، ص٢٤٩.

(٣) شوقي أبو خليل ـ حروب الردة، ص٩٢.

المسلمين هو إعادتهم إلى الإسلام، فقد قبل خالد بن الوليد الصلح معهم، وبذلك انتهت أخطر بؤر الردة في الجزيرة العربية، وعادت اليمامة وقومها بنو حنيفة وغيرهم إلى الإسلام[1].

حركات الجبهة الجنوبية[2]:

الأراضي في هذه الجبهة واسعة جداً، فهي نصف جزيرة العرب تقريباً مساحة وسكاناً، ومناطقها: الأحساء، البحرين، عمان، ودبا، وحضرموت، وكندة، واليمن كلها، وهذه المناطق تقع تباعاً على الخليج العربي والبحر العربي والبحر الأحمر، شمالها صحراء الدهناء (الربع الخالي)، والحجاز. هذه الربوع الواسعة لا طرق فيها من شمالها، والطريق إليها من الشرق مواز للبحر، ويحتاج قطعها وقتاً طويلاً.

هناك اتصال للفرس في المناطق الواقعة على السواحل؛ لأن الفرس كانوا يسيطرون على البحر بسفنهم.

أما اليمن، فلها اتصال بالحبشة، وبواسطتها ضمنا مع الروم والبحر تحت سيطرة الرومان.

والحبشة يسيطر المرتدون على أغلب المناطق، ولكن توجد معهم جماعات إسلامية تنتظر وصول قوات الخليفة من المدينة.

قوات المسلمين وأرتالها في هذه المنطقة تطرقنا إلى جزء منها في حركات الجبهة الشرقية، والقضاء على مسيلمة الكذاب وبني حنيفة، وأصبحت بعد القضاء على الردة في شرق الجزيرة تتألف من:

---

(١) ابن كثير ـ البداية والنهاية، ج٦، ص٣٢٩.

(٢) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ، ص٢٤٨ ـ ٢٤٩.

الرتل التاسع: العلاء بن الحضرمي، واجبه البحرين.

الرتل الثامن: حذيفة بن حصن، واجبه أهل دبا.

الرتل السابع: عرجفة البارقي، واجبه مهرة.

الرتل السادس: سويد بن مقرن، واجبه تهامة اليمن.

الرتل الخامس: مهاجر بن أبي أمية المخزومي، واجبه اليمن وكندة وحضرموت.

الرتل الثاني: عكرمة بن أبي جهل يقود الرتل الثاني، ويتولى مسؤولية الجبهة الجنوبية؛ أي: الأرتال الباقية.

حركات الرتل التاسع وتطهير البحرين:

كان العلاء بن الحضرمي قد أرسله الرسول ﷺ إلى البحرين، كما أن ملكها أسلم، فأخذ الإسلام بالانتشار، أما قسم من النصارى والفرس، فقد صالحهم العلاء بن الحضرمي على دفع الجزية.

بعد الردة هرب العلاء بن الحضرمي إلى المدينة المنورة، وقد ظهرت الردة في البحرين يقودها شريح بن ضبيعة من بني قيس، ويلقب بالحطم، وقد بقي قسم منهم على إسلامهم، ويتزعمهم الجارود، واسمه بشر بن عمرو العبدي.

عين الخليفة العلاء بن عبدالله الحضرمي لقيادة الرتل التاسع، والتوجه إلى البحرين، ولكونه أكثر معرفة بتفاصيلها. بعد معركة اليمامة وقتل مسيلمة الكذاب، عاد الكثيرون إلى الإسلام، وقد التحق قسم كبير منهم برتل العلاء بن الحضرمي، وكلما سار الرتل باتجاه البحرين، كانت تلتحق

به القبائل ممن عادوا إلى الإسلام، فأصبح رتل علاء بن الحضرمي قوياً بقوته. وقد زاد معنوية الرتل حادثة الماء في صحراء الدهناء؛ حيث كانت معجزة من الله تعالى، لقد نزلوا في منطقة صحراوية، وليس بها ماء، وكادوا أن يهلكوا، ولكنهم بدعائهم وتضرعهم إلى الله تعالى أظهر لهم ماء في منطقتهم؛ مما زاد الناس إيماناً واندفاعاً إلى القتال[1].

وصل رتل ابن الحضرمي إلى البحرين، وتعاون معه الثابتون على الإسلام يقودهم الجارود؛ كما ذكرت سابقاً. ولما شاهد الحضرمي قوة العدو كبيرة، اتخذ وضعاً دفاعياً، كما أن العدو تحصن أمامهم، وبقيت الحالة لمدة شهر، وفي إحدى الليالي سمع المسلمون أصواتاً من داخل حصون العدو، ولما أرسلوا من يستطلعهم ويأتيهم بالخبر، علموا أنهم سكارى، فشن المسلمون مع الفجر هجوماً مباغتاً، وتمكنوا من قتل بعضهم وهم سكارى، واستولوا على حصونهم، وفر قسم من المرتدين إلى جزيرة دارين؛ حيث لاحقهم ابن الحضرمي فيما بعد، وقضى عليهم، وقتل الحطم قائدهم[2].

لقد ظهر التأثير النفسي الكبير، وارتفاع معنوية المسلمين حين شاهدوا معجزة الله ـ سبحانه وتعالى ـ لهم في صحراء الدهناء عندما أرسل لهم الماء في هذه الصحراء، وأعاد لهم إبلهم، كما كان للانتصار الكبير، وقتل الأعداد الكبيرة من المرتدين من بني حنيفة الأثر البالغ في ضعف وانهيار الردة، وزيادة اندفاع المسلمين بالقتال، وثقتهم بالنصر.

---

(١) ابن سعد ـ الطبقات الكبرى، ج٤، ص٣٦٣.

(٢) ابن كثير ـ البداية والنهاية، ج٦، ص٣٣٣.

حركات الرتل الثامن والسابع، وتطهير عمان:

استجابت عمان لدعوتها إلى الإسلام التي وجهها الرسول ﷺ، وكانت من أكبر قبائلها الأزد، وقد عين الرسول ﷺ ثابت بن زيد الأنصاري لتفقيههم بالدين، وللصلاة بهم، كما عين الرسول ﷺ عمرو بن العاص أميراً له في عمان.

وبعد وفاة الرسول ﷺ ارتدت الأزد، وظهر منهم من ادعى النبوة، وهو لقيط بن مالك الأزدي المكنى بذي التاج.

ذكرنا أن الرتل الثامن بقيادة حذيفة بن محصن واجبه عمان، أما الرتل السابع الذي يقوده عرفجة بن هرثمة، فواجبه مهرة. أمرهم الخليفة أن يسيرا معاً إلى عمان.

كما إن الخليفة طلب من الرتل الثاني الذي يقوده عكرمة بن أبي جهل اللحاق بهم، وأن يتولى قيادة الجبهة الجنوبية. سار عكرمة مسرعاً، ووصل رتله إلى عمان، وأدرك حذيفة وعرفجة قبل وصولها.

اجتمع القادة الثلاثة، وقرروا أن تجمع أرتالهم في صحار عاصمة إقليم عمان، كما اتصلوا بالمسلمين الثابتين على الإسلام بقيادة جَيْفَرٍ وأخيه عبد حيث كانوا متحصنين، وقد استجابوا لذلك[1].

اقترح عبدو جيفر ابنا الجُلَندى على قادة الأرتال أن يواجهوا دبا من صحار، ويجتهدوا بتفريق الناس عن لقيط، فكاتبوا رؤساء الناس الذين مع لقيط، وبدؤوا بسيد بن جديد، فاستجاب لهم.

---

(١) ابن كثير ـ البداية والنهاية، ج٦، ص٣٣٥.

إن أسلوب الحرب النفسية بتفتيت العدو من الداخل، وضرب جبهة العدو الداخلية، والذي اعتمده الخليفة أبو بكر ﷺ هو الذي اعتمد هنا أيضاً، وأثبت نجاحه؛ فقد انفضت بعض القبائل عن لقيط؛ مما تسبب في انهيار قوته ومعنوياته كثيراً.

بدأ لقيط بالتعرض على قوات المسلمين، وكانت قواته كبيرة ومتفوقة بالعدد على قوات المسلمين، وتمكنت قواته من النفوذ في صفوف قوات المسلمين، فأصبحت المعركة تميل لجانب لقيط، وبدأ مدد من القبائل يصل إلى المسلمين، فأمر عكرمة بشن الهجوم على قوات لقيط المرتدة، فنجح الهجوم، وقتل لقيط، وهرب المرتدون بعد تكبدهم خسائر كبيرة بلغت عشرة آلاف، وبذلك تم[1] إعادة عمان إلى الإسلام، وتم مطاردة فلول المرتدين، والقضاء عليهم بعد القضاء على لقيط، ثم القضاء على المرتدين في المهرة أيضاً، وقد عين الخليفة أبو بكر ﷺ حذيفة بن محصن أميراً على عمان، أما قواته، فقد أصبحت حامية قوية فيها؛ لتكون قاعدة لبقية الحركات في الجبهة الجنوبية، وبذلك انتهى واجب الرتلين السابع والثامن.

الحركات لتطهير اليمن:

ظهر في أواخر أيام الرسول ﷺ الأسـود العنسي مرتداً في اليمن، وقـد تم قتله، وآل الأمر إلى فيروز، وقيس بن مكشـوح المرادي عاملي النبي ﷺ في اليمن.

بعد وفاة الرسول ﷺ ارتد قيس بن مكشوح، فعين الخليفة فيروز على

---

(١) د. مهدي رزق الله أحمد ـ الثابتون على الإسلام، ص٥٩ ـ ٦٠.

اليمن لقيادة المسلمين الثابتين على دينهم. أما بالنسبة إلى نجران، فإن أهلها قد بقوا ثابتين على الإسلام، وجددوا عهدهم وبيعتهم إلى الخليفة في المدينة[1].

تمكن قيس بن مكشوح المرتد وعصابات الأسود العنسي من تجميع المرتدين حولهم، والسيطرة على صنعاء، إلا أن فيروز، والمسلمين الثابتين على دينهم، وبعض القبائل التي عززتهم تمكنوا من مواجهة قيس بن مكشوح وطرده هو وعصابات الأسود العنسي، وعادت السيطرة الإسلامية على صنعاء، وقد عزز الخليفة عمر بن الخطاب موقف فيروز، وأرسل إليه الطاهر بن أبي هالة بعد أن فتح الطريق إلى اليمن.

كل ذلك حصل قبل وصول الرتل الخامس الذي يقوده المهاجر المخزومي. تأخرت حركة قوات المهاجر المخزومي عن بقية الأرتال أكثر من شهر، وربَّ ضارة نافعة؛ فقد كانت الانتصارات والنجاحات التي تحققت لبقية أجزاء الجزيرة العربية أثرت كثيراً على القبائل الباقية على ردتها، لقد التحق برتل المهاجر أعداد كبيرة من المسلمين الراغبين بالجهاد، وكذلك من القبائل الثابتة على الإسلام، وحتى من الذين عادوا إلى الإسلام، فأصبحت قواته كبيرة، ووصل إلى فيروز في صنعاء[2].

تحرك قائد الجبهة الجنوبية عكرمة بن أبي جهل إلى اليمن أيضاً بعد أن أعطى لحضرموت وكندة أسبقية ثانية؛ حيث إن زياد بن لبيد ومن معه من الثابتين على الإسلام موقفهم جيد، أصبح الموقف باليمن كما يلي:

---

(١) الطبري ـ تاريخ، ج٣، ص٢٦٣.

(٢) د. مهدي رزق الله أحمد ـ الثابتون على الإسلام، ص٤٢.

الرتل الخامس: المهاجر بن أمية في نجران.

الرتل السادس: سويد بن مقرن في تهامة اليمن.

قوات فيروز والقبائل في صنعاء.

كما وصل الرتل الثاني بقيادة عكرمة قائد الجبهة الجنوبية.

إن وجـود القوات الإســلامية بهذا التوزيع في اليمن قد جعل القبائـل المتمردة في حالة حصار؛ كما أن الخلافات قد دبت بينهم؛ مما ساعد في القضاء عليهم، وإنهاء الردة بدون حصول معارك قتالية كبيرة.

إن الرؤوس في الردة هم: قيس بن مكشوح، وعمرو بن معد يكرب، ولما شاهد عمرو بن معد يكرب تردي موقفهم، قام بأسر قيس بن مكشوح ليلاً، وأخذه إلى المهاجر بن أبي أمية، فقبض المهاجر عليهما، وأرسلهما إلى الخليفة أبي بكر الصديق ﷺ[1]. وقام بإرسال السرايا لمطاردة عصابات الأسود العنسي الذين تحولوا إلى قطاع طرق.

أما شرق اليمن وجنوبها، فإن قوات عكرمة بن أبي جهل قد تولت مطاردة المرتدين، وبذلك فان المرتدين عن الإسلام قد تم القضاء عليهم في اليمن، وتحرك رتل المهاجر إلى كندة لنجدة زياد بن لبيد ومن معه من المسلمين.

قامت القوات الإسلامية بمحاصرة كندة بقيادة عكرمـة بن أبي جهل، وبالرغم من الهجوم الذي شنته كندة على القوات التي تحاصرها، فإنها لم تنجح؛ مما اضطرهـا إلى طلب الأمـان، وتم القضاء على المرتدين، وقتل

---

(١) ابن سعد ـ الطبقات الكبرى، ج٥، ص٥٣٤ ـ ٥٣٥.

رؤوسهم، وبذلك انتهت حركات التمرد في الجبهة الجنوبية.

وعين الخليفة المهاجر بن أبي أمية عاملاً على اليمـن، وبذلك فعلت الحرب النفسية فعلها في تشتيت القبائل المرتدة ورؤوس المرتدين في الجزيرة العربية[1].

الجبهة الشمالية:

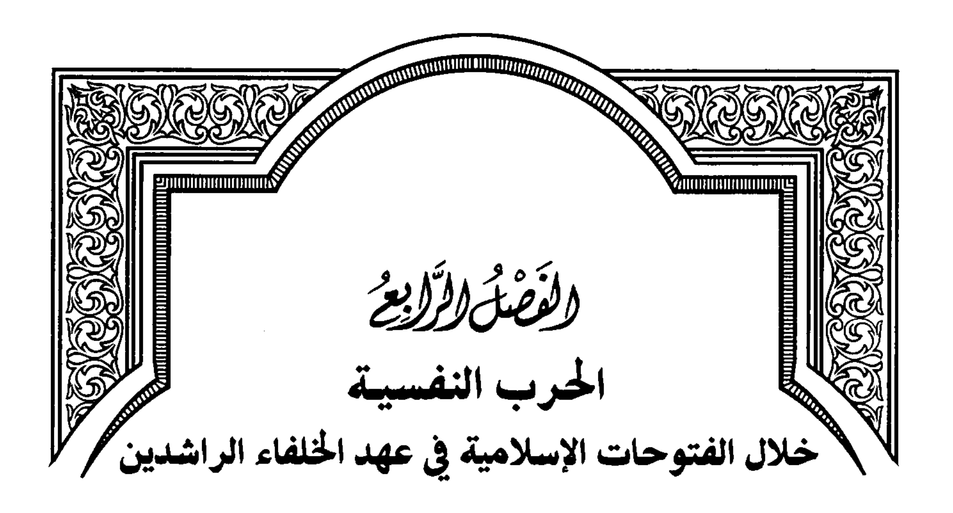
تحرك رتل شـرحبيل بن حسنـة الرتلُ الثالث بعد القضاء على مسيلمة الكذاب إلى قضاعة، فضلاً عن وجود الرتل العاشر عمرو بن العاص، وتم مطاردة مجموعات المرتدين، والقضاء عليهم.

أما الرتل الحادي عشر، فقد كان هدفه الحمقتين في مشارف الشام، وبعد القضاء على الردة هناك، مكث هذا الرتل هناك، فكان قاعدة لفتوحات الشام[2].

❑ ❑ ❑

(١) البلاذري ـ فتوح البلدان، ص١١٥.

(٢) شاكر محمود رامز ـ حروب فجر الإسلام، ص١٣٩.



نظرة عامة:

كانت نهاية القرن السادس للميلاد فترة أزمة كبيرة في تاريخ العرب؛ فقد سادهم التمزق، وعمتهم الفوضى، واشتد التناقض الاجتماعي في المدن، وغلبت البداوة على الحضارة، وباتت بلادهم هدفاً لأطماع الساسانيين في الشرق، وبيزنطة في الغرب، وساحة صراع للقوتين أدى إلى زوال كياناتهم في العراق والشام واليمن.

وسط هذه الأخطار المحدقة والفوضى بزغ فجر الإسلام في مكة؛ ليحدث تغييراً شاملاً في حياة العرب[1].

انطلق العرب بالإسلام إذ تهيأت لهم وحدة العقيدة، ووحدة القيادة، ووحدة الأهداف. وتدافعت راياتهم من يثرب لتحرير الجزيرة من التبعية والفوضى، ولتشدها في كيان سياسي واحد. فلما تم ذلك بانتهاء الردة، انطلقت جموعهم إلى خارج الجزيرة في حركة فتوح لم تقف إلا في أواسط آسيا شرقاً، وجبال البيرنه غرباً. بدت الفتوحات العربية الإسلامية حدثاً فذاً

(١) صبحي عبد الحميد ـ معارك العرب الحاسمة، ص٩.

في التأريخ. وذهب الباحثون يتلمسون التفاسير. فمنهم من عدَّ الفتوحات موجة سامية ناشئة من الجفاف المتزايد في الجزيرة، ومنهم من اعتبرها ظاهرة للصراع بين البادية والحاضرة. ومنهم من أعطاها تفسيراً مادياً صرفاً[1].

ولسنا بصدد هذه التفاسير، ويكفي أن نبين أن الإسلام وحد العرب فكرياً وسياسياً، وفرض عليهم الجهاد. ومع أن غنى البلاد المجاورة كان له أثره، إلا أن القوة الدافعة كانت الرسالة الجديدة للبشرية. كما أن خطر القوى المجاورة الفارسية والبيزنطية على الرسالة الإسلامية كان له أثر كبير.

إن تنظيم الأمة العربية الإسلامية خطط على أساس تعبئتها للجهاد، وتمثل ذلك في تكوين ديوان للجند والعطاء والضرائب، وفي التنظيم الإداري، وبناء المدن الجديدة؛ مثل: الكوفة والبصرة والفسطاط والقيروان. لقد حصلت تعبئة بشرية وفكرية واقتصادية في سبيل الجهاد، فكانت قاعدة التوسع السريع.

من ناحية أخرى لم تكن الفتوحات مجرد غزوات بسيطة، بل كانت تسير وفق تخطيط عام يتضح من دراسة سير الفتوحات. فالحملات الأولى التي وجهت إلى العراق والشام اقتصر نطاقها على الأراضي المجاورة للصحراء معقلِ العرب؛ حيث تعيش مجموعات عربية كبيرة. أراد العرب بذلك أن يوجدوا لأنفسهم مراكز يندفعون منها في توسعهم المقبل، وتبين هذا في فعاليات خالد بن الوليد في العراق؛ (إذ احتل الأُبُلَّة، ودار حول وادي الفرات؛ ليحتل الحيرة والأنبار على حافة الصحراء). وينطبق هذا

---

(١) صبحي عبد الحميد ـ معارك العرب الحاسمة، ص١٠.

على فعاليات الفرق الثلاث التي أرسلت إلى الشام (سنة ٦٣٣)[١].

كانت القوات التي أرسلت إلى العراق والشام صغيرة في البداية، فحسبها الساسانيون والبيزنطيون غزوات بدوية محدودة، ثم انتبهوا لخطرها، وبدؤوا باتخاذ مواقف أكثر جدية. كما أن القوات الإسلامية بدأت تتوارد قوات إضافية إليها من المدينة، وبدأ الصراع الجدي مع الساسانيين والبيزنطيين.

اتجه الاهتمام إلى الشام؛ لأنها أوثق روابط بالحجاز، ولأهميتها الإستراتيجية. فبدأت العمليات القوية المنظمة فيها، وبهذا تبدأ المرحلة الثانية، حيث وقعت في الشام معارك متتابعة، وكانت المعركة الحاسمة (اليرموك) في ٢٠ آب سنة ٦٣٦م، وبها تقرر مصير الشام، وتم فتح بقية البلاد خلال سنتين[٢].

بعد اليرموك بدأت المرحلة الثانية في العراق بإرسال الإمدادات، وتعيين قيادة عليا لجبهة العراق، فكانت معركة القادسية في حزيران سنة ٦٣٧م معركة فاصلة أعقبها فتح العراق، كما كانت معركة جلولاء آخر معركة مهمة في نهاية سنة ٦٣٧م، وبها انتهى تحرير العراق، وانتهت المرحلة الثانية من الفتوحات.

ثم بدأت المرحلة الثالثة، ولم تكن استمراراً للفتوحات وحسب، بل كانت ضرورة إستراتيجية، وربما ضرورة اقتصادية أيضاً.

فقد كانت القوة الساسانية تهدد العراق، وكانت الإسكندرية في مصر قاعدة للأسطول البيزنطي، وخطراً على بلاد الشام، وربما على الحجاز،

---

(١) نفس المصدر، ص١٠.

(٢) صبحي عبد الحميد ـ معارك العرب الحاسمة، ص١١.

وكانت حيوية لتموين الحجاز أيضاً.

بدأت الهجرات القبلية الواسعة إلى الهلال الخصيب بعد القادسية واليرموك، وأنشأ العرب الكوفة والبصرة؛ لتكون دور هجرة، ومراكز للقوات العربية الإسلامية، ومحطات للتوسع شرقاً.

وكانت حركات الفتوح في إيران وشرقها صادرة من الكوفة والبصرة. أما الحملة على مصر، فكانت استمراراً للحملة على بلاد الشام، وقد بنيت مدينة الفسطاط[1]؛ لتكون مركزاً عسكرياً وإدارياً، وصارت قاعدة للاندفاع غرباً، وذلك على غرار مدن البصرة والكوفة في العراق؛ حيث اندفعت منها القوات لاحتلال برقة وطرابلس سنة ٦٤٣م.

ولما كان الأسطول البيزنطي يشكل خطراً على العرب، فقد اهتم أمير الشام معاوية بن أبي سفيان ببناء أسطول عربي، وكان الاصطدام بالأسطول البيزنطي سنة ٦٥٥م؛ حيث وقعت معركة ذات الصواري البحرية، وكانت نصراً للعرب يوازي انتصار اليرموك.

من خلال هذه النظرة العامة على الفتوحات الإسلامية في زمن الخلفاء الراشدين، فإني سأبحث الحرب النفسية في هذه الفتوحات بمراحلها الثلاث المذكورة آنفاً؛ حيث توقفت هذه الموجة من الفتوحات أثناء الفتنة، ولم تبدأ الموجة التالية إلا في العصر الأموي.

بدء الفتوحات الإسلامية:

لقد كان الجهاد الذي خاضه الصحابة في حروب الردة إعداداً ربانياً

---

(١) الفسطاط: الخيمة.

للفتوحات الإسلامية؛ حيث تميزت الرايات، وظهرت القدرات، وتفجرت الطاقات، واكتشفت قيادات ميدانية، وتفنن القادة في الأساليب والخطط الحربية، وبرزت مؤهلات الجندية الصادقة المطيعة المنضبطة الواعية، التي تقاتل وهي تعلم على ماذا تقاتل، وتقدم كل شيء وهي تعلم من أجل ماذا تضحي وتبذل، ولذا كان الأداء فائقاً، والتفاني عظيماً[1].

لقد توحدت شبه الجزيرة العربية بفضل الله، ثم جهاد الصحابة مع الصديق ﷺ تحت راية الإسلام لأول مرة في تأريخها.

ويسطت عاصمة الإسلام المدينة هيمنتها على ربوع الجزيرة، وأصبحت الأمة تسير بمبدأ واحد، وبفكرة واحدة، فكان الانتصار انتصاراً للدعوة الإسلامية، ولوحدة الأمة بتضامنها، كما كانت برهاناً على أن الدولة الإسلامية بقيادة الصديق ﷺ قادرة على التغلب على أعنف الأزمات[2].

إن الردة عن الإسلام في الجزيرة العربية جددت الأمل عند الفرس والروم بأن العرب سيقضون على الإسلام، وقدمت الفرس والروم للعرب المرتدين عن الحكم الإسلامي الكثير من المساعدات، وأوت الفارين منهم، ولذلك لم يكد المسلمون يعيدون الجزيرة العربية إلى وحدتها حتى كان الأوان قد آن للزحف نحو الشمال لمواجهة العدوين الكبيرين اللذين يتربصان بالإسلام[3].

لقد تحرك الصديق من قاعدته الأمينة المدينة، وبعث منها الجيوش

---

(١) علي الصلابي ـ فقه التمكين في القرآن الكريم، ص٤٩١.

(٢) عبد الرحمن شجاع ـ تاريخ صدر الإسلام، ص١٤٢ ـ ١٤٣.

(٣) د. علي محمد الصلابي ـ تاريخ الخلفاء الراشدين ـ أبو بكر الصديق، ص٣١٦.

بعد أن جهزها بكل ما يجعلها ذات هيبة في عيون وقلوب الأعداء، وما كان الصديق أن ينطلق لفتح العراق وبلاد الشام لولا أنه أمن قاعدته الكبرى (الجزيرة العربية).

وقد تمثل أمن هذه القاعدة في ثلاثة مستويات هي:

- أولاً: عزم الخليفة على مواصلة الجهاد، وإيمانه الوطيد بصلاحية فكره، وتميزه واستعلائه به.
- ثانياً: نظافة مجتمعه الأصغر مجتمع المدينة من مهاجرين وأنصار.
- ثالثاً: تطهير مجتمعه الأكبر - وهو المجتمع العربي - من أدران الشرك والردة.

وقد امتزجت هذه المستويات مع بعضها حتى سما البناء شامخاً قوياً، واستطاع أن يرمي به ثغور العراق والشام رمياً زعزع كيانات الفرس والروم زعزعة شديدة في أمد قصير[1].

الوضع العام في بلاد فارس:

لا يهمنا تأريخ الفرس في بحثنا، ولكن يهمنا منه خلال فترة قيام الدولة الإسلامية وبدء الفتوحات؛ حيث كان الملك «كسرى أبرويز» الذي كان حكمه تعسفياً هو وعماله، وظلموا الناس؛ حيث تشدد عماله في اخذ الضرائب من الناس، فنفرت قلوب الناس من هذا الحكم، فاستغل عظام الفرس عدم محبة الناس لكسرى، وضعف سيطرته، فأرغموه على التنازل لولده أبرويز، ثم حرضوا الابن على قتل أبيه، فقتله، ثم شعر بطمع زعماء مملكته بالسلطة،

---

(١) الطبري - تاريخ، ج١، ص٢٦٠.

وخاصة إخوته، فقتل إخوته، وكان عددهم سبعة عشر أخاً، وندم على جريمته، ومات بعد سنة، ثم استولت أخته بوران على العرش، ثم استمرت سلسلة الصراعات على العرش. هذا بالنسبة إلى الحكم. أما بالنسبة إلى الشعوب الواقعة تحت حكمهم، فهي تئن تحت الظلم، ومنهم العرب، وهم لا يريدون التسلط الساساني عليهم، وقد لاحظنا ذلك من قتل النعمان ابن المنذر ملك الحيرة، ومعركة «ذي قار» بين قبائل العرب والفرس[1].

هناك أسباب كثيرة حول بدء الفتوحات بالعراق قبل بلاد الشام منها: وقوع العراق على تخوم الجزيرة أقرب من بلاد الشام، كما أن الفرس يهددون الإسلام أكثر من الروم بسبب تواجدهم على شواطئ الخليج العربي وبحر العرب، ووجود عناصر فارسية وعناصر عميلة للفرس في سواحل جزيرة العرب، كما أن القبائل العربية، ومنها قبيلة المثنى بن حارثة الشيباني تشكل قاعدة أمينة لجيوش العرب المسلمين، كما أن أرض السواد أرض غنية، ويوجد العرب والمستضعفون في هذه الأرض مما يتطلب تحريرهم. كما أن الدولة الساسانية الفارسية هي أقوى من الدولة الرومانية؛ مما يتطلب البدء بكسرها أولاً مع أول موجات إسلامية جهادية[2].

المرحلة الأولى: الخطة السوقية للخليفة أبي بكر الصديق لفتح العراق:

إن الهدف الرفيع، والمقصد السامي للفتوحات التي قادها الخليفة الصديق ﷺ: نشر دين الله تعالى بين الناس، وإزاحة الطواغيت من على رقاب الناس، وكان الصديق والمسلمون معه على يقين بما وعد الله رسوله

(١) شاكر محمود رامز ـ تاريخ حرب ـ تحرير العراق، ص١٤٦ ـ ١٤٧.

(٢) شاكر محمود رامز ـ تاريخ حرب ـ تحرير العراق، ص١٤٦.

بالنصر والتمكين، وهذا اليقين سمة بارزة من سمات جيل النصر وأخلاقه، فقد كان المؤمنون على يقين من قوله تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾[الصف: ٩].

وبقوله تعالى:

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾[غافر: ٥١].

تضمنت الخطة السوقية للخليفة التعرض على محورين:

١ ـ المحور الأول: وهو المحور الرئيسي يبدأ بتعرضه من جنوب العراق مبتدئاً بالأُبلَّة (ثغر الهند) منطقة البصرة فيما بعد، ويتجه شمالاً على طول نهر الفرات مستهدفاً الحيرة، وتكون عملية التعرض بقيادة خالد بن الوليد.

٢ ـ المحور الثاني: التعرض على العراق من شمال الحيرة بقيادة عياض ابن غنم، وتسير قواته من المدينة إلى دومة الجندل (الجوف) لإخضاع القبائل المتمردة بالمنطقة، ثم يتجه إلى المصيخ (غرب بلدة الرمادي الحالية)، وبعدها ينعطف جنوباً إلى الحيرة[1].

طلب الصديق ﷺ من القادة أن يتآلفوا مع الناس، ويدعوهم إلى الله ﷻ، فإن أجابوا، فبها، وإلا أُخذت منهم الجزية، فإن امتنعوا عن دفعها، يقاتلوهم. كما طلب الصديق من قادته عدم إكراه الناس على الجهاد؛ أي: أن يكون الأمر اختيارياً وليس إجبارياً، إضافة إلى طلبه عدم إشراك المرتدين في

---

(١) شاكر محمود رامز ـ تاريخ حرب ـ تحرير العراق، ص١٥٢.

الجهاد، كما أمرهم أن يستصحبوا كل امرئ مروا به ويرغب بالجهاد من المسلمين، وشرع أبو بكر ﷺ في تجهيز السرايا والبعوث والجيوش إمداداً لخالد بن الوليد، وعياض بن غنم ﷺ[١].

وقد كتب الخليفة أبو بكر ﷺ إلى خالد وعياض بأن يستبقا إلى الحيرة، فأيهما سبق إلى الحيرة، فهو أمير على صاحبه. كما قال لهما: فإذا اجتمعتما إلى الحيرة، وقد فضضتما مسالح فارس، وأمنتما أن يؤتى المسلمون من خلفهم (مؤخرتهم)، فليكن أحدكما ردءاً للمسلمين ولصاحبه بالحيرة، وليقتحم الآخر على عدو الله وعدوكم من أهل فارس دارَهم ومستقرَّ عزتهم المدائن[٢] [٣].

ملاحظات حول الخطة:

مما ذكرنا أعلاه ظهرت لنا الغاية من هذه المرحلة من حرب العراق، وهي فتح الحيرة، وهذا معناه الاستيلاء على جميع الربوع العربية غرب الفرات، وكذلك البادية غرب الحيرة التي أصبحت هدفاً سوقياً للقوات المتقدمة على المحورين. اختار الخليفة دار الحرب أراضي عربية تسكنها قبائل عربية، ولكنهم بتحالف مع الفرس، أو تحت سيطرتهم. والقوات الفارسية تتواجد بالمدن والمواقع المهمة كالحاميات. أما القوات الرئيسية للفرس، فهي في المدائن بينها وبين الحيرة مسافة، ونهر دجلة والفرات وروافدهما، وهي تشكل موانع اتجاه التقدم، ومواضع دفاعية مناسبة

---

(١) ابن كثير ـ البداية والنهاية، ج٦، ص٣٤٧.

(٢) الطبري ـ تاريخ ـ، ج٤، ص١٦٣.

(٣) د. ياسين سويد ـ الفن العسكري الإسلامي، ص٨٣.

للمسلمين، وهنا يظهر لنا عامل السرعة في احتلال الحيرة.

من أهم صفات هذه الخطة: تشتيت قوات العدو؛ لأنه لا يعلم أي من المحاور سيسبق الآخر، وتؤمن المناورة السوقية إذا توقف أحدهما، فيستمر الثاني على التعرض، ويؤمن كذلك الأمن من الإحاطات السوقية؛ لأن كل محور يعاون الثاني لتلافيها.

وإذا فكرنا ببديل لهذه الخطة، فأقرب ذلك هو التحرك على محور واحد من الشمال أو الجنوب إلى الحيرة، فعندها تنقلب الحسنات أعلاه إلى شبه سيئات، فتحارب قوات هذا المحور على اتجاهات متعددة، ويفقد الزمن والمناورة، ومن الجائز أن تسرع القوات الفارسية، فتمنعه من الوصول لغايته؛ لأن الخطة تفقد مناورتها، وتنكشف غايتها، ويراد للحركات مدة طويلة، وعليه تُعَدُّ الخطة مثالية[١] [٢].

كان هدف الخليفة الصديق ﷺ السيطرة على الحيرة، وذلك لأهميتها العسكرية؛ فهي تقع على بعد ثلاثة أميال جنوب الكوفة، وتبعد عن النجف مسيرة ساعة للفارس من الجنوب الشرقي، والناظر إلى الخارطة يرى ـ من أول وهلة ـ أهمية هذا الموقع الإستراتيجي.

فالحيرة كانت تعد عقدة المواصلات في نقطة تتصل بها الطرق من جميع الاتجاهات، فهي تتصل بالمدائن من الشرق، وتتصل بالأُبُلَّة من الجنوب، وبالشام من الغرب، ومن هذا يتضح جلياً أهمية موقعها للحركات المقبلة، وكان الصديق مصيباً عندما جعلها هدفاً لجيشين. فالحيرة كانت

---

(١) شاكر محمود رامز ـ تاريخ حرب ـ تحرير العراق، ص١٥٣.

(٢) نزار الحديثي، خالد الجنابي ـ أبو بكر الصديق، ص٤٥.

قلب العراق، وأقرب منطقة مهمة إلى المدائن عاصمة الإمبراطورية الفارسية التي كانت تدرك هذه الأهمية للحيرة.

إن خطة الصديق للوصول إلى الحيرة في الفتوحات الإسلامية تعرف في الخطط العسكرية للجيوش الحديثة بحركة فكي الكماشة. إن هذا يؤكد حقيقة مهمة، وهي أن عملية تحرير العراق، وضم أطراف شبه الجزيرة العربية عن طريق الجهاد لم تكن محض صدفة وإنما جاءت وفق تخطيط جهادي مدروس.

وهذا يرتكز على اتخاذ القرارات بتنظيم الجيوش وتوجيهها، وتحديد واجباتها وأهدافها، وتنسيق التعاون فيما بينها، غير أنه يترك للقادة حرية العمل العسكري لإدارة العمليات القتالية بالأساليب التي يرونها مناسبة[1].

انضمام المثنى بن حارثة إلى جيش خالد بن الوليد:

كان المثنى بن حارثة الشيباني له اطلاع واسع على وضع فارس، وضعف دولتهم بصورة عامة، ونقاط ضعف شعبهم، وطبيعتهم البشرية، وأسلوب قتالهم بصورة خاصة.

وصلت أخبار المثنى بن حارثة إلى الخليفة أبي بكر، كما أن المثنى حضر إلى الخليفة، وأخذ يمدح له العراق، ويصف أراضيه وسواده المشهور، وضعف فارس، وتطلع القبائل العربية إلى التحرر والاستقلال منهم، وبعض الأمور التي ترغب وتسهل الحركات التعرضية.

وبعد عودته أخذ يقوم بالغارات والمناوشات والمعارك المحدودة ضد

(١) د. علي محمد الصلابي ـ تاريخ الخلفاء الراشدين ـ أبو بكر الصديق، ص٣٣٤.

الفرس، وعند قدوم خالد بن الوليد إلى العراق طلب الخليفة من المثنى الانضمام ومن معه إلى خالد بن الوليد، وبذلك فقد كان المثنى وجيشه من قومه هم المرتكز الذي استند إليه خالد بن الوليد، واستفاد منه[1].

جوانب الحرب النفسية:

بعد التعرف على خطة الصديق لتحرير العراق من عدة جوانب لابد أن نبين جوانب الحرب النفسية في هذه الخطة التي لم تكن مجردة أو بعيدة عن جوانب الحرب النفسية. فتوجيه الخليفة للقادة بالتآلف مع الناس، ودعوتهم إلى الإسلام، أو دفع الجزية، أو القتال أحد أهم جوانب الحرب النفسية، فهذا معناه وجود أكثر من خيار أمامهم، أحدها: القتال، وهذا بحد ذاته عامل تفتيت لقوة العدو، فليس كل الناس يرغب في القتال، والذي هو أصعب الخيارات بالنسبة إليهم.

أما الجانب الثاني، فإن أكثر سكان أرض السواد وتخوم الفرات هم من قبائل عربية انضوت أعداد كبيرة منهم تحت راية الإسلام، ومنهم بنو شيبان قومُ المثنى بن حارثة الذين هم في قتال مع الفرس؛ لذلك جرت استمالة معظمهم، خاصة وأنهم يعانون من اضطهاد وظلم الفرس لهم، وليست لهم مصلحة تدفعهم إلى قتال بني جلدتهم، والاصطفاف إلى جانب الفرس، حتى إن وجدت بعض التحالفات القديمة الزائفة.

كما وجه الخليفة الصديق ﷺ القادة بعدم إكراه الناس على الجهاد، وعدم أخذ من كانوا مرتدين عن الإسلام إلى الجهاد، وفي هذا حكمة كبيرة، وجانب نفسي مهم؛ حيث إن ذلك يجعل صفوف المسلمين المجاهدين قوية

---

(١) محمود شاكر - التاريخ الإسلامي، ج٩، ص١٣٠.

وصلبـة، وحتى لا يشـرك بالجهاد طـلاب الـدنيا، فيكونوا سـبباً في فـشل المجاهدين، واختلاف صفوفهم.

كما أنه أراد أن يتأكد ممن كانوا على الردة بأن إسلامهم صحيح، وقد كان ذلك له مردود نفسي خطير على الذين اشتركوا في الردة، فأصبحوا يفعـلون كـل مـا بوسـعهم لإعادة الثقـة بهم في نظـر الخليفـة والصحابـة والمسلمين كافة.

كما سنرى كيف أبلى الكثير منهم بلاء حسناً في القتال بعد أن أذن لهم بذلك في زمن الخليفة عمر ﷺ[1].

لقد أوجد الخليفة حالة التنافس والمسابقة في تحقيق الهدف السوقي، وهو احتلال الحيرة بأن جعل من يصلها أولاً أميراً على صاحبه، وهذا يلهب حماسهم، فكل منهم يريد أن يحقق أهدافه بسرعة، وهذه السرعة بالواقع ذات تأثير كبير على العدو بعدم إعطائه الفرصة لالتقاط أنفاسه، والقيام برد فعل كبير، أو أخذ الفرصة لترتيب قواته، ولكي لا يستفيق من قوة الصدمة التي ستصيبه، خاصة وأن القوات الإسلامية تمتاز بخفة الحركة، وسرعة المناورة، ورد الفعل السريع، وذلك عكس قوات عدوهم، وبالإضافة إلى التنافس بين القادة، فقد أعطى الخليفة صلاحيات واسعة للتصرف، واتخاذ القرار، ورد الفعل السريع من خلال مركزية الخطة، ولامركزية التنفيذ، وهو ما جعل الخطة مرنة بشكل كاف.

أما في جانب العدو، فقد أوصى الخليفة بالناس خيراً، وبخاصة أنهم

---

(١) الطبري ـ تاريخ، ج٤، ص١٦٣.

يعانون من ظلم واضطهاد الفرس؛ مما يساعد على استمالتهم وكسبهم لإضعاف صفوف العدو[1].

يظهر هنا سؤال مهم ينبغي طرحه بعد الذي ذكرناه: لماذا تقاتل القبائل أو السكان أو الشعوب المظلومة إلى جانب مستعبديها وجلاديها بعد أن عرفت أن الإسلام دين رحمة وحرية، جاء لرفع الظلم عنهم وهدايتهم، وهذا عامل مهم في هزيمة العدو في المعارك كما سيرد ذكره.

معارك خالد بن الوليد في العراق:

سار خالد بن الوليد إلى العراق ومعه ألفا رجل ممن قاتلوا المرتدين، وحشد في طريقه ثمانية آلاف من قبائل ربيعة، ثم انضمت إليه قوات ثلاثة من الأمراء، وهم: المثنى بن حارثة، وحرملة التميمي، ومذعور بن عدي العجلي[2] الذين كانوا يرابطون على تخوم العراق، وبذلك بلغت قوات المسلمين في تعدادها ثمانية عشر ألف رجل، وكان خالد بن الوليد قد طلب المدد من الخليفة، فأرسل له القعقاع بن عمرو التميمي قائلاً: هذا فارس بألف، ولا يهزم جيش فيه مثل هذا[3].

وقد كان الخليفة محقاً في ذلك عندما نعلم دور القعقاع في معارك تحرير العراق، وهذا له الدور النفسي في إرهاب العدو.

وقبل بدء خالد بن الوليد بالمعارك أرسل خطاباً إلى هرمز قائد الثغور الجنوبية للعدو يقول فيه: أما بعد: فأسلم تسلم، أو اعقد لنفسك وقومك

---

(١) يسري محمد هاني - تاريخ الدعوة إلى الإسلام، ص٣٤٢.

(٢) نزار الحديثي، خالد الجنابي - أبو بكر الصديق، ص٤٥.

(٣) الطبري - تاريخ، ج٤، ص١٦٣.

الذمة، وإقر بالجزية، وإلا فلا تلومن إلا نفسك؛ فقد جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة[1].

وهذه هي الحرب النفسية في ميدان القتال؛ فقد كان غرض هذه الرسالة هو إدخال الرعب والخوف في قلب هرمز وجنوده؛ ليوهن قوتهم، ويهبط عزيمتهم في القتال. كما كان خالد قد خطب في جنوده قبل المعارك يحرضهم ويشد عزيمتهم بالقتال.

تقدم خالد بثلاثة أرتال تنتقل على طرق مختلفة، وليس على طريق واحدة، وبذلك فإنه يؤمن السرعة والمناورة والمرونة، فضلاً عن أمن قطعاته.

وقد تمكن من خدع العدو، عندما تحرك نهاراً باتجاه الحفير، ثم عاد ليلاً باتجاه كاظمة؛ مما أجبر العدو على تغيير خطته، والاتجاه إلى كاظمة؛ حيث بدأت أولى المعارك، وقد حاول هرمز المعروف بخبثه وكراهيته للعرب الغدر بخالد عندما دعاه للمبارزة، وهيأ فرساناً للغدر به إلا أن القعقاع بن عمرو انتبه لذلك، وشاهدهم؛ حيث اندفع إليهم بعدد من الفرسان، وتمكن خالد من قتل هرمز؛ كما تمكن القعقاع ومن معه من الفرسان من قتل فرسان هرمز[2].

وقد دارت معركة حاسمة وسريعة، وانهزم العدو، وتم احتلال كاظمة، وقد سميت هذه المعركة: ذات السلاسل؛ لان الفرس كانوا يربطون جنودهم بالسلاسل كيلا يهربوا، ومن هذا نستنتج انهيار معنويات العدو،

---

(١) الطبري ـ تاريخ، ج٤، ص١٦٤.

(٢) الطبري ـ تاريخ، ج٤، ص١٦٤.

وعدم قدرته على المواجهة؛ حيث كان تأثير الحرب النفسية عليهم كبيراً، وقد أدرك قادة الفرس ذلك قبل المعركة؛ مما دفعهم إلى اتخاذ هذا الإجراء الذي لم يمنعهم من الهرب أمام المسلمين.

استمرت سلسلة من المعارك في مثلث: كاظمة، الأُبُلَّة، الحفير، وتعد معركة ذات السلاسل المفتاح لتحرير هذه المناطق، وطرد الفرس منها؛ حيث أصبح جيش المسلمين بعدها يرسل السرايا لطرد الحاميات والتواجد الفارسي منها[1].

لقد غنم المسلمون من هذه المعركة ومن الحاميات الفارسية غنائم كبيرة؛ حيث بلغت حمل ألف بعير، كما جمعوا أموالاً كثيرة من فعاليات السرايا في منطقة الحركات. وزعت الغنائم بين المقاتلين وأرسل خمسها إلى المدينة، ومن ضمنها قلنسوة هرمز القائد الفارسي المرصعة بالجواهر، فأهداها الخليفة إلى القائد خالد بن الوليد ﷺ.

لقد نفذ خالد بن الوليد وصية الخليفة بمعاملة الناس معاملة حسنة، وعدم أخذ ممتلكاتهم، أو سبيهم أو أسرهم، أو الاعتداء عليهم، وقد أبقى الفلاحين في أراضيهم. إن لذلك أثراً كبيراً من ناحية الحرب النفسية؛ حيث إن هذه بداية معارك تحرير العراق، فإذا اطمأن الناس على أنفسهم وأموالهم ومصالحهم، فإنهم سوف لا يقاومون، وسيسهل ذلك كسبهم للإسلام وعدم التعاون مع الفرس[2].

---

(١) د. علي محمد الصلابي ـ تاريخ الخلفاء الراشدين ـ أبو بكر الصديق، ص٣٣٨.

(٢) الطبري ـ تاريخ، ج٤، ص١٦٦.

معركة المذار:

كان هرمز قد طلب المدد من كسرى، فأمده بجيش بقيادة (قارن)، ولكن هرمز استخف بجيش المسلمين، فسارع إلى قتال المسلمين قبل وصول المدد إليه، فحل به وبجيشه ما حل، وهرب جيشه ملاقياً المدد الذي أرسله كسرى بقيادة (قارن) في المذار، ولما وصلت المعلومات إلى خالد بن الوليد من المثنى بن حارثة الشيباني الذي كان تحرك إلى فتح بعض الحصون الفارسية، كتب خالد بن الوليد إلى الخليفة، وسار إلى المذار لملاقاة العدو، وهو مستعد لهم، وعند بدء المعركة حدثت مبارزة مع قادة الفرس، وتمكن معقل بن الأعمش من قتل قارن، القائد الفارسي، والذي كان قد وضع على ميمنة جيشه (قباذ)، وعلى ميسرته (أنوشجان)، وهم من القواد الذين حضروا معركة ذات السلاسل، وهربوا من المعركة، فتصدى لهما بطلان من المسلمين، وقتلاهما، حيث قتل (قباذ) عديٌّ بن حاتم الطائي، وقتل (أنوشجان) عاصمُ بن عمرو التميمي أخو القعقاع. واشتد القتال بين الفريقين فانهزم الفرس بعد مقتل قادتهم شر هزيمة، وقتل منهم ثلاثون ألفاً[1].

لقد كان للحرب النفسية الدور الأساسي في هزيمة الفرس في هذه المعركة؛ حيث إن الهاربين من المعركة السابقة التحقوا مع جيش (قارن) في هذه المعركة، والمعروف أن المنهزم من ساحة المعركة ليس من السهولة أن يصمد فيها ثانية، بل بالعكس، انعكست هزيمتهم على معنويات قواتهم الجديدة، فهزتها قبل وقوع المعركة، فضلاً عن تأثير قتل قادتهم، وهذا ما جعل خسارتهم كبيرة، وهزيمتهم كبيرة أيضاً. وبعد احتلال المذار أقام

---

(١) الطبري ـ تاريخ، ج٤، ص١٦٨.

الجيش الإسلامي فيها[1].

معركة الولجة:

عندما وصل نبأ هزيمة الجيش الفارسي في المذار إلى كسرى، أرسل جيشين: أحدهما بقيادة (الأَنْدَرْزَغَر) من المدائن، وتحرك إلى الولجة، والثاني بقيادة (بهمن جاذويه) الذي تحرك من وسط السواد، وتجمعت القوات الفارسية في الولجة، ولما علم خالد بن الوليد بأمر تحشد القوات الفارسية، وجد ضرورة مهاجمتهم من ثلاثة اتجاهات؛ لكي يفرق جموعهم، ويشتت جبهتهم، وقد أجرى استطلاعاً واسعاً للمنطقة، فوجدها منبسطة ومناسبة للمعركة.

وبدأ هجومه من الجبهة أو المقدمة، وتلاه هجوم فرقتين من مؤخرة العدو ومجنبته، فارتبك العدو، وحلت به هزيمة منكرة؛ حيث إنهم - حتى الذين انهزموا - ماتوا عطشاً، فكانت المعركة انكساراً كبيراً للعدو، ونصراً مؤزراً للمسلمين، ذاع خبره في كل سواد العراق، وفي كل مملكة فارس[2].

إن سلسلة الانتصارات الكبيرة في بلاد السواد قد ألهبت معنويات المسلمين حماساً، وزادتهم ثقة وإيماناً بالله وبقادتهم، وأغنمتهم الأموال الكثيرة، وشجعت كل المسلمين على الاندفاع للجهاد في سبيل الله، وهذا جانب مهم وأساس قوي لتحقيق الانتصارات في المعارك القادمة.

وكما ذكرنا في الفصل الأول من هذا البحث، فإن الروح المعنوية أو

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) خالد الجنابي - أبو بكر الصديق، ص٤٨.

المعنويات هي العامل المهم في الحرب النفسية وكسب المعارك.

بعد المعركة قام خالد بن الوليد خطيباً بالناس يرغبهم في بلاد الأعاجم، وزهدهم في بلاد العرب، وقال: ألا ترون ما هنا من الاطعمان؟ وبالله! لو لم يلزمنا الجهاد في سبيل الله، والدعاء إلى الإسلام، ولو لم يكن إلا المعاش، لكان الرأي أن نقاتل على هذا الريف حتى نكون أولى به، ونولي الجوع والإقلال من تولاه ممن اثاقل عما أنتم عليه[1].

وهذا الكلام يشحذ الهمم، ويقوي العزم، ويحيي القلب، ويفجر الطاقات، فتنطلق بعد ذلك النفوس المؤمنة مجاهدة في سبيل الله تعالى بكل طاقاتها وإمكاناتها وقدراتها[2].

وصلت المعلومات إلى خالد بن الوليد بأن نصارى العرب انضموا إلى الأعاجم، وصاروا عوناً لهم على المسلمين، وكان عليهم عبد الأسود العجلي، وعلى الفرس قائدهم جابان، وذلك في منطقة أليس (السماوة حالياً)، كما تجمع معهم عرب الضاحية من أهل الحيرة، فسار إليهم خالد ابن الوليد، ولم يكن يعلم بانضمام جيش الفرس إليهم.

فأمر جابان جنوده بمهاجمة المسلمين، ولكنهم لم يكترثوا، وتداعوا إلى الطعام، فباغتهم خالد بن الوليد على طعامهم، واشتد القتال معهم حتى تمكن المسلمون منهم، وكان خالد بن الوليد قد دعا ربه قائلاً:

اللهم إن لك علي إن منحتنا أكتافهم ألا أستبقي منهم أحداً قدرنا عليه

(١) ابن الأثير ـ الكامل، ج٢، ص١٢٥.

(٢) د. علي محمد الصلابي ـ تاريخ الخلفاء الراشدين ـ أبو بكر الصديق، ص٣٣٨.

حتى أجري نهرهم بدمائهم، فلما مكنهم الله منهم، قام بجمع أعداد كبيرة منهم، ووكل بهم رجالاً يضربون أعناقهم حتى سمي النهر بنهر الدم[١].

وبذلك دخل خالد منطقة أليس، وقد هرب الناس من المناطق المحيطة بها بدون قتال، فغنم المسلمون غنائم كبيرة؛ حيث بلغت حصة الفارس أكثر من ألف وخمس مئة درهم، وأرسل خمس الغنائم إلى المدينة، ففرح الخليفة الصديق ﷺ، وقال للمسلمين: لقد عدا أسدكم على الأسد فغلبه على خراذيله، أعجزت النساء أن ينسلن مثل خالد[٢]؟!

فتح الحيرة:

لما علم مرزبان الحيرة بما عمل جيش المسلمين بأليس، وأمغيشيا، أيقن أن المسلمين مقبلون عليه.

فدفع قوة بقيادة ابنه، ثم خرج بقوة في أثره، وقد اصطدم جيش المسلمين بجيش ابن المرزبان، وهزموهم، وقتل ابن المرزبان الذي ما إن علم بمقتل ابنه، حتى هرب تاركاً الحيرة، فتقدم إليها المسلمون وحاصروها، وحاصروا قصورها، فقبلوا الصلح ودفع الجزية، ومقدارها مئة وتسعون ألف درهم سنوياً.

وبفتح الحيرة تحقق الهدف السوقي من عمليات الفتح الإسلامي في العراق بمرحلته الأولى[٣].

إن من أسباب سهولة فتح الحيرة هي: السرعة الكبيرة للزحف

---

(١) الطبري ـ تاريخ، ج٤، ص١٧٣.

(٢) الطبري ـ تاريخ، ج٤، ص١٧٥.

(٣) صادق عرجون ـ خالد بن الوليد، ص٢١٦.

الإسلامي، والانتصارات الكبيرة التي تحققت في المعارك المتسلسلة التي سبقت وصول الجيش الإسلامي إلى الحيرة، ولكن أهم هذه الأسباب جميعاً: الحرب النفسية التي شنها المسلمون على الفرس ومن والاهم من العرب أو الأقوام الأخرى.

وأهم مادة في هذه الحرب النفسية هي: الانتصارات الكبيرة التي تلاحقت، وتكبد العدو فيها عشرات الآلاف من القتلى، لقد سارت الحرب النفسية إلى جانب السيف والرمح في كل المعارك، بل إنها تجاوزت السيف والرمح، وأجبرت العدو على الاستسلام بدون قتال في فتح الحيرة.

كان فتح الحيرة عملاً حربياً عظيم القيمة وسع أمل المسلمين في فتح بلاد فارس؛ لأهمية هذا البلد الجغرافية والأدبية من العراق والمملكة الفارسية. وقد اتخذتها الجيوش الإسلامية مقراً لقيادتها، ومركزاً رئيسياً لإدارة العمليات الحربية في بقية أرض العراق[1].

أجمع خالد بن الوليد أمره على منازلة الفرس في ساحات ملكهم بعد أن صفا له الجو في العراق، وأمن ظهره بانحسار الفرس بين الحيرة ودجلة، فبدأ بتوجيه الحرب النفسية ضدهم.

فكتب إلى خاصتهم يقول: من خالد بن الوليد إلى ملوك فارس: أما بعد: فالحمد لله الذي حل نظامكم، وأوهن كيدكم، وفرق كلمتكم، وأوهن بأسكم، وسلب أموالكم، وأزال عزكم، فإذا أتاكم كتابي، فأسلموا تسلموا، أو اعتقدوا منا الذمة، وأجيبوا إلى الجزية، وإلا، والله الذي لا إله

---

(١) د. علي محمد الصلابي ـ تاريخ الخلفاء الراشدين ـ أبو بكر الصديق، ص٣٤٦.

إلا هو! لأسيرن إليكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة، ويرغبون في الآخرة كمـا ترغبون في الدنيا[1].

وكذلك كتب إلى عامتهم بالصيغة نفسها فقال:

من خـالد بن الوليد إلى مرازبـة أهـل فارس: الحمد لله الذي فض خدمتكم، وفرق جمعكم، أوهن بأسكم، وسلب أموالكم، وأزال عزكم، فإذا أتاكم كتابي، فأسلموا تسلموا، أو اعتقدوا منا الذمة، وأجيبوا إلى الجزية، وإلا، والله الذي لا إله إلا هو! لأسيرن إليكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة، ويرغبون في الآخرة كما ترغبون في الدنيا[2].

فتح الأنبار وعين تمر:

استخلف القائد خالد بن الوليد القعقاع بن عمرو على الحيرة، وسار لإغاثة عياض بن غنم في دومة الجندل.

فلما وصل إلى الأنبار، وجد القوم قد تحصنوا، وأقاموا خندقاً حولهم، وأشرفوا من أعالي الحصون، فأمر خالد بحصارهم، وأن يصوبوا على عيونهم النبـال، فلما نشـب القتال، أصابـوا في أول رميـة ألـف عين مـن عيونهم، ولذلك سميت هذه المعركة: (ذات العيون)[3]، واخترق خالد ابن الوليد الخندق عليهم، وقاتلهم داخل خندقهم، واضطر القائد الفارسي أن يقبل الصـلح والذي يتضمن خروجه من الأنبار مع عدد من فرسانه لحمايته، ولا يأخذ معه من الأنبار شيئاً.

---

(١) الطبري ـ تاريخ، ج٤، ص١٨٦.

(٢) الطبري ـ تاريخ، ج٤، ص١٨٧.

(٣) ابن كثير ـ البداية والنهاية، ج٦، ص٣٥٣.

استخلف خالد بن الوليد الزبرقان بن بدر على الأنبار، وسار إلى عين تمر؛ حيث تجمع عدد من القبائل العربية يقودهم عقّة بن أبي عقّة مع الفرس يقودهم مهران، وقد طلب عقة من قائد الفرس أن يتركه لقتال خالد، فـفعل[1]. عندما وصل خـالد حمل مباشـرة على الـعدو، وكان عقـة ينظم الصفوف، فأسره، وانهزم جيش القبائل ونصارى العرب، كما انهزم الفرس، وتمكن المسلمون من قتل أعداد كبيرة منهم داخل الحصون، وغنم المسلمون غنائم كثيرة من الأموال، وأرسل خالد بن الوليد خمسها إلى المدينة المنورة.

فتح دومة الجندل:

توجه خالد بن الوليد بجيشه من عين التمر إلى دومة الجندل التي كان على أطرافها جيش عياض بن غنم، وقد تجمع عليه عدد من القبائل: بهراء، وكلب، وغسان، وتنوخ. ونزل خالد بن الوليد دومة الجندل، وحوصروا بين فكي كماشة، وأصبحوا يقاتلون على جبهتين: تجاه جيش خالد بن الوليد، وجيش عياض بن غنم، وتمكن المسلمون من كسرهم في الجبهتين، فانهزموا إلى داخل الحصن الذي أغلقه المسلمون عليهم. وما لبث خالد ابن الولـيد أن هاجـم الحصن بعد أن اقتلع بابـه، فقتل منهم جموعـاً كثيرة[2] [3].

وبفتح دومة الجندل أصبح للمسلمين موقع استراتيجي ذو أهمية كبيرة؛ كونها تقع على ملتقى ثلاث طرق هي: شبه جزيرة العرب من الجنوب،

---

(١) المصدر نفسه، ج٦، ص٣٥٤.

(٢) خالد الجنابي ـ أبو بكر الصديق، ص٥٤.

(٣) الطبري ـ تاريخ، ج٤، ص١٩٦.

والعراق من الشمال الشرقي، والشام من الشمال الغربي.

وبفتح دومة الجندل أصبحت أبواب العراق مفتوحة أمام الجيوش الإسلامية من كل الاتجاهات. حصلت عدة تجمعات للفرس مع القبائل العربية النصرانية في عدة أماكن، وهي: الحصيد، والخنافس، وتوجهت إليها قوة من المسلمين، وتم القضاء عليهم جميعاً.

وكان هناك تجمع آخر في منطقة المصيخ؛ حيث تواعد خالد بن الوليد مع القوات التي قضت على الحصيد والخنافس، وهاجم القبائل المتجمعة في المصيخ، وأوقع بهم خسائر كبيرة[1].

معركة الفراض:

قصد خالد بن الوليد الفراض (حصيبة حالياً)، وهي تخوم الشام والعراق والجزيرة؛ حتى يحمي ظهره عند اجتياز أرض السواد إلى فارس. فلما اجتمع المسلمون على الفراض، غضبت الروم، واستعانوا بمن يليهم من مسالح فارس، كما تعاونت معهم قبائل تغلب وإياد والنمر ممن كانوا نصارى أو حلفاء لهم.

فاجتمعت قوات من الروم والفرس والعرب في هذه المعركة ضد جيش المسلمين، وقد هزمهم الله ـ سبحانه وتعالى ـ أمام جيش المسلمين بعد قتال شديد، وقال خالد بن الوليد: ألحوا عليهم، وقتل من الأعداء عشرات الألوف[2]. وهكذا واجه المسلمون لأول مرة جيشاً مكوناً من الفرس والروم والعرب الموالين لهم في آن واحد. وقد كانت هذه المعركة آخر

---

(١) خالد الجنابي ـ أبو بكر الصديق، ص٥٥.

(٢) الطبري ـ تاريخ، ج٤، ص٢٠١.

معركة لخالد بن الوليد في فتح العراق؛ حيث منها سافر إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج، ثم وجهه الخليفة أبو بكر ﷺ بأخذ نصف الجيش والذهاب إلى الشام، وترك المثنى بن حارثة الشيباني على القوات في العراق، وبذلك انتهت المرحلة الأولى من الفتوحات الإسلامية في العراق.

إن سلسلة المعارك التي حدثت بعد فتح الحيرة في الأنبار، وعين التمر، والحصيد، والخنافس، ودومة الجندل، والفراض، وتكبد الفرس ومن حالفهم من قبائل العرب خسائر بشرية كبيرة، واستيلاء المسلمين على غنائم كبيرة، كانت مهمة لتطهير جانب الفرات الأيمن بطوله، من الفراض شمالاً إلى الأُبُلَّة جنوباً.

فهي تعد من ناحية الحرب النفسية استثماراً للفوز في المعارك التي سبقتها؛ حيث إن سلسلة المعارك السريعة والحاسمة التي تكبد فيها العدو خسائر كبيرة قد هزت معنويات العدو، وأربكته؛ بحيث أصبح غير قادر على الصمود بتتالي هزائمه وخسائره، ففقد ثقته بنفسه وبقوته، وبالوقت نفسه زادت المسلمين المجاهدين إيماناً واندفاعاً في القتال.

ومن المعروف في الحروب أن النصر هو أكبر العوامل التي ترفع الروح المعنوية للمقاتلين.

من الأساليب التي يتبعها المسلمون في رفع الروح المعنوية، وإلهاب حماس المقاتلين هي: الخطابة، والشعر، فقبل كل معركة كان القادة في الجيش الإسلامي يلقون الخطب الحماسية على جنودهم، ويتلون عليهم آيات الجهاد في القرآن الكريم، كما أن الشعراء منهم يقدمون أبياتاً من الشعر تُلهب الحماس في صدور المجاهدين المسلمين.

وفي سلسلة المعارك التي استعرضناها كان المجاهدون يحصلون على غنائم كبيرة توزع بينهم، وهذا يعزز صمودهم وبسالتهم وتفانيهم في القتال.

جاء في خطاب الصديق ﷺ إلى خالد: دع العراق، وأخلف فيه أهله الذين قدمت عليهم، ثم امض مخففاً في أهل قوة من أصحابنا الذين قدموا معك العراق من اليمامة، وصحبوك في الطريق، وقدموا عليك الحجاز، ثم تأتي الشام، وتلتقي أبا عبيدة بن الجراح ومن معه من المسلمين، وإذا التقيتم، فأنت أمير الجماعة، والسلام عليك ورحمة الله[1].

وبذلك أصبح خالد بن الوليد قائداً لجيوش المسلمين في بلاد الشام. حشد خالد جنوده، وقرر أن يعبر الصحراء، وذلك لكي يظهر خلف حشود الروم، ولكيلا يصدوه عن إغاثة المسلمين، وسأل الأدلاء عن الطريق، فأشاروا إليه بخزن الماء في بطون الإبل، وحمل ما يكفيه للشرب.

وقال لرجاله: إن المسلم يجب أن لا يكترث بشيء يقع فيه مع معونة الله له[2]، وقد حقق خالد بن الوليد السرعة والسرية، ومباغتته العدو بهذه المناورة التي لم يشهد لها تأريخ الحروب مثيلاً.

ودع المثنى خالد بن الوليد، وتسلم القيادة بعده، وما إن علم كسرى بذهاب خالد، حتى حشد آلاف الجنود بقيادة (جاذوية)، وكتب إلى المثنى يهدد ويتوعد.

وقال: إني قد بعثت إليكم جنداً من وحش أهل فارس، وإنما هم رعاة الدجاج والخنازير، ولست أقاتلك إلا بهم.

---

(١) د. علي محمد الصلابي ـ تاريخ الخلفاء الراشدين ـ أبو بكر الصديق، ص٣٥٩.

(٢) د. أحمد نوفل ـ الحرب النفسية في صدر الإسلام، ج٢، ص١٥٥.

وهذه التهديدات لا تهز المسلمين الذين انتصروا على الفرس بكل المعارك وهزموهم. فكتب المثنى إلى كسرى يقول:

إنما أنت أحد رجلين: إما باغ، فذلك شر لك، وخير لنا، وإما كاذب، فأعظمُ الكذابين عقوبة وفضيحة عند الله وعند الناس الملوكُ.

وأما الذي يدلنا عليه الرأي، فإنكم إنما اضطررتم إليهم، فالحمد لله الذي رد كيدكم إلى رعاة الدجاج والخنازير[1].

سار المثنى من الحيرة إلى بابل لملاقاة جيش جاذوية، واشتبك معه بمعركة سريعة، وقاتلهم بضراوة، وانتصر عليهم انتصاراً ساحقاً؛ حيث فروا باتجاه المدائن بشر حالة؛ حيث وجدوا ملكهم قد مات، وعاد الاضطراب إلى بلاد فارس.

كتب المثنى إلى الخليفة يخبره بالنصر، ويطلب منه إشراك من سبق لهم إن ارتدوا عن الإسلام، ولكنه لم يحصل على جواب، فذهب إلى المدينة للقاء الخليفة، فوجده مريضاً على فراش الموت، فاستمع إليه، وأوصى عمر بن الخطاب ﷺ بأن يندب الناس للجهاد مع المثنى بن حارثة[2].

المرحلة الثانية: الفتوحات في بلاد الشام:

كان أهم أمر في الحرب في الفتوحات الإسلامية هو التقدم نحو فارس، والحيلولة دون اتفاق الفرس مع الروم وهجومهما بوقت واحد ضد الإسلام. لذلك أرسلت قوات إلى بلاد الشام لتثبيت جيوشهم في البلقاء،

---

(١) ابن الأثير ـ الكامل، ج٢، ص٧٣.

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص٧٤.

واستطلاع نواياهم العدوانية لتلك الأسباب، فإن الموقف لا يساعد على فتح جبهتين في وقت واحد، فذلك ما يحتمه الموقف السوقي العام للأمة الإسلامية حديثة العهد.

عين الخليفة خالد بن سعيد بن العاص قائداً لقوة الشام، وأمره الخليفة بتجميع قوته في منطقة تيماء، وأمره الخليفة أن لا يغادر المنطقة إلا بأمره؛ كما طلب منه أن يدعو العرب عدا أهل الردة، ولا يقاتل إلا من يقاتله؛ لأن الموقف الإسلامي لا يساعد على ذلك، وهذا معناه أن واجب القوة هو الاستطلاع السوقي، والعمل على تحديد حركة العدو باتجاه الجنوب أو الشرق.

اجتمع مع خالد بن سعيد جموع كثيرة، فصارت قوته كبيرة. لما علم الروم بأمر جيش خالد بن سعيد، قاموا بتوجيه القبائل العربية من حلفائهم أو القبائل التي اعتنقت النصرانية.

وبالوقت نفسه استدرجوه، وانسحبوا أمامه، ثم أوقعوا بالجيش الإسلامي خسائر كبيرة اضطرته إلى التراجع إلى تخوم الشام، وأرسل الخليفة قوة لمدده بقيادة عكرمة بن أبي جهل الذي رابط بالجيش بعد سحبه إلى حدود الشام[1].

لما أراد الخليفة أبو بكر ﷺ غزو بلاد الشام، استشار الصحابة ﷺ: عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن ابن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وأبا عبيدة عامر بن الجراح، ووجوه المهاجرين والأنصار من أهل بدر وغيرهم، وقد أيدوه في الرأي، وكان رأي عمر بن الخطاب ﷺ، وعبد الرحمن بن عوف هو: إرسال الجيوش تلو

---

(١) خالد الجنابي ـ أبو بكر الصديق، ص٥٨.

الجيوش حتى تتجمع في الشام، وأن تشن الغارات تلو الغارات حتى ترهب العدو وتضعفه، ثم تكون المعارك الكبيرة. وهذا الأسلوب هو حرب نفسية واسعة تمارس في الميدان إلى أن تضعف معنويات العدو.

قام أبو بكر ﷺ بالناس خطيباً، فحمد الله، وأثنى عليه، وصلى على النبي محمد ﷺ، ثم قال:

أيها الناس! إن الله قد أنعم عليكم بالإسلام، وأعزكم بالجهاد، وفضلكم بهذا الدين على أهل كل دين، فتجهزوا عباد الله إلى غزو الروم بالشام، فإني مؤمر عليكم أمراء، وعاقد لهم عليكم، فأطيعوا ربكم، ولا تخالفوا أمراءكم ولتحسن نيتكم وسيرتكم وأطعمتكم؛ فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون[١]. وأمر أبو بكر بلالاً، فنادى في الناس: أن انفروا إلى جهاد عدوكم الروم بالشام[٢].

استنفار أهل اليمن:

كتب الخليفة أبو بكر الصديق ﷺ إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الجهاد، وقد حمل كتاب الخليفة أنس بن مالك ﷺ الذي تجول في ربوع اليمن قبيلة قبيلة، يتلو عليهم دعوة الخليفة للجهاد[٣]. وهو ما نسميه بالتعبئة العامة، وقد استجاب أهل اليمن، وأقبلت جموعهم بنسائهم وأولادهم، وكانوا من أسرع المستجيبين لنداء الجهاد في سبيل الله.

عاد أنس بن مالك، فبشر الخليفة قائلاً: قد أتوك شعثاً غبراً أبطال

---

(١) ابن عساكر ـ تاريخ دمشق الكبير، ج٢، ص٦٣ ـ ٦٥، عن الحميدي.

(٢) د. علي محمد الصلابي ـ تاريخ الخلفاء الراشدين ـ أبو بكر الصديق، ص٣٧١.

(٣) الأزدي ـ تاريخ فتوح الشام، ص٤٨.

اليمن وشجعانها وفرسانها، وقد ساروا إليك بالذراري والحرم والأموال.

ومن الملفت للنظر: أنهم استجابوا هم وساداتهم وملوكهم؛ مثل: ذي الكلاع ملك حمير، وحمزة بن مالك الهمداني، ومعه أكثر من ألفي رجل من همدان[1].

إن هذه الاستجابة وهذه التعبئة الكبيرة والسريعة تؤشر لنا مدى اندفاع المسلمين، وحرصهم على الجهاد في سبيل الله، وارتفاع الروح المعنوية لديهم.

خطة الخليفة الصديق السوقية لغزو الشام:

تضمنت خطة الخليفة إرسال أربعة جيوش، وتحدد أهدافها وواجباتها كما يلي:

١ - جيش يزيد بن أبي سفيان: وهو أول الجيوش التي تقدمت إلى بلاد الشام، وكانت مهمته الوصول إلى دمشق وفتحها، ومساعدة الجيوش الأخرى في بلاد الشام عند الحاجة[2][3].

٢ - جيش شرحبيل بن حسنة: هدفه تبوك، ثم البلقاء، ثم بصرى، ويكون جاهزاً لمساعدة بقية الجيوش. وقد حدد موعد مسيره بعد ثلاثة أيام من مسير جيش يزيد بن أبي سفيان

٣ - جيش أبي عبيدة بن الجراح: هدفه حمص، وكان على الجناح

---

(١) يسري محمد هاني - تاريخ الدعوة إلى الإسلام، ص٢٩٤.

(٢) ابن الأثير - الكامل، ج٢، ص٦٤ - ٦٥.

(٣) د. علي محمد الصلابي - تاريخ الخلفاء الراشدين - أبو بكر الصديق، ص٣٧١.

الأيسر للجيش الأول، وعلى الجناح الأيمن للجيش الثاني، وكان جيشه يضم أشراف العرب؛ مثل: قيس بن هبيرة، وصلحاء المسلمين وبيوتات العرب[1].

٤ ـ جيش عمرو بن العاص: هدفه فلسطين. وقد خرج معه عدد من أشراف قريش؛ منهم: الحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو، وعكرمة بن أبي جهل، وقد ودعهم الصديق ﷺ.

وقد أمر الصديق ﷺ كل أمير جيش أن يسلك طريقاً غير الذي يسلكه الآخر.

بعد أن استعرضنا الخطة السوقية لفتوحات بلاد الشام لابد لنا من التعرف على جوانب الحرب النفسية في هذه الخطة، والاستعدادات لتنفيذها.

فمن خلال الاحتكاك الميداني استطاع المسلمون أن يتعرفوا على حقيقة الروم، ومعرفة أساليبهم في القتال، وأعطت تلك الغزوات الفرصة لأهالي بلاد الشام على أن يتعرفوا على أصول الدين الإسلامي ومبادئه وأهدافه، فآمن به كثير من العرب في بلاد الشام.

وقد كان هذا الاحتكاك ببلاد الشام منذ زمن الرسول ﷺ، ومن خلال الغزوات المعروفة، والتي آخرها جيش أسامة بن زيد الذي جهز في زمن الرسول ﷺ، وأرسل في زمن الخليفة أبي بكر ﷺ.

برغم الخسائر والنكسة التي أصابت قوة خالد بن سعيد بن العاص، فقد حققت جمع المعلومات عن العدو، ومعرفة مسالكه، وكذلك بث العيون للاستطلاع، وجمع المعلومات، وأوجدت المتعاونين من العرب

---

(١) الأزدي ـ تاريخ فتوح الشام، ص١٧.

ضد الروم بإثارة الحمية في صفوفهم، وانخراط قسم منهم في الإسلام، ودخول الإيمان في قلوبهم.

كان الروم يعولون كثيراً على حلفائهم من القبائل العربية، والتي اعتنق قسم منها النصرانية، ومنهم: الغساسنة، ولخم، وكلب، وجذام، وبهراء، وسليم، وقد تمكن المسلمون من استمالة الكثير منهم، وإثارة الحمية فيهم، وقد دخل قسم منهم في الدين الإسلامي، وهذا عامل مهم له تأثير نفسي كبير على الروم؛ حيث إن تخلي هذه القبائل عن الروم، أو عدم مساندتها لهم يجعل الروم يعملون ويسيرون وسط أعداء لا يأمنونهم، ويزودون المسلمين بالمعلومات عنهم.

ومن جانب آخر، فقد كانت المعلومات عن انتصارات المسلمين، وما حل بدولة الفرس المجاورة لهم، لها تأثير كبير على الروم، حيث أصابتهم الرهبة والخوف من المسلمين قبل الاشتباك معهم في قتال، وسنرى ذلك عندما أسلم أحد القادة الروم في ميدان المعركة، وأخذ يقاتل إلى جانب المسلمين من ناحية أخرى، فقد كانت خطة الخليفة السوقية ذات جوانب غاية في الأهمية، منها: أنها كانت لا تسمح للعدو بالمناورة، أو مباغتة المسلمين، فتوزيعُ جيوش المسلمين في مواقع حيوية في بلاد الشام مما يمكنها من التعاون والتوحد في مواجهة العدو بكل مكان، ثم إن جيش المسلمين يمتاز بخفة الحركة والسرعة، والقدرة على المناورة، عكس جيش الروم الذي كان بطيء الحركة، وثقيلاً في تجهيزه وتموينه، ولا يمكنه مجاراة جيش المسلمين في هذا الجانب.

أخذت جيوش المسلمين تتزايد نتيجة لتلبية أعداد كبيرة من المسلمين

نداء الجهاد في سبيل الله، بل إن المسلمين أخذوا يتنافسون فيما بينهم في الجهاد، حتى صار ذلك من مفاخر قبائل العرب، بعد أن كانوا في الجاهلية يتفاخرون بغزو بعضهم بعضاً.

بعد أن تعرفنا على خطة الخليفة، ومسير الجيوش الإسلامية إلى بلاد الشام، لنتعرف على موقف الروم في بلاد الشام:

كان للروم جيشان كبيران في بلاد الشام، أحدهما في فلسطين، والآخر في أنطاكية، والتي كانت عاصمة الروم في بلاد الشام، وتمركز هذان الجيشان في ستة مواضع، وكما يلي:

أنطاكية، وهي عاصمتهم.

قنسرين، وتقع بين حلب وحماة.

حمص، ويمتد النفوذ العسكري لها حتى تدمر وصحراء الشام.

عمان، وفيها قاعدة البلقاء المحصنة.

أما أجنادين، فهي قاعدة الروم جنوب فلسطين.

والمكان السادس هو: قيسارية شمال فلسطين قرب ميناء حيفا[1].

أما مقر القيادة العامة، فهو أنطاكية، أو حمص، عندما شهد قائد الروم هرقل توغل الجيوش الإسلامية، أصدر أوامره إلى قواته بالتوجه لتدمير جيوش المسلمين، وكانت خطة مواجهة الجيوش الإسلامية كالآتي:

يتراجع الروم أمام المسلمين، ويتخلون لهم عن الحدود الشامية

---

(١) د. علي محمد الصلابي ـ تاريخ الخلفاء الراشدين ـ أبو بكر الصديق، ص٣٨٣.

الحجازية[1]. تتجمع وحدات الجيش الأول في فلسطين بقيادة سرجون، وتتجمع وحدات الجيش الثاني في أنطاكية بقيادة تيدور، وتتحرك هذه الجيوش، وتهاجم أمراء الإسلام الأربعة الواحد بعد الآخر؛ لتصفية جيوش الإسلام على انفراد، وعلى أساس هذه الخطة التي وضعها هرقل تحركت جيوش الروم حسب الترتيب التالي[2].

توجيه (تذارق) أخي هرقل في تسعين ألفاً للقضاء على جيش عمرو ابن العاص.

توجيه (ابن توذر) إلى يزيد بن أبي سفيان.

توجيه (القبقاز بن ننطواس) في ستين ألفاً إلى جيش أبي عبيدة.

توجيه (الدارقص) نحو شرحبيل بن حسنة.

استطاع المسلمون الحصول على المعلومات الدقيقة عن هذه الجيوش، وخطتها، ونواياها بتفاصيلها.

وقد راسل القادة المسلمون الخليفة، وأخبروه بالتفاصيل، وطلبوا منه المدد؛ حيث وصلت رسالة أبي عبيدة، ويزيد بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، وقد أجابهم الخليفة على رسائلهم، وطمأنهم بالنصر، ووعدهم بالمدد[3].

أما الجانب النفسي على ضوء هذا الموقف، فقد كان المسلمون على درجة كبيرة من الثقة بالنفس، والإيمان بالله تعالى، وانه هو ناصرهم. وهذه

---

(١) نهاد عباس شهاب ـ العمليات التعرضية والدفاعية عند المسلمين، ص١٤٣ .

(٢) ياسين سويد ـ معارك خالد بن الوليد، ص٧٧ ـ ٧٨.

(٣) ابن كثير ـ البداية والنهاية، ج٧، ص٤ .

هي العقيدة والإيمان، أما العدو، فإنه لا يقاتل من أجل عقيدة أو هدف سوى الدفاع عن مملكة الروم وتاجهم.

من جانب آخر فقد تسربت الأخبار من أهل الشام وربوعها إلى الروم بأن هؤلاء المسلمين لا يغلبون، ويذكرون لهم المعارك في بلاد فارس؛ مما يثير الرعب في قلوبهم، وهذه الحقائق أخذوا يلمسونها.

أضف إلى ذلك: أخبار معاملتهم الحسنة للسكان، وعرضهم خيارات: الإسلام، أو الجزية، أو الحرب.

لقد أجاب الصديق ﷺ، وأرسل لهم الإمدادات[1]، وكما يلي:

١ ـ جهز قوة يقودها هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، وأمره بالالتحاق بأبي عبيدة، وكان تعدادها ألفاً من المجاهدين، كما أمدهم بالسلاح والخيول وما يحتاجونه.

٢ ـ بعد ذهاب هاشم بن عتبة بمدة قصيرة أمر أبو بكر ﷺ بلالاً أن يؤذن بالناس للجهاد، والالتحاق بسعيد بن عامر الشخوص، وقد طلب بلال من الخليفة أن يلحقه للجهاد مع سعيد بن عامر، فألحقه، وتوجه بقوة سبع مئة رجل للالتحاق بيزيد بن أبي سفيان في منطقة دمشق.

٣ ـ كانت وفود الجهاد تتوافد على المدينة، ويقوم الصديق ﷺ بتوجيهها إلى الجبهات.

٤ ـ لقد كان أهم تعزيز لجيوش المسلمين في بلاد الشام هو إرسال خالد بن الوليد مع ألفين من الصحابة والمجاهدين الذين اشتركوا معه

---

(١) ابن عساكر ـ تاريخ دمشق، ج٢، ص٦٣ ـ ٦٥ نقلاً عن الحميدي.

في حروب الردة، وحروب فتح العراق من العراق إلى الشام، وإسناد قيادة الجيوش الإسلامية في الشام إليه، وتمكن من الالتحاق إلى الشام بأهم وأخطر مناورة سوقية في التاريخ[1].

وصول خالد إلى الشام، ومعركة أجنادين:

على أثر النجاحات التي أحرزتها الجيوش الإسلامية في تقدمها الأولي نحو أهدافها قرر هرقل إيقاف تقهقر قواته، وتبديل خطته إلى الهجوم، مستفيداً من الحشود الكبيرة، وتفوق قواته على قوات المسلمين.

وكانت خطة الروم الجديدة هي: ضرب الجيوش العربية كل على انفراد قبل أن تجتمع.

لما وصلت أنباء الحشود الكبيرة إلى القادة العرب، اجتمعوا في مؤتمر، وتبادلوا الرأي، ودرسوا الموقف بدقة، واتفقوا بأن بقاءهم متفرقين متباعدين يسهل للروم تدميرهم، لذلك لابد من تجمعهم في منطقة واحدة، وتحت قيادة واحدة، وقبول المعركة في المكان الذي هم يختارونه، وكان صاحب هذا الرأي عمرو بن العاص الذي لم يحضر المؤتمر، بل أرسل لهم رأيه مكتوباً من فلسطين. وقد أرسلوا رسولاً إلى الخليفة ليشرح له الموقف، ويطلب منه موافقته على التحشد في اليرموك[2].

وصلت موافقة الخليفة، ومما جاء بها:

إن مثلكم لا يؤتى من قلة، إنما يؤتى العشرة آلاف إذا أوتوا من تلقاء

---

(١) ابن كثير ـ البداية والنهاية، ج٧، ص٥.

(٢) صبحي عبد الحميد ـ معارك الحرب الحاسمة، ص٤٤.

الذنوب، فاحترسوا من الذنوب، واجتمعوا باليرموك متساندين، وليصل كل منكم أصحابه[1].

وعند وصول موافقة الخليفة، أخذت الجيوش تتحشد في منطقة اليرموك جنوب شرقي النهر، وتولى أمر قيادتها أبو عبيدة بن الجراح تنفيذاً لأمر الخليفة عند إرسالهم، والذي أوصاهم بإمارته إن اجتمعوا.

وصل خالد بن الوليد بجيشه إلى اليرموك، وأرسل برسالة إلى أبي عبيدة يبين له أمر الخليفة له بتولي قيادة الجيوش، كما أرسل رسالة إلى جيوش المسلمين يبين لهم توليه القيادة، وكان الخليفة أبو بكر ﷺ قد أرسل برسالة إلى أبي عبيدة يبين له أمره بتولي خالد قيادة الجيوش[2].

فتح خالد بطريقه بصرى، والتقى مع القادة المسلمين: أبي عبيدة، ويزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة، ودرس معهم الموقف العسكري، واطلع على موقف عمرو بن العاص الذي يتقدم بمحاذاة نهر الأردن؛ لكي يلتحق باليرموك مع جيوش المسلمين الأخرى. وكان يتعقبه جيش الروم في فلسطين، وتعداده سبعون ألفاً، بينما كانت قوته سبعة آلاف وخمس مئة مجاهد، وكان عمرو بن العاص حذراً من الاشتباك بهم بمعركة فاصلة.

بعد أن درس خالد الموقف، رأى أنه أمام خيارين، فإما أن يسرع، وينضم بجيشه إلى عمرو بن العاص، ويخوض وإياه معركة فاصلة، ويقضي على قوة الروم الكبيرة، ويعزز الموقف العسكري للجيش الإسلامي، ويحمي خط رجعته، ويحمي جناحه الأيسر، وإما أن يقف مكانه، ويوعز إلى عمرو

(١) الطبري ـ تاريخ، ج٤، ص٢١١.

(٢) الطبري ـ تاريخ، ج٤، ص٢١٢.

ابن العاص الانضمام إليه، فضَّل خالد بن الوليد الأخذ بالخيار الأول، فانحدر بجيشه إلى سهل فلسطين بعد أن أصدر أمراً إلى عمرو بن العاص لاستدراج جيش الروم حتى يلتقي بجيش خالد، ويطبقا على العدو.

فانحرف عمرو بن العاص إلى أجنادين، ووصل خالد بن الوليد بقواته في الوقت المناسب، وجرت معركة عنيفة، وجرى توجيه قوة اقتحامية إلى قلب العدو؛ حيث وصلت إلى قائد الروم فقتلته، وبمقتله انهارت قوات الروم، وهربوا في اتجاهات مختلفة، وتكبدوا خسائر فادحة[1].

وقد كانت أجنادين أولى المعارك الكبيرة في بلاد الشام بين المسلمين والروم.

بعد هذه المعركة الحاسمة ظهرت عوامل الحرب النفسية خلالها وبعدها، وأهم هذه العوامل هو: انهيار الروح المعنوية للقوات الرومانية، وارتباكها، وقد انعكس ذلك على معركة اليرموك التي حدثت بعدها. كما أن خسارة العدو لجزء مهم من قواته في هذه المعركة انقص من أعداده التي كان يعول عليها كثيراً في التفوق على جيش المسلمين.

وإذا استعرضنا المعارك التي خاضها خالد بن الوليد في العراق، نجد أن قائد العدو هو هدف أساسي له، فبقتله تنهار قواته، وقد لاحظنا ذلك من أول معركة في فتح العراق عندما قتل خالد بن الوليد هرمز قائد الفرس، وحتى هذه المعركة في أجنادين، فبقتل القائد تفقد السيطرة على القوات، ويدب الرعب في صفوفهم، وتنهار قطعاتهم.

---

(١) أحمد محمد باشميل ـ حروب الإسلام في الشام، ص٤٥.

هناك جانب مهم ينبغي ملاحظته من الجوانب النفسية هو: ثقل وبطء قطعات العدو في الحركة والقتال والمناورة، يقابلها خفة حركة، وسرعة رد فعل، وسرعة وقدرة عالية على المناورة في جيش المسلمين، وفي هذا الصدد فإن العدو يعتني بجوانب الحماية لجنده أكثر من جوانب مقدرته على القتال، فكانوا يحملون دروعاً حديدية ثقيلة، إضافة إلى تجهيزاتهم الثقيلة، وهذه تكبدهم عناء التعب، وقلة قابلية الحركة.

بينما نجد المقاتلين المسلمين حتى دروعهم خفيفة غالباً ما تكون من جلود الحيوانات، ولا يتقيدون بأثقال تعيق حركتهم، أو تنهكهم في القتال، وهم مؤمنون بقدرهم.

من جانب آخر كان الروم يقيدون قسماً من جنودهم بالسلاسل معتقدين أن هذا التقييد يساعدهم على الصمود والصبر في القتال، في حين أن ذلك يعيق مناورتهم، ويحدد من سرعة رد فعلهم أو حركتهم.

وبالمقابل، فإن المقاتل المسلم مقيد بإيمانه، مندفع بعقيدته، يطلب الشهادة، وهو سريع الحركة، وسريع رد الفعل، وسريع بالضرب في سيفه ورمحه ونباله؛ حسب سير المعركة وتطوراتها.

بهذه المقارنة البسيطة والمهمة نجد كيف هو الوضع النفسي لجنود العدو، وكيف هو الاندفاع النفسي الشجاع الذي يقاتل به المسلم طلباً لإحدى الحسنيين.

التحقت القوات الإسلامية من أجنادين باليرموك حاملة معها بشائر النصر المبارك، وانعكس ذلك إيجابياً على معنوية كافة القوات الإسلامية المتحشدة في اليرموك.

كتب خالد بن الوليد إلى الخليفة يبشره بالنصر في أجنادين، ففرح الخليفة ﷺ، وقال: الحمد لله الذي نصر المسلمين، وأقر عيني بذلك[1] [2].

معركة اليرموك:

تحشد المسلمون في منطقة اليرموك جنوب شرق النهر، وفي أرض اختارها قادة المسلمين تؤمن لهم حرية الحركة والمناورة، وتجعل مؤخرتهم مفتوحة ومحمية.

تحركت قوات الروم بقيادة (تيودور)، ونزلت في منزل واسع المطعن، واسع المطرد، ضيق المهرب، فسارت حشود الروم حتى نزلوا الواقوصة (طبريا) قريباً من اليرموك، وقد تمكن عمرو بن العاص من السيطرة على مدخل الواقوصة.

وقال: حبست الروم، فحرمت الروم من المناورة من هذه الجهة[3][4].

تدارس القادة المسلمون الاستحضارات للمعركة، وأعدوا الخطط؛ حيث إن القادة المسلمين من أكثر القادة حنكة وشجاعة وكفاءة، وقد استغرقت الاستعدادات مدة شهرين، وقد اتبع خالد بن الوليد أسلوباً جديداً في تنظيم صفوف الجيش الإسلامي قبل المعركة؛ حيث قسم الجيش إلى كراديس، كل كردوس ألف مقاتل، وهذا يسهل أسس القيادة والسيطرة خلال المعركة التي يتوقع لها أن تطول؛ بسبب الحشود الكبيرة للروم؛ كما

---

(١) د. علي محمد الصلابي ـ تاريخ الخلفاء الراشدين ـ أبو بكر الصديق، ص٣٩٥.

(٢) الأزدي ـ فتوح الشام، ص٨٤ ـ ٩٣.

(٣) شاكر محمود رامز ـ تاريخ حرب ـ اليرموك، وتحرير ديار الشام، ص٧٧.

(٤) الأزدي ـ فتوح الشام، ص٨٤ ـ ٩٣.

يمكن القادة من استثمار المقاتلين بشكل جيد، وسرعة رد الفعل والمناورة المحدودة والواسعة.

وقد قسم خالد بن الوليد الجيش الإسلامي البالغ تعداده خمسة وأربعين ألفاً إلى خمسة وأربعين كردوساً موزعة بين القلب والميمنة والميسرة والمقدمة والمؤخرة.

التعبئة النفسيـة:

قبيل المعركة بدأت التعبئة النفسية للمجاهدين، وقد شملت هذه التعبئة قراءة القرآن، وخاصة سورة الأنفال؛ حيث كان الصحابي الجليل المقداد بن الأسود يطوف على كراديس المسلمين يذكرهم بما جاء في كتاب الله ﷻ عن الجهاد، وقد أصبح ذلك سنة في كل المعارك التي خاضها المسلمون.

أما القادة وكبار الصحابـة، فكانوا يتلون الخـطب الحماسية على المجاهدين يحرضونهم على القتال، ويثيرون فيهم النخوة، وأذكر هنا خطب وكلمات قسم منهم:

فقد وعظ أبو عبيدة بن الجراح المسلمين، وقال:

عباد الله! انصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم، فإن وعد الله حق، يا معشر المسلمين! اصبروا؛ فإن الصبر منجاة من الكفر، ومرضاة للرب، ومدحضة للعار، ولا تبرحوا مصافَّكم، ولا تخطوا إليهم خطوة، ولا تبدؤوهم بالقتال، وأشرعوا الرماح، واستتروا بالدرق، والزموا الصمت إلا من ذكر الله في أنفسكم حتى آمركم إن شاء الله تعالى.

وخـرج معاذ بن جبـل، وأخـذ يذكر الناس ويقول: يا أهل الـقرآن،

ومستحفظي الكتاب، وأنصار الهدى، وأولياء الحق! إن رحمة الله لا تنال، وجنته لا تدخل بالأماني، ولا يؤتي الله المغفرة والرحمة الواسعة إلا الصادق المصدق.. إلخ.

وكان معاذ بن جبل ﷺ كلما سمع أصوات القسيسين والرهبان، قال اللهم زلزل أقدامهم، وأرعب قلوبهم، وأنـزل علينا السكينة، وألزمنا كلمة التقوى، وحبب إلينا اللقاء، وأرضنا بالقضاء[1].

وقال عمرو بن العاص: يا أيها المسلمون! غضوا الأبصار، واجثوا على الركب، وأشرعوا الرماح، فإذا حملوا عليكم، فأمهلوهم، حتى إذا ركبوا الأسنة، فثبوا عليهم وثبة الأسد، فوالذي يرضى الصدق، ويثيب عليه، ويمقت الكذب، ويعاقب عليه، ويجزي بالإحسان إحساناً! لقد سمعت: أن المسلمين سيفتحونها كَفْراً كفراً، وقصراً قصراً، فلا يهولنكم جموعهم، ولا عددهم، فإنكم لو صدقتموهم الشدة، تطايروا تطاير أولاد الحجل[2].

وقال أبو سفيان صخر بن حرب: يا معشر المسلمين! إنكم قد أصبحتم في دار العجم منقطعين عن الأهل، نائين عن أمير المؤمنين وإمداد المسلمين، وقد أصبحتم ـ والله ـ بإزاء عدو كثير عدده، شديد عليكم حنقه، وقد وترتموهم في أنفسهم وأولادهم، ونسائهم وأموالهم وديارهم، والله لا ينجيكم من هؤلاء القوم، ولا يبلغ بكم رضوان الله غداً إلا بصدق اللقاء،

---

(١) د. علي محمد الصلابي ـ تاريخ الخلفاء الراشدين ـ أبو بكر الصديق، ص٣٩٨ ـ ٣٩٩.

(٢) ابن كثير ـ البداية والنهاية، ج٧، ص١٠.

والصبر في المواطن المكروهة، فامتنعوا بسيوفكم، وتعاونوا، ولتكن هي الحصون.

ثم ذهب إلى النساء فأوصاهن، ثم عاد فنادى: يا معشر أهل الإسلام! حضر ما ترون، فهذا رسول الله والجنة أمامكم، والشيطان والنار خلفكم[1].

أما أبو هريرة، فقد قال: سارعوا إلى الحور العين، وجوار ربكم ﷻ في جنات النعيم، ما أنتم إلى ربكم في موطن بأحب إليه منكم في مثل هذا الموطن... إلخ.

وقد أخذ أبو سفيان الذي كان المسؤول عن الإعلام في المعركة يتجول على الكراديس، ويقول: الله الله! إنكم زادة العرب، وأنصار الإسلام... إلخ.

بعد هذه التعبئة النفسية قبل بدء القتال، هناك بعض الجوانب المهمة في الحرب النفسية حدثت قبل المعركة:

فقد توفي الخليفة أبو بكر الصديق ـ رحمة الله عليه ـ، وتولى الخلافة بعده عمر بن الخطاب، وعزل الخليفة عمرُ ﷺ خالد بن الوليد من قيادة جيوش المسلمين، وأوكلها إلى أبي عبيدة بن الجراح، وقد وصل كتاب الخليفة قبل يوم من المعركة، فقام أبو عبيدة بإخبار خالد، والطلب إليه الاستمرار في القيادة إلى جانبه، ولم يخبر جيوش المسلمين بذلك، كما لم يخبرهم بوفاة الخليفة أبي بكر، وتولي عمر بن الخطاب الخلافة، وذلك لإبعاد أي تأثير نفسي على المسلمين قبل نشوب القتال. وهذا يدل دلالة واضحة على إدراك أهمية العامل النفسي والحرب النفسية في المعركة.

---

(١) المصدر نفس، ج٧، ص١١.

أما الجانب الثاني، فقد طلب أحد القادة الرومان، وهو قائد المقدمة (جرجه) أن يكلم خالد بن الوليد[1]، وبعد حوار بينهما اصطحبه خالد بن الوليد إلى خيمته، فأسلم وأصبح يقاتل مع المسلمين ضد جيشه جيش الروم، وسبب لهم صدمة نفسية قبيل نشوب القتال بقليل.

اشتد القتال، وتمكن الروم من دفع ميمنة المسلمين، ولكن المسلمين استعادوا موضعهم، وكذلك تمكن الروم من إحداث خرق في قلب جيش المسلمين، ولكنهم تمكنوا من صدهم، وهكذا كان القتال تدور رحاه من مكان لآخر، ولا أريد هنا سرد تفاصيل المعركة بمجرياتها، ولكن أبين هنا بعض الجوانب في الحرب النفسية خلال القتال.

لقد كانت النساء ممن شهدن المعركة يلعبن دوراً بطولياً، فعندما يتراجع قسم من المسلمين من القتال، يحملن عليهم، ويستنهضن همتهم، فيعودون إلى صفوف المسلمين، فكان دورهن النفسي كبيراً في منع التراجع من صفوف المسلمين، وفي إثارة نخوة الرجال، وشد عزيمتهم بالقتال، ومنهن جويرية بنة أبي سفيان، وخولة بنت الأزور، وأم حكيم زوجة عكرمة ابن أبي جهل، وغيرهن.

لقد كانت المعركة ضارية، تبادل فيها الطرفان الخروقات في جبهة الخصم، ولكن الجانب النفسي في القتال كان أسلوب الكر والفر الذي يجيده المقاتلون المسلمون، ولا يحسنه الروم، وهو يتلخص بالهجوم على العدو، وبشدة، ثم الانسحاب، وبعدها تعاد الكرة عدة مرات.

---

(١) ابن كثير ـ البداية والنهاية، ج٧، ص١٣.

وقد طور هذا الأسلوب خالد بن الوليد، وعكرمة بن أبي جهل خلال المعركة؛ حيث قسما خيالة المسلمين إلى كتائب، كل واحدة ٢٠٠ فارس؛ حيث تهجم كل كتيبة على العدو، ثم تنسحب بسرعة، وتقوم كتيبة ثانية بنفس العمل[١]. وهكذا ثالثة ورابعة؛ مما أنهك العدو، وكبده خسائر كبيرة، وأربكه، فكان لها تأثير كبير على العدو من الناحية النفسية والقتالية معاً.

لقد تمكن خالد بن الوليد بهجوم كاسح بفصل خيالة الروم عن مشاتهم، والتقدم في قلب جيشهم، وقتل قائدهم (تذارق)، وهو أخو (هرقل)، وقضى خالد ليلته في خيمة (تذارق)، واستمر القتال طوال الليل حيث هرب العدو مرتبكاً على غير هدى، وقد قتل منه ـ حسب بعض الروايات ـ مئة وعشرون ألفاً، منهم ثمانون ألفاً مقيدون، وأربعون ألفاً غير مقيدين[٢].

وهنا أيضاً يظهر عامل الحرب النفسية بمقتل القائد الروماني؛ حيث انهار جيشه، وولى هارباً، ولم يستطيعوا أن يثبتوه بمكان؛ حيث تفرق بين المدن تائهاً. ولم يتمكن الروم بعد هذه المعركة أن يجمعوا جيشاً كبيراً لمواجهة المسلمين، وأصبحت بلاد الشام أبوابها مفتوحة أمام المسلمين[٣].

بعد تبدد وهرب القوات الرومانية بعد معركة اليرموك كانت هناك حاميات في المدن، كما توجد القلاع والحصون في المدن للدفاع عنها، وهذه سهلة بالنسبة للمسلمين. حاول الروم الدفاع عن دمشق من داخلها مستفيدين من أسوارها وأبنيتها، كما تجمعت لهم قوات كبيرة في منطقة

---

(١) شاكر محمود رامز ـ تاريخ حرب ـ اليرموك، وتحرير ديار الشام، ص٨٣.

(٢) شاكر محمود رامز ـ تاريخ حرب ـ اليرموك، وتحرير ديار الشام، ص١١٩ ـ ١٢٠.

(٣) البلاذري ـ فتوح البلدان، ص٢٢٨.

فحل، وقد تمكنت القوات الإسلامية من فتح دمشق بعد حصارها، وكذلك إبادة القوات الرومانية في فحل، وبذلك انتهت القوة الرومانية، ولم تستطع الصمود، وقد حاول هرقل استعادة دمشق، فأرسل قوات إليها، ولكنها فشلت، ودمرت القوات الإسلامية القوات الرومانية.

إن كل المعارك التي جرت بعد اليرموك هي استثمار للفوز في معركة اليرموك، وقد استمرت القوات الرومانية في صدمتها وذهولها، وتشتتت في المدن والبقاع الشامية.

وفتحت القوات الإسلامية مدن بلاد الشام أغلبها صلحاً دون وجود مقاومة تذكر. وقد عادت أرتال الجيوش الإسلامية التي تجمعت في اليرموك إلى التفرق باتجاه أهدافها الأصلية؛ حيث اندفع رتل شرحبيل بن حسنة إلى منطقة الأردن، ورتل عمرو بن العاص إلى فلسطين؛ حيث فتح مدنها، وحاصر القدس، ورتل أبي عبيدة، ورتل خالد بن الوليد إلى حمص، ورتل يزيد بن أبي سفيان إلى دمشق، وهكذا فتحت بلاد الشام بكافة مدنها صلحاً.

وعندما شاهد الخليفة زوال الخطر عن القوات الإسلامية، واطمأن على فتح بلاد الشام، أوعز بعودة القوات الإسلامية التي جاءت من العراق مع خالد بن الوليد، ولكن بقيادة هاشم بن عتبة؛ حيث بقي خالد بن الوليد مع أبي عبيدة القائد العام في حمص[1].

إكمال فتح العراق:

معركة القادسية ضمن المرحلة الثانية من الفتوحات الإسلامية:

توفي الخليفة أبو بكر ﷺ، وتولى الخلافة عمر بن الخطاب ﷺ، فقام

---

(١) ابن كثير ـ البداية والنهاية، ج٧، ص٢٧.

بعد ثلاثة أيام من وفاة أبي بكر يدعو الناس للجهاد في العراق كما أوصاه أبو بكر ـ رحمه الله ـ، وكان المثنى حاضراً، ولم يستجب الناس، وكرر ذلك في اليوم الثاني، وفي اليوم الثالث، وقد قام المثنى فخطب بالناس، ورغبهم بالجهاد، وأخبرهم بما فتح الله للمسلمين من أرض العراق، وما حصلوا عليه من غنائم كبيرة؛ حيث كان الناس يكرهون قتال الفرس؛ لقوة سطوتهم، وشدة قتالهم.

وفي اليوم الرابع استجاب أبو عبيد بن مسعود الثقفي، ثم تتابع الناس بالاستجابة، ومنهم: سليط بن قيس الأنصاري الذي تكلم في الناس لقتال الفرس، وكان لكلامه أثر قوي في استجابة الناس، ورفع معنوياتهم[١].

وبعد تجمع الناس للجهاد، ولي أبو عبيد بن مسعود الثقفي قيادة جيش المسلمين في العراق، وطلب منه استشارة الصحابة، واستشارة سليط ابن قيس؛ لخبرته في الحرب[٢]. وبذلك فقد أصبح المثنى بإمرة القائد أبي عبيد الثقفي[٣].

سار المسلمون إلى العراق وهم سبعة آلاف رجل، إضافة لما هو موجود من القوات في العراق بعد المرحلة الأولى من الفتوحات. وقد كتب الخليفة إلى أبي عبيدة عامر بن الجراح في الشام لإرسال من كان في العراق ممن قدم مع خالد بن الوليد إلى العراق، فأعادهم بقيادة هاشم بن عتبة، كما أرسل الخليفة عمر ﷺ مدداً آخر؛ حيث أرسل أربعة آلاف من

---

(١) ابن أعثم الكوفي ـ الفتوح، ج١، ص١٦٤.

(٢) محمد الخضري ـ إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء، ص٦٥.

(٣) ابن عساكر ـ تهذيب تاريخ دمشق الكبير، ج٥، ص١١٦.

المجاهدين المسلمين مع جرير بن عبدالله البجلي، فقدم إلى الكوفة، والتحق بجيش أبي عبيد بن مسعود الثقفي[1][2].

أراد الفرس أن يرهبوا أبا عبيد وجيشه، ويعيدوا الثقة إلى جيوشهم المهزومة في المعارك السابقة، فعبؤوا الجند، وأعدوا القوى الداخلية التي كانت متعاونة معهم؛ حيث إن قسماً من القبائل قد نقضت عهودها، وبعض المدن اعتقدوا أن قوة المسلمين ضعفت. كما أن الفرس أرسلوا جيشاً لمواجهة المثنى وجيشه، كما طلبوا من دهاقينهم أن يقوموا بثورة إزاء هذا الموقف، ورد الفعل الفارسي، فقد تمكن المثنى من تهيئة قواته، وكان لقاء أبي عبيد الثقفي لهم في النمارق حيث جرى قتال شديد مع جيشهم، ونصر الله المسلمين عليهم، وتم أسر جابان القائد، ومردانشاه قائد المجنبة لجيش الفرس[3].

وقد تعقب أبو عبيد جيش الفرس، وطارده، وتمكن من الاشتباك به في السقاطية، وغنم منهم أموالاً كثيرة.

وبعد هذه الانتصارات أقام أبو عبيد في كسكر، وأرسل السرايا لتأديب من نقض الصلح منهم، وبذلك رجحت كفة المسلمين في المنطقة، وجاءت الوفود يطلبون الصلح، ويعيدون ولاءهم للجيش الإسلامي.

وقد أرسل رستم جيشاً يقوده الجالينوس لنصرة جابان الذي أسر كما ذكرنا، ولما علم بذلك أبو عبيد الثقفي، التقى بهم في معركة فاصلة بين كسكر والسقاطية في منطقة تسمى: باروسما، وهزمهم، وأرسل المثنى بن

---

(١) ابن اعثم الكوفي ـ الفتوح، ج١، ص١٦٤.
(٢) حامد محمد الخليفة ـ الأنصار في العصر الراشدي، ص٢١٦.
(٣) شكري فيصل ـ حركة الفتح الإسلامي، ص٧٢.

حارثة الشيباني لمطاردتهم، وفتح المناطق المجاورة، وبذلك تمت هزيمة ثلاثة جيوش للفرس بسلسلة معارك سريعة، وكان بإمكان الفرس أن يوحدوا هذه الجيوش، وأن يضربوا جيش المسلمين من عدة اتجاهات؛ لكثرة عددهم، ولكن الله تعالى أعمى بصيرتهم، وأنزل الرعب في قلوبهم، وارتفعت الروح المعنوية للمسلمين بهذه الانتصارات[1].

معركة الجسر، واستشهاد أبي عبيد الثقفي:

لما رجع الجالينوس هارباً، اجتمع الفرس إلى رستم، فأرسل جيشاً كثيفاً يقوده ذو الحاجب بهمن جاذوية، وأعطاه راية كسرى التي يسمونها: الراية العظمى، كما جهز الجيش بالفيلة، وتقدم إلى جيش المسلمين الذي كان في منطقة قس الناطق، ويفصل بينه وبين جيش الفرس نهر الفرات، وقد طلب قائد الفرس من أبي عبيد الثقفي أن يعبروا إليهم، أو يعبر أبو عبيد، فعبر أبو عبيد إليهم برغم اعتراض أصحاب الرأي من الصحابة، وبذلك فقد أفقد الجيش الإسلامي القدرة على قتال الكر والفر، والقدرة على المناورة، وحصره خلف النهر، وقد استخدم الفرس الجلاجل في رقاب الفيلة، فأخافت خيول المسلمين التي هربت، وعندما حاول أبو عبيد الثقفي معالجة الفيلة، استشهد تحت أرجل الفيلة، وأصابت المسلمين خسائر كبيرة، وتقهقروا من ساحة المعركة[2].

تمكن القائد البارع المثنى بن حارثة الشيباني من تخليص بقية جيش المسلمين، والانسحاب به باتجاه أليس (السماوة). وقد استشهد من المسلمين

---

(١) شاكر محمود رامز ـ تاريخ حرب ـ تحرير العراق، ص٢٢٦.

(٢) محمد بن صامل السلمي ـ ترتيب وتهذيب البداية والنهاية، ص٩٠.

ستة آلاف، من ضمنهم أولاد أبي عبيد الثقفي الثلاثة، واستشهد عدد من قادة المسلمين، ولم يبق من جيش المسلمين سوى أربعة آلاف الذين سحبهم المثنى[1][2].

تعقب قائدان فارسيان هما: جابان، ومردنشاه جيش المسلمين، وجرهم المثنى مسافة كبيرة، ثم قام بشن هجوم مقابل سريع وصاعق بالخيالة التي قادها بنفسه، فأنزل بهم هزيمة عجيبة، وأسر القائدين، وقام بإعدامهما، وقد أصابت الفرس رهبة كبيرة من هذا الهجوم، وتكبدوا خسائر فادحة. وقد أعاد هذا النصر الثقة إلى نفوس المسلمين المنسحبين[3].

هناك عدة جوانب في الحرب النفسية نلاحظها في هذه المعركة، أهمها:

دور القائد، وانعكاس شخصيته وكفاءته على المقاتلين؛ فقد كان القرار الخاطئ لأبي عبيد قد حرم الجيش الإسلامي من ميزاته القتالية، وهي الكر والفر، والمناورة وخفة الحركة؛ حيث إنه حصره في منطقة خلف النهر تفقده هذه الميزات، كما أنه كان متهوراً بتوليه معالجة الفيلة بنفسه، وهو القائد. كما أن العدو استخدم الفيلة في رقابها الجلاجل، وهو أسلوب تكتيكي لم يألفه المسلمون في القتال؛ مما أرهب الخيول، وعزلها عن المشاة، بل إن العدو حرم المسلمين من استخدام الخيالة وفرسانهم الذي هو أهم سلاح في ساحة المعركة، وكانت هذه المباغتة بالسلاح في

(١) أحمد عادل كمال ـ الطريق إلى المدائن، ص٤١٤.

(٢) د. علي محمد محمد الصلابي ـ تاريخ الخلفاء الراشدين ـ عمر بن الخطاب، ص٤٦٤.

(٣) د. أحمد نوفل ـ الحرب النفسية في صدر الإسلام، ج٢، ص١٦٧.

ساحة المعركة لها الأثر النفسي الكبير على المسلمين، وبالتالي خسارة المعركة.

بينما نجد في المقابل، وبالمعركة نفسها كيف أن المثنى القائد المحنك أعاد الثقة لجنوده بشن الهجوم المقابل في الوقت المناسب.

لم يبق من جيش المسلمين في عدده ما يكفي للاحتفاظ بالمناطق التي احتلوها.

وقد كان بإمكان الفرس أن يديموا زخم المعارك، ويحشدوا قوة تكفي لطرد المسلمين من العراق، ولكن مشيئة الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد أعمت بصيرتهم؛ حيث إن الصراع على الحكم بينهم في المدائن قد أبعدهم عن ذلك، وحمى الله المسلمين حتى يعيدوا ترتيب قوتهم، ويستأنفوا تعرضهم لتحرير العراق. عندما وصل الخبر إلى الخليفة ﷺ، حزن حزناً شديداً هو والمسلمون حوله في المدينة[1].

معركة البويب ـ الجسر الثانية:

قام الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ بندب الناس، وحثهم للجهاد، واستنفار القبائل العربية، وإثارة النخوة فيهم، وبذلك باشر بإرسال الإمدادات إلى جيش المسلمين في العراق، فكان منهم جرير بن عبدالله في بجيلة قومه، وهلال بن علقمة مع طائفة الرباب، ومجموعة من قبائل خثعم بقيادة عبدالله بن ذي السهمين، وربعي بن أبي عامر في بني حنظلة، وأعداد أخرى من القبائل. كما أن الخليفة سمح لمن كان في المرتدين، وحسن إسلامه بالاشتراك بالجهاد، ولكنه أمر بعدم تولية أحد منهم قيادة أكثر من مئة

---

(١) صبحي عبد الحميد ـ معارك العرب الحاسمة، ص٧٣.

مقاتل[1]. وبذلك أصبح لدى المثنى قوة مناسبة بعد وصول الإمدادات، والمتبقي معه بعد معركـة الجسر الأولى، وأغلبهم من بني

شيبان. كما التحق به بعض العرب النصارى حمية[2].

لما علم الفرس بوصـول الإمدادات إلى المثنى بن حارثـة، سـارعوا بإرسـال جيش بقيادة (مهران الهمداني)، أغلبه من الفرسان، ولما علم المثنى بذلك، كتب إلى من يصل إليه من الإمدادات الإسراع باللحاق به في البويب، وعلى رأس هؤلاء جرير بن عبدالله؛ حيث كتب له المثنى يقول: إنا جاءنا أمر لم نستطع معه المقام حتى تقدموا علينا، فعجلوا باللحاق بنا، وموعدكم البويب.

فاجتمعوا في البويب، وليس بينهم وبين جيش الفرس إلا النهر. قام المثنى بإجراء تعبئة نفسية لجنوده، والتجول عليهم رهطاً رهطاً، وقبيلة قبيلة، راكباً فرسه الشموس، وكان يلقي عليهم الخطب الحماسية؛ كما أن بعض الصحابة يقرؤون سورة الأنفال التي تدعو إلى الجهاد. طلب قائد الفرس قائلاً، إما أن نعبر إليكم، أو تعبروا إلينا، فأجابه المثنى أن يعبروا هم.

كانت المعركة في شهر رمضان ١٣ هجرية، وقال المثنى للمسلمين: إني أرى من الرأي أن تفطروا، ثم تقووا بالطعام على قتال عدوكم: قالوا: نعم، فأفطروا[3].

---

(١) المقدم عبد الحميد حسين ـ الفتح الإسلامي في العراق والجزيرة، ص٢٤.

(٢) الطبري ـ تاريخ، ج٤، ص٢٧٩.

(٣) د. علي محمد محمد الصلابي ـ تاريخ الخلفاء الراشدين ـ عمر بن الخطاب، ص٤٤٦.

بدأت المعركة، ودارت رحاها بشـدة، أصيب مسعود بن حارثة قائد مشاة المسلمين بجرح بليغ، ونادى قبل استشهاده: يا معسكر بن وائل! ارفعوا راياتكم رفعكم الله، لا يهولنكم مصرعي. واستمر القتال الضاري، فقتل قائد الفرس على يد شاب عربي نصراني من قبيلة تغلب العربية التي اشتركت بالرغم من كونهم نصارى، وذلك دفاعاً عن حميتهم العربية، وقد ركب هذا الشاب على فرس القائد الفارسي، وصاح: أنا الغلام التغلبي قتلت المرزبان (القائد) بين الناس.

انهزم الفرس هزيمة منكرة[1]، ولكن المثنى سبقهم إلى الجسر، فقطعه خلفهم، فقتل أغـلب الجيـش الفارسـي، أو غرق، وسميت هذه المعركة: معركة الأعشار؛ حيث إن أعداداً من المسلمين كان كل واحد منهم قتل عشرة من جيش الفرس، وبهذه المعركة ثأر المثنى لأبي عبيد الثقفي وشهداء المسلمين في معركة الجسر الأولى، فلم ينج من العدو إلا أعداد قليلة.

بعد هذه المعركة أرسل المثنى قوات لمطاردة الفرس، وإعادة إخضاع بعض المناطق التي ارتدت عن السلطة، وأعادت تعاونها مع الفرس؛ مثل: الأسواق، والأنبار، وغيرها، وبذلك أعاد المسلمون سيطرتهم على أرض السواد بين الفرات ودجلة، وغرب نهر الفرات من الفراض وتكريت شمالاً حتى الأبلة وكاظمة جنوباً[2].

إن جوانب الحرب النفسية في هذه المعركة كثيرة، وقد تميز منها مقاتلة القبائل العربية النصرانية من النمر وتغلب إلى جانب العرب المسلمين، وهذه

---

(١) صبحي عبد الحميد ـ معارك العرب الحاسمة، ص٧٤.

(٢) الطبري ـ تاريخ، ج٤، ص٢٨٨.

حمية القومية العربية، التي كان تأثيرها واضحاً في السيطرة على العراق خلال الفتوحات وبعدها.

كما أن هذه المعركة أعادت للمسلمين هيبتهم ومعنوياتهم في مواجهة الفرس في نظر القبائل والشعوب التي نقضت عهودها بعد ضعف المسلمين في العراق لفترة؛ فقد كانت هذه القبائل والشعوب متأرجحة في موقفها (مع القوي).

ومن الجوانب النفسية أيضاً: بروز دور النساء العربيات في شد أزر المسلمين في القتال، وتهيئهن للقتال؛ فلقد أرسل قادة المسلمين بعض الطعام الذي غنموه مع أحد قادة العرب النصارى، وهو عمرو بن عبد المسيح إلى معسكر النساء. فعندما شاهد النساء قدومه في جمع، تصايحن، وحسبنها غارة عليهن، فحملن الحجارة والعمد وما تيسر من السلاح لمواجهتهم. فقال عمر بن عبد المسيح: هكذا ينبغي لنساء هذا الجيش، وبشرهن بالنصر والفتح[1].

لقد كان المثنى بن حارثة يعتمد أسلوب الحرب الخاطفة، والمطاردة السريعة للعدو، واستثمار الفوز بتوسيع سيطرته على المناطق قبل أن يستفيق العدو من صدمته، ويقوم برد فعل، أو يعيد توازنه، لقد كانت عمليات المثنى في العراق حاسمة؛ فقد استطاع الاحتفاظ بمواقع إستراتيجية، والسيطرة على أكثر أرض السواد، ولما بدأ الفرس بالنفير، سحب قواته إلى منطقة ذي قار.

---

(١) الطبري ـ تاريخ، ج٤، ص٢٧٩.

معركة القادسية:

بعد سلسلة الانكسارات والهزائم التي منيت بها القوات الفارسية، وفقدانها جزءاً كبيراً من سواد العراق، وزعزعة هيبة الدولة الفارسية، وانهيار معنويات الفرس، أخذت مملكة فارس تترنح، في الوقت الذي تستمر الخلافات فيه بينهم داخل البلاط على الحكم. فقرر دهاقنة فارس الضغط على حكامهم لمعالجة وضع مملكتهم، ومواجهة جيوش المسلمين.

فنصبوا (يزدجرد) على العرش، وتغير الموقف الفارسي كما يلي:

١ ـ استقرار داخلي بتنصيب يزدجرد، واجتماعهم إليه.

٢ ـ تجنيد عام وشامل لكل من استطاع الفرس أن يجندوه، وتوزيع القطعات تجاه كل المناطق التي فتحها المسلمون.

٣ ـ إثارة السكان، وتأليبهم على المسلمين حتى نقضوا عهدهم، وكفروا بذمتهم، وثاروا بهم[١].

عندما وصلت الأنباء إلى المثنى بأن الفرس أرسلوا القوات باتجاهات مختلفة في العراق، وأنهم اتحدوا، قدر موقفه، فعلم أن لا قبل له لمواجهة هذه القوات في عدة أماكن، وخاصة أن قواته كانت موزعة في مناطق متعددة في العراق، فلذلك أمر بالاجتماع في منطقة واحدة، وكتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب يخبره بذلك.

أما الفرس سكان المناطق التي سيطر عليها العرب، فإنهم عندما رأوا تقدم قواتهم، ثاروا، فنقضوا العهود، فكان انسحاب قوات المثنى عملاً

---

(١) د. علي محمد محمد الصلابي ـ تاريخ الخلفاء الراشدين ـ عمر بن الخطاب، ص٤٧٩.

صحيحاً، ولا يمكن أن يكون أحسن منه[1].

لما علم الفاروق أن الفرس يعدون العدة، ويتجمعون لاستئصال القوات الإسلامية من العراق، أمر بالتجنيد الإجباري؛ لأن الحالة تقضي بذلك؛ لهذا أمر المثنى أن ينظر فيما حوله من القبائل ممن يصلح للقتال، ويقدر عليه، فيأتي به طائعاً وغير طائع.

وفيما يلي نص كتاب الخليفة إلى المثنى[2]:

أما بعد: فاخرجوا من بين ظهراني الأعاجم، وتنحوا إلى البر، وتفرقوا في المياه التي تلي الأعاجم على حدود أرضكم وأرضهم، ولا تدعوا في ربيعة أحداً، ولا مضر، ولا حلفائهم أحداً من أهل النجدات، ولا فارساً إلا اجتلبتموه، فإن جاء طائعاً، وإلا حشرتموه. احملوا العرب على الجد إذا جد العجم. فتلقوا جدهم بجدكم، وأقم منهم قريباً على حدود أرضك وأرضهم حتى يأتيك أمري[3].

كما أن الخليفة الفاروق أرسل إلى عماله في الجزيرة ألا يدعوا أحداً له سلاح أو فرس أو نجدة أو رأي إلا أرسلوه إليه.

إذن هي تعبئة عامة تقابل تعبئة الفرس العامة. كما أن الخليفة استنفر أهل الردة الذين لم يشركهم الصديق في الجهاد، ذلك بعد أن تابوا، وحسن إسلامهم، وأخذوا قسطاً من التربية الإسلامية، إلا أنه لم يولّ أحداً منهم.

وجاء في الرواية: أنه قال لسعد بن أبي وقاص في شأن طليحة الأسدي،

---

(١) المقدم عبد الحميد حسين ـ الفتح الإسلامي في العراق والجزيرة، ص٤٠.

(٢) صبحي عبد الحميد ـ معارك العرب الحاسمة، ص٤٠.

(٣) الطبري ـ تاريخ، ج٤، ص٣٠١.

وعمرو بن معد يكرب الزبيدي: استعن بهما، ولا تولهما على مئة[1].

تجمعت الحشود الكبيرة من المسلمين من قبائل العرب في مكة والمدينة وما حولهما، وعلى طريق العراق، وكان ذلك في مستهل سنة ١٤ هجرية. وركب الخليفة بنفسه في أول يوم من محرم مع الجيوش من المدينة، واستخلف على المدينة علي بن أبي طالب، فنزل على ماء يقال له: حرار، فعسكر عازماً غزو العراق بنفسه.

ثم عقد مجلساً لاستشارة الصحابة في الأمر، فوافقوه، إلا عبد الرحمن ابن عوف لم يوافق، وقال له: إني أخشى إن كسرت أن يضعف المسلمون في سائر أقطار الأرض، وإني أرى أن ترجع إلى المدينة، وترسل رجلاً غيرك. فاستصوب عمر والصحابة ﷺ الرأي. وتم اختيار سعد بن مالك الزهري (سعد بن أبي وقاص)، وأمره على الجيوش في العراق[2].

كان الخليفة عمر بن الخطاب يكثر من الوصايا للقادة، كما أنه يبث العيون في صفوف الجيوش؛ ليكون على يقين من التزامهم بالوصايا، والتفاني في طاعة الله ﷻ، ولزوم أوامره في التعامل مع الجنود، أو التصرف في ساحة المعركة مع الأعداء، أو تطبيق شرع الله في البلاد والأماكن المفتوحة، وهذا عامل نفسي مهم.

كما أن الخليفة كان يشارك القادة في القرارات السوقية المهمة، ويطلب منهم أن يكتبوا له بكل ما يجري من أمور مهمة في الميدان، حتى

---

(١) أحمد عادل كمال ـ الطريق إلى المدائن، ص٤٧٠.

(٢) د. علي محمد محمد الصلابي ـ تاريخ الخلفاء الراشدين ـ عمر بن الخطاب، ص٤٨١.

أنـه كان يطلب منهم أن يصفوا له طبيعة الأرض، وساحات المعارك، وكان متحمساً معهم، وكأنه في ساحة القتال، وقد أعطى أهمية بالغة لفتح العراق، والحرب مع الفرس.

وهذا ما نلاحظه في استعدادات المعركة، ومع شدة الخليفة مع القادة؛ فإنـه كان يدعمهم بشكل كبير، ويطلب رأيهم في أمور القتال منذ مرحلة الاستحضارات، وحتى استثمار الفوز. وهذا له الانعكاس الكبير على معنويات القادة، ومعنويات المجاهدين معاً. فلا يتقدم شيء في الدولة الإسلامية على الجهاد، فهو المرتبة الأولى في اهتمام الخليفة وكيان الدولة الإسلامية.

وقد كان الخليفة يركز على عدة عوامل في وصاياه، أولها وأهمها: الإيمان بالله وتقواه، وثانيهما: الصبر في الشدائد، وثالثهما: الحق والعدل والإنصاف بين الجند، وتنفيذ ما يأمر به الله تعالى بحق العدو في الميدان، ويركز الخليفة بذلك على صفاء القلب[1]. والخليفة بذلك مصيب؛ حيث إن هدف الجهاد هو نشر الإسلام، وإن تطبيق دين الله هو الكفيل بالنصر، وهو الكفيل بتقبل الناس في البلاد المفتوحة للدين الإسلامي، والدخول فيه، وهذا عامل نفسي أساسي يميز المسلمين عن الفرس أو الروم، أو أي فئة مشركة.

سـار سعد بن أبي وقاص ومعه سـتة آلاف من المجاهدين، وودعـه الخليفة بالسير معه من حرار إلى الدعوص[2]. نزل ببلاد نجد، وأمده الخليفة بأربعة آلاف أخرى.

---

(١) محمد بن صامل السلمي - ترتيب وتهذيب البداية والنهاية، ص٩٦.

(٢) الطبري - تاريخ، ج٤، ص٣٠٨.

استطاع سعد أن يحشد سبعة آلاف آخرين، وكان مع المثنى في العراق اثنا عشر ألفا. فأقام سعد في منطقة تسمى: (زرود). ولكن المثنى بن حارثة مرض مرضاً شديداً، قيل: أنه نتيجة جرحه في معركة الجسر الأولى، فتوفي - رحمه الله، وجزاه الله عن المسلمين خيراً -. وقد ترك وصية لسعد ابن أبي وقاص ينقل فيها خبرته، ويوصي سعداً بأساليب القتال مع الفرس، ويبدي نصائحه له، وقد أرسلها مع أخيه المعنى بن حارثة[1].

جاء أمر الخليفة إلى سعد بن أبي وقاص بالحركة إلى القادسية، وتضمنت رسالة الخليفة وصايا وتوجيهات المعركة، والقيادة فيها، وطلب منه رعاية الجند، ورفع معنوياتهم، وإرسال العيون للاستطلاع، والحصول على المعلومات، وغيرها.

وهذه الأوامر جميعاً هي استحضارات المعركة. لقد توالت كتب وتوجيهات الخليفة إلى سعد بن أبي وقاص إلى أن طلب منه أن يصف له ساحة المعركة، وطبيعة أرضها وتضاريسها.

وأخيراً طلب منه أن يكتب له يومياً عن تفاصيل ما يجري، لقد كان الفاروق ﷺ يعيش بكل أحاسيسه في ساحة المعركة، ولا يهنأ له بال حتى يعرف أخبارهم يومياً[2].

قام سعد بن أبي وقاص ﷺ بترتيب الجيش في ساحة المعركة، والتهيؤ لها، والوقوف على أرهاط الجند والقبائل، وشد عزيمتهم، ويطلع على تدريبهم واستعداداتهم.

---

(١) الطبري - تاريخ، ج٤، ص٣١٣.

(٢) ابن كثير - البداية والنهاية، ج٧، ص٣٨.

بلغ تعداد جيش المسلمين أربعة وثلاثين ألفاً، أما الجيش الفارسي، فتعداده مئة وعشرون ألفاً[1].

وقد طلب الخليفة من سعد بن أبي وقاص إرسال وفد لمناظرة ملك الفرس، ففعل، كما أرسل وفداً إلى رستم يعرض عليه الإسلام، أو الجزية، أو الحرب[2].

لقد كانت هذه الإجراءات لها الأثر النفسي الكبير على العدو، وقد سبق أن شرحنا هذه الحالات من الحرب النفسية في مواقع سابقة.

ومن الجدير بالذكر أن الصحابي الجليل سلمان الفارسي كان يقوم بدور الاستخبارات في جمع المعلومات عن العدو؛ كما يبث بينهم معلومات تهز معنوياتهم، هذه حرب نفسية مبرمجة ومدروسة.

لا أريد هنا أن أستعرض تفاصيل ترتيب الجيش الإسلامي قبل المعركة، عدا جانب واحد، هو: أن سعد بن أبي وقاص قسم الجيش إلى عرافات (حضيرة)، كل عرافة عشرة أشخاص عليهم عريف، ثم إلى كتائب، وهكذا.

إذاً الجيش الإسلامي كان منظماً بأدق التفاصيل قبل بدء المعركة.

التعبئة النفسية:

جمع سعد بن أبي وقاص ﷺ وجهاء المسلمين وقادته في بداية اليوم الأول من المعركة، وقال لهم[3]: انطلقوا فقوموا في الناس بما يحق عليكم ويحق لهم عند مواطن البأس؛ فإنكم من العرب بالمكان الذي أنتم به،

---

(١) صبحي عبد الحميد ـ معارك العرب الحاسمة، ص٤٠.

(٢) ابن كثير ـ البداية والنهاية، ج٧، ص٣٩.

(٣) الطبري ـ تاريخ، ج٤، ص٣٥٩.

وأنتم شعراء العرب وخطباؤهم، وذو رأيهم ونجدتهم وسادتهم، فسيروا في الناس، فذكِّروهم وحرضوهم على القتال، فساروا فيهم.

فقال قيس بن هبيرة الأسدي: أيها الناس! احمدوا الله على ما هداكم له وأبلاكم يزدْكم، واذكروا آلاء الله، وارغبوا إليه في عاداته، فإن الجنة أو الغنيمة أمامكم، وإنه ليس وراء هذا القصر إلا العراء والأرض القفر والظراب الخشن، والفلوات التي لا تقطعها الأدلة.

وقال غالب بن عبدالله الليثي: أيها الناس! احمدوا الله على ما أبلاكم، وسلوه يزدكم، وادعوه يجبكم. يا معشر معد! ما علتكم اليوم وأنتم في حصونكم (يعني: الخيل)، ومعكم من لا يعصيكم (يعني: السيوف)؟ اذكروا حديث الناس في غد، فإنه بكم غداً يبدأ عنده، وبمن بعدكم يثنى[1].

وقال ابن الهذيل الأسدي: يا معشر معد! اجعلوا حصونكم السيوف، وكونوا عليهم كأسود الأجم، وتربدوا لهم تربد النمور، وادرعوا العجاج، وثقوا بالله، وغضوا الأبصار، فإذا كانت السيوف، فأنها مأمورة، فأرسلوا عليهم الجنادل؛ فإنها يؤذن لها فيما لا يؤذن للحديد فيه.

وقال عاصم بن عمرو: يا معاشر العرب! إنكم أعيان العرب، وقد صمدتم لأعيان من العجم، وإنما تخاطرون بالجنة، ويخاطرون بالدنيا، فلا يكونُنَّ على دنياهم أحوط منكم على آخرتكم. لا تُحدثوا اليوم أمراً تكونون بها شيناً على العرب غداً[2].

---

(١) الطبري ـ تاريخ، ج٤، ص٣٥٩.

(٢) المصدر نفسه، ج٤، ص٣٦٠.

وتحدث خطباء آخرون، منهم: ربعي بن عامر، وربيع بن البلاد السعدي وبسر بن رهم الميهني، وغيرهم بنفس صيغة الخطاب.

قام قراء القرآن الكريم بالتجول بين أقسام الجيش وكتائبه وفرسانه يقـرؤون سـورة الأنفال، وسـور الجهاد الأخرى؛ لشـد النفوس بالإيمان والإقـدام[1].

لقد قام سعد بن أبي وقاص في الناس خطيباً، وقال: إن الله هو الحق لا شريك له في الملك، وليس لقوله خلف.

قال الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾[الأنبياء: ١٠٥].

إن هذا ميراثكم، وموعود ربكم، وقد أباحها لكم منذ ثلاث حجج، فأنتم تطعمون منها، وتأكلون منها، وتقتلون أهلها، وتجبونهم وتسبونهم إلى هذا اليوم بما نال منهم، أصحاب الأيام منكم وقد جاءكم منهم هذا الجمع، وأنتم وجوه العرب وأعيانهم، وخيار كل قبيلة، وعز من وراءكم، فإن تزهدوا في الدنيا، وترغبوا في الآخرة، جمع الله لكم الدنيا والآخرة، ولا يقرب ذلك أحداً إلى أجله، وإن تفشلوا وتهنوا وتضعفوا، تذهب ريحكم، وتوبقوا آخرتكم[2].

وقد أمر سعد أن ينادى بالجيش: ألا أن الحسد لا يحل إلا على الجهاد

---

(١) السيد عمر ـ الدور السياسي للصفوة في صدر الإسلام، ص٤٢٩.

(٢) الطبري ـ تاريخ، ج٤، ص٣٥٧.

في أمر الله. أيها الناس! فتحاسدوا وتغايروا على الجهاد[1].

وهكذا نرى عوامل الحرب النفسية في مراحل المعركة كافة: التخطيط، والاستحضارات، والتعبئة النفسية.

وخلال المعركة نبين عوامل الحرب النفسية في ميدانها.

بدأت اشتباكات المعركة التي استمرت أربعة أيام سمي اليوم الأول: (يوم أرماث)، وأول عوامل الحرب النفسية أتناوله هنا هو: معالجة الفيلة التي يستخدمها العدو لإخافة خيل المسلمين، وتعد دروعهم في القتال، فقد اختار سعد بن أبي وقاص عدداً من شجعان المسلمين بقيادة عاصم بن عمرو لمعالجتها، وهذا أمر مهم؛ حيث إن هذا التخصيص أو التكليف بالواجب يحدد المسؤولية، ويلزمهم ببذل كل شيء لتنفيذ واجبهم، فعمدوا إلى فقء عيونها، وقطع أشفارها، وتقطيع أحزمتها، فهربت الفيلة، وسقط وقتل من عليها.

وقد أبلت قبيلة بجيلة بقتال شديد، ولما استشهد عدد من رجالها، انتحت إليها قبيلة أسد بإبطالها. ولذلك من عوامل الحرب النفسية خلال هذه المعركة: أن القبائل كانت تنضم لبعضها، ووجه بذلك سعد بن أبي وقاص حيث تشتد حمية رجالها.

ومن عوامل الحرب النفسية وأدواتها: الشعر، وأذكر هنا أبياتاً قالها عمرو بن شاس الأسدي في قبيلته:

لقد علمت بنو أسد بأنا   أُولو الأحلام إذ ذكروا الحلوما

---

(١) المصدر نفسه، ج٤، ص٣٥٨.

تــرى فينــا الجيــاد مــسومــات مــع الأبطــال يعلكــن الـشكـيما
تــرى فينــا الجيــاد مجلجــلات تنهنه عــن فوارســها الخـصوما[1]

وصلت طلائع المدد الذي جاء من الشام بقيادة هاشم بن عتبة يتقدمهم القعقاع، ومعه ألفا فارس، ففكر بطريقة يرفع بها معنويات المسلمين، ويهز بها معنويات الفرس؛ حيث قسم الفرسان كل مئة فارس يدخلون ويثيرون الغبار، ثم يأتي بعدهم مئة أخرى، وهكذا.

فكبر المسلمون لوصول المدد، وارتجف الفرس من وصول هذه الإمدادات المتتالية للمسلمين، ولما قدم بقية الجيش، أرسل القعقاع من يخبرهم بذلك، ففعلوا مثلما فعل القعقاع، وكان ذلك له تأثير نفسي كبير على العدو، ورفع معنويات الجيش الإسلامي، وكان ذلك في اليوم الثاني للمعركة، وسمي: يوم (أغواث).

عندما وصل القعقاع، نادى بمن يبارزه، فخرج (بهمن جاذوبة)، فصاح به القعقاع: يالثأر أبي عبيد الثقفي وأصحاب الجسر، وقتله، كما بارز قائداً آخر للفرس هو (بيرزان)، فقتله[2].

وتُجمع الروايات أن القعقاع حمل ذلك اليوم ثلاثين مرة. كيف؟ أليس هو الذي قال عنه أبو بكر الصديق ﷺ: لا يهزم جيش فيه مثل القعقاع؟ وقال عنه: لصوت القعقاع في الجيش خير من ألف رجل.

وقد برز عدد من شجعان المسلمين ووجهاء قبائلهم بشجاعة نادرة

---

(١) د. علي محمد محمد الصلابي ـ تاريخ الخلفاء الراشدين ـ عمر بن الخطاب، ص٥٠٨.

(٢) الطبري ـ تاريخ، ج٤، ص٣٦٦ ـ ٣٦٧.

ألهبت حماس قبائلهم وبقية المسلمين؛ مثل: قيس بن مكشوح، وطليحة الأسدي، وعمر بن معد يكرب الزبيدي، وغيرهم. إن تقدم رئيس القبيلة في مقدمة قومه يدفعهم خلفه بالشجاعة نفسها، وهذا له الأثر النفسي الكبير في القتال[1].

ومن المواقف ذات التأثير النفسي الكبير على قوات العدو، والتي ساعدت على تقهقر خيولهم، وكان لها تأثير عليهم أكثر من تأثير فيلتهم على المسلمين؛ حيث هربت خيولهم، فقد قام القعقاع مع بعض الرجال من تميم ببرقعة الجمال بأغطية، وإظهارها بشكل يخيف الخيل، وقام المسلمون بحمايتها بالمشاة، وزجَّها أمام خيول الفرس، فهربت من ساحة المعركة، ولم يجد الفرس طريقة لمعالجتها، وبذلك انفصل فرسانهم عن مشاتهم، وأثخن بهم المسلمون الضرب حتى هربوا من ساحة المعركة منهزمين منهارين، وكان ذلك في اليوم الثالث للمعركة، وهو: يوم (عماس)[2].

ولا يغيب عن الذكر هنا أبو محجن الثقفي الذي كان سجيناً، وأقنع زوجةَ سعد بن أبي وقاص سلمى بإطلاق سراحه، وقد أخذ البلقاء فرسَ سعد، وصال بها بين جموع الفرس، فأُعجب المسلمون بفعله، وأرهب الفرس في أحرج مراحل المعركة، فالفرسان المتميزون لهم الأثر النفسي الكبير في حسم المعركة، حتى إنهم يغار منهم بقية الفرسان، ويجهدون في الأداء مثلهم. لذلك فهي مباراة في القتال والجهاد، وهذا عامل نفسي مهم في

---

(١) أحمد عادل كمال ـ القادسية، ص١٣٩ .

(٢) الطبري ـ تاريخ، ج٤، ص٣٦٣ ـ ٣٦٤ .

التنافس بين الفرسان والشجعان.

لقد طالت المعركة، وفي يومها الرابع أخذ رؤساء المسلمين وقادتهم يقومون باستنهاض الهمم بالخطب والشعر، ومن أمثلة ذلك: ما قاله دريد بن كعب النخعي لقومه[1]: إن المسلمين تهيؤوا للمزاحفة، فاسبقوا المسلمين الليلة إلى الله والجهاد؛ فإنه لا يسبق الليلة أحد إلا كان ثوابه على قدر سبقه. نافسوهم في الشهادة، وطيبوا في الموت نفساً. . . إلخ.

وتكلم الأشعث بن قيس في قومه، وعدد من سادة العرب والقادة والفرسان، كما أنهم في كل يوم يذكرون الناس بالشهادة، فيقرأ القراء القرآن الكريم، وخاصة سور الجهاد. إذن إدامة الروح المعنوية مستمرة في كل يوم من أيام القتال.

وفي اليوم الرابع ـ الذي كان أشد الأيام قتالاً ـ أرسل الله تعالى ريحاً فسقطت خيمة رستم، فخرج منها، وكان المسلمون يقاتلون في قلب العدو، وتمكنوا من قتله، وانهارت الفرس، فسقط الكثير منهم في النهر، وقتلت منهم أعداد كبيرة، وأسرت أعداد كبيرة، ففتح الله على المسلمين بالنصر المؤزر. وكان الخليفة الفاروق قد أوصى بمطاردتهم، فأرسل سعد كتائب من الخيالة الفرسان يتقدمون أمام الجيش ويعقبونهم، ولم يفسحوا لهم مجالاً للهرب حتى عبروا النهر خلفهم خياضة بخيولهم حتى أوصلوهم المدائن.

لقد كان لمواقف نساء المسلمين التأثير النفسي الكبير؛ كما في المثلين الآتيين:

---

(١) محمود شاكر ـ التاريخ الإسلامي، ج١٠، ص٤٥٥.

كانت امرأة من النَّخَع لها بنون أربعة شهدوا القتال في القادسية، فلما بدأ[1] صباح أول يوم في المعركة، قالت لهم: إنكم أسلمتم فلم تبدلوا، وهاجرتم فلم تثيروا، ولم تنب بكم البلاد تقحمكم السنة، ثم جئتم بأمكم عجوز كبيرة، فوضعتموها بين يدي أهل فارس. والله! إنكم لبنو رجل واحد، كما أنكم بنو امرأة واحدة، ما خُنت أباكم، ولا فضحت خالكم، انطلقوا فاشهدوا أول القتال وآخره. فانصرفوا عنها متحمسين إلى القتال، ورفعت يديها تدعو لسلامتهم، فاستجاب لها الله تعالى، ولم يصب أحدهم بجرح، وعادوا إليها سالمين.

المثل الثاني هو: موقف الخنساء ـ رضي الله عنها ـ التي جاءت مع أولادها الأربعة[2]، واستشهدوا واحدا بعد الآخر في القتال، وقالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم.

وقد قال كل منهم شعراً قبل استشهاده:

قال أولهم قبل استشهاده:

يا إخوتي إن العجوز الناصحه	قد نصحتنا إذ دعتنا البارحه

قال الثاني قبل استشهاده:

إن العجوز ذات حزم وجلد	والنظر الأوفق والرأي السدد

وقال الثالث قبل استشهاده:

والله لا نعصي العجوز حرفا	قد أمرتنا حدباً وعطفا

---

(١) الطبري ـ تاريخ، ج٤، ص٣٧٠.

(٢) عبد المنعم الهاشمي ـ الخنساء أم الشهداء، ص٩٨.

وقال الرابع قبل استشهاده:

لـــست لخنـــساء ولا للأحـــزم ولا لعمـــرو ذي الـــسناء الأقـــدم

أرسل سعد بن أبي وقاص ﷺ البشرى بالنصر إلى الخليفة الفاروق، وبين فيها تفاصيل ما جرى في المعركة ونتائجها، ففرح، وحمد الله على هذا الفتح المبين.

لقد كانت القادسية هي الضربة المميتة لأحلام وآمال الفرس، وما جرى بعدها من معارك؛ فهي استثمار للفوز العظيم بهذه المعركة؛ فقد واصل المسلمون تعقبهم للفرس حتى دخلوا المدائن، وأزالوا عرش كسرى، ولبس سُراقة بن مالك أساور كسرى؛ كما وعده الرسول ﷺ عندما هاجر إلى المدينة[1].

إن القادسية تقع على قمة المعارك الحاسمة في تاريخ العالم، فهي تبين أنواعاً من التمكين الرباني لأهل الإيمان الصحيح؛ فقد انفتحت على آثارها أبواب العراق وما وراء العراق فارس كلها. وهي التي من عندها استطرد نصر المسلمين، فاستطرد معه السقوط الساساني من الناحيتين الحربية والسياسية، والسقوط المجوسي من الناحية العقائدية، ومن هنا انتشر الدين الإسلامي في بلاد فارس وما وراءها، ففي القادسية كسر المسلمون شوكة المجوس كسرة لم ينجبر شأنهم بعدها أبداً. وهكذا استحقت القادسية مكانها على قمة المعارك الحاسمة.

---

(١) الطبري ـ تاريخ، ج٤، ص٤٠٨.

من الجوانب المهمة في الحرب النفسية: الجانب المادي الاقتصادي المهم في حياة الإنسان.

لقد غنم المسلمون غنائم كبيرة جداً من الخيول والمواشي والدواب، والأسلحة وعتادها، وغيرها من الأموال. وقد أمر الخليفة الفاروق ﷺ بتوزيع حصة الخمس بين المجاهدين، ومجازاة المتميزين منهم وتمييزهم، والأهم من هذا كله: انفتاح أرض السواد الواسعة الخصبة كثيرة المياه؛ حيث أخذت القبائل العربية بالنزوح من أرض شبه الجزيرة العربية من نجد والحجاز واليمامة واليمن وحضرموت؛ حيث أصبحت لديهم الأموال والأراضي والضياع المناسبة للزراعة ورعي مواشيهم، وتخلصوا من الجدب والشحة في حياتهم. وقد جرى هذا النزوح إلى العراق وبلاد الشام.

ولنستذكر ما قاله الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ في خطبته عندما ندبهم للجهاد: إن الحجاز ليس لكم بدار إلا على النجعة، ولا يقوى عليه أهله إلا بذلك. أين الطراء المهاجرون عن موعود الله؟ سيروا في الأرض التي وعدكم الله أن يورثكم إياها؛ فإنه قال: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾[التوبة: ٣٣]، والله مظهر دينه، ومعز ناصره، ومولِ أهله مواريث الأمم. أين عباد الله الصالحون؟[1].

لقد ساع انتقال الأعداد الكبيرة من العرب المسلمين من شبه الجزيرة العربية إلى العراق والشام على توطيد الإسلام في هذه الربوع، وتفقيه الناس به. كما أن هذه المناطق أصبحت القاعدة التي تنطلق منها الفتوحات باتجاه الشرق والغرب.

---

(١) المقدم عبد الحميد حسين ـ الفتح الإسلامي في العراق والجزيرة، ص١٣.

وقد حسن إسلام أهلها، فكان منهم الفقهاء، وعلماء الشريعة الإسلامية، والمؤرخون؛ كما نراه من كتبهم وتراثهم وأئمتهم اليوم.

استمرت الفتوحات الإسلامية؛ فبعد أن أعاد الجيش الإسلامي تنظيمه، وترتيب أمر الخليفة بعد شهرين من معركة القادسية بفتح المدائن عاصمة ملك الفرس، فاستولى المسلمون على خزائن وأموال كسرى الكبيرة، وهرب كسرى منها، وتواصلت المعارك بعدها؛ حيث معركة جلولاء، وبعدها معركة نهاوند (فتح الفتوح) التي هي من المعارك الكبيرة والمهمة في فتوحات العراق.

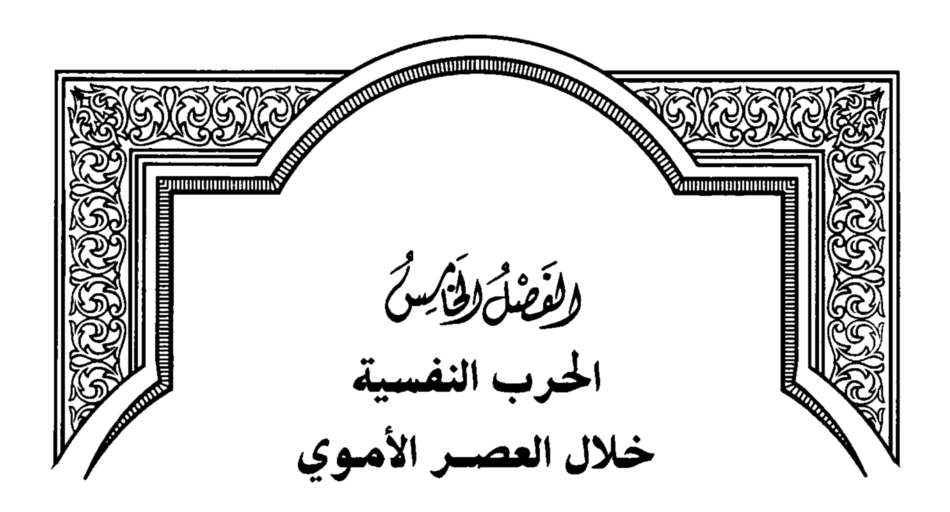
ثم قرر الخليفة فتح بلاد فارس كلها، ففتح همذان سنة ٢٢ هجرية، وفتح الري وقوميس وجرجان في السنة نفسها. وفتح أذربيجان وخراسان أيضاً في سنة ٢٢ هجرية. فتح كرمان، وسجستان، وإصطخر، ومكران في سنة ٢٣ هجرية[1].

أما في بلاد الشام، فاستمرت الفتوحات بإكمال بلاد الشام: فلسطين، وشمال سورية، كما تم فتح مصر، وليبيا.

وكانت الحرب النفسية بعواملها وأسلحتها آنفة الذكر تظهر وتستخدم بشكل متفاوت من معركة لأخرى، ولكنها تصطف إلى جانب السيوف والرماح في كسب المعارك، وهي مستمرة قبل المعركة في التخطيط والاستحضارات، وخلال المعركة في ميدانها، وبعد المعركة في المطاردة واستثمار الفوز.

---

(١) الطبري - تاريخ، ج٤، ص٤٥٣.



الفصل الخامس
الحرب النفسية خلال العصر الأموي

انتهى عصر الخلافة الراشدة على منهاج النبوة بتنازل الحسن بن علي ـ عليه السلام ـ لمعاوية بن أبي سفيان عن الخلافة، وذلك في ربيع الأول من عام ٤١ للهجرة، وكان[1] أهل الحجاز واليمن والعراق قد بايعوا الحسن ابن علي للخلافة.

وبعد الصلح بين الحسن بن علي ـ عليه السلام ـ ومعاوية بن أبي سفيان ﷺ توحدت الأمة تحت قيادة واحدة، وبذلك بدأت الدولة الأموية، وسمي هذا العام: عام الجماعة.

كانت الفتوحات الإسلامية قد توقفت بسبب الفتنة منذ استشهاد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ، وقد كان توقف الفتوحات لفترة تزيد عن خمس سنوات. وقد يكون هذا التوقف في الفتوحات الإسلامية أحد العوامل التي أدت إلى حدوث الفتن، فلم يكن لدى الناس ما يشغلهم. فكان من نتائج الصلح وتنازل الحسن بن علي ـ عليه السلام ـ عن الخلافة عودة الفتوحات الإسلامية.

فقد وقعت محاولات للتمرد على المسلمين؛ مثل: سجستان،

---

(١) الطبقات ـ تحقيق السلمي، ج١، ص٣٣١.

وخراسان، وما وراء النهر في جبهة الشرق، كما أن الروم أخذوا بالتحرك ضد الثغور الإسلامية في جبهة الروم. وقد استعان معاوية بن أبي سفيان بفاتح سجستان وخراسان أيام الخليفة عثمان بن عفان ﷺ، وهو عبدالله بن عامر، وتكليفه بأمر إعادة فتحها ثانية[1].

كما أن الخليفة معاوية قرر إسكان خمسين ألفاً من العرب مع عوائلهم في خراسان[2].

أما في جبهة المغرب، فقد أوعز الخليفة معاوية ببناء مدينة القيروان؛ لتكون قاعدة لانطلاق الجيوش الإسلامية في الفتوحات[3].

لقد تغير نظام الحكم من الخلافة إلى الملك، فضلاً عن انتقال عاصمة الدولة الإسلامية من المدينة إلى الشام، ولهذا أثر نفسي آخر على المسلمين، خاصة في الحجاز.

وكان من نتائج انتهاء الفتنة: تصدي الخلافة الأموية للخوارج؛ فقد استطاع معاوية من إضعاف شوكتهم، والتصدي لحركاتهم، ومنها: حركة فروة بن نوفل الأشجعي[4] وحركة المستورد بن علف التيمي، وحركة حيان ابن ظبيان السهمي. وهذه الحركات ظهرت في الكوفة، وأما حركة يزد الباهلي، وسهم الهجيمي، وحركة قريب الأزدي، وزحاف الطائي،

---

(١) د. علي محمد محمد الصلابي ـ تاريخ الخلفاء الراشدين ـ الحسن بن علي، ص٣٨٠ ـ ٣٨١.

(٢) خالد محمد الغيث ـ مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري، ص٣٦٤ ـ ٣٦٥.

(٣) المالكي ـ رياض النفوس، ج١، ص٢٧.

(٤) خالد محمد الغيث ـ مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري، ص١٧٩ ـ ١٩٦.

فكانت بالبصرة[1]. فقد اتسمت حركة الخوارج في عهد معاوية بالعشوائية والارتجال، وقلة التنظيم؛ نتيجة الضغط عليهم.

لقد اختلفت أهداف الحرب النفسية واتجاهاتها باختلاف متطلبات الخلافة الأموية؛ فقد كانت أمام الأمويين ثلاثة أهداف سوقية هي حسب أسبقيتها:

توطيد أركان الدولة بإيجاد المؤيدين والموالين لهم، واستعمالهم في هذا القصد.

والأسبقية الثانية هي: القضاء على الثورات والفتن الداخلية التي تشكل أخطر التهديدات للأمويين، وكانت هذه التهديدات تستهدف الخلافة، وتعتقد أن الخلافة ليست من استحقاق الأمويين.

أما الأسبقية الثالثة، فهي: التوسع بالفتوحات الإسلامية والمحافظة على الثغور الإسلامية للدولة المترامية الأطراف وحمايتها، فما هي ملامح الحرب النفسية في هذه الاتجاهات الثلاثة؟

تثبيت أركان الدولة الأموية:

بذل الأمويون كل المساعي لغرض توسيع الموالاة لهم والأتباع لغرض الاعتماد عليهم في تثبيت أركان دولتهم، واستخدام هؤلاء الأتباع في إخضاع المعارضين لهم؛ حيث كان اعتمادهم الرئيسي على القبائل العربية في بلاد الشام، وهذه القبائل عربية يمانية في أغلبها، فقد كان قسم من هذه القبائل في بلاد الشام، وأصولهم يمانية، والقسم الآخر ممن ندبهم الخليفة

---

(1) المصدر نفسه، ص١٩٧ ـ ٢٠٨.

أبو بكر ﷺ لجبهة الشام في الفتوحات التي تمت في خلافته، ومنهم من هاجر بعد فتح بلاد الشام. وكانت أهم هذه القبائل: كلب، وتغلب، ولخم، والغساسنة، وزخر وتنوخ، وجذام، وسليم، وبهراء. . . إلخ[1].

لقد عمل معاوية بن أبي سفيان والياً لبلاد الشام مدة عشرين عاماً، فكان على علاقة مع هذه القبائل، وبتماس مع رؤوسهم، لذلك فقد عمل على توطيد علاقته بهم في الخلافة، واستمالتهم إلى جانبه من خلال بذل الأعطيات والهبات لهم، واستمالة رؤوسهم، وإسناد بعض المهام والمناصب لهم في الدولة. أضف إلى هذا: فقد كان في بلاد الشام عدد من المعسكرات لجيش المسلمين، وجميعهم من هذه القبائل تقريباً، وقد نجح معاوية بن أبي سفيان في توجهه هذا نجاحاً كبيراً؛ حيث إن جيوشه التي كان يوجهها لمحاربة الثورات والمعارضين هم من هؤلاء.

من جانب آخر: فقد فتح الأمويون أبوابهم للشعراء والخطباء الذين كانوا يبذلون لهم العطاء، وهم وسيلة الدعاية لهم في الأقاليم المختلفة في الدولة. كما أن الخليفة معاوية بن أبي سفيان كان ذكياً في عدم جعل هذه القبائل تتحد فيما بينها؛ لكيلا تشكل خطراً على الأمويين، فكانت تحدث نزاعات قبلية دون أن تتدخل الدولة بشكل يضر بمصالحها؛ مما هيأ لظهور بعض النزاعات التي قضى عليها الإسلام، وهي العصبية القبلية.

كما أن الدولة كانت تتخذ موقفاً فوقياً في هذه المنازعات، دون أن تردع أحد الأطراف أو كليهما، فيتخذ هؤلاء موقفاً سلبياً في ولائهم للأمويين.

---

(١) د. عبد الأمير عبد حسين دكسن ـ الخلافة الأموية، ص١٤٠.

وقد استفحل هذا الأمر طالما أن الدولة الأموية غير مستقرة كلياً، ولها أعداء معارضون يتميزون بالقوة وكثرة مناصريهم.

ولكن الدولة الأموية اتخذت موقفاً حازماً عندما زال الخطر عن سلطانها، وذلك في عهد عبد الملك بن مروان وما بعده من الخلفاء. وحتى إن إسكان القبائل في المدن كان بتقسيم المدينة إلى أرباع أو أحياء على أسس قبلية[١].

ومن معركة صفين نستطيع أن نشخص عناصر جيش أهل الشام في الفترة الأموية. فقد كان جيش معاوية في تلك المعركة مؤلفاً بصورة رئيسة من أهل اليمن، مع أقلية من القيسيين، وعلى العموم، فإن قيادة الجيش كانت في أيدي قريش[٢]. إن المكانة الدينية والسياسية العالية التي تمتعت بها قريش بين القبائل قبل الإسلام، والتي استمرت بعد الإسلام؛ بسبب كونها قبيلة الرسول ﷺ جعلتها تحتل جميع المناصب المهمة تقريباً؛ كقيادة الجيش، والحكم، وكان هذا قد ساعدهم على احتلال موقع فوق تنافس القبائل وخصوماتها. وبرغم ذلك، فقد تجنب الأمويون التنكر لقبائل قيس الذين تربطهم وإياهم رابطة الدم.

فقد ثارت العصبية القبلية بين العناصر اليمانية المتغلبة، وخاصة كلب، وبين العناصر غير اليمانية، وخاصة قيس. فبينما نجد كلباً ترفض العناصر غير اليمنية الذين كانوا سيشاركونهم في مصادر الثروة والسلطة،

---

(١) النويري أحمد بن عبد الوهاب ـ نهاية الأرب في فنون الأدب (نقلا عن عبد الأمير دكسن)، ج١٩، ورقة٤٧.

(٢) المصدر نفسه، ج١٩، ورقة٤٧.

نجد أن قيساً هي الأخرى لا ترضَى بهذا التسلط اليماني وما عليه القبائل اليمانية من رخاء، وقد وقعت بينهما معارك سقط فيها مئات القتلى.

كما ظهر هذا الصراع بوضوح بين هاتين القبيلتين المتنافستين من جهة، وبين الخليفة من جهة ثانية. فقد تبارى الإثنان مع بعضهما البعض لنيل رضاه بتقديم خدماتهم له مقابل المكافآت المادية، والتعيين في وظائف الدولة. لقد اختار الخليفة الاعتماد على الكلبيين غالباً؛ لأنهم كانوا الأقوى، والأكثر عدداً في بلاد الشام؛ مما زاد في قوة ومكانة الكلبيين بسبب رعاية السلطة لهم.

وقد أدى ذلك إلى تبني القيسيين المعارضة الشديدة للسلطة؛ إذ وجد هؤلاء أنفسهم قد جردوا من الوظائف المهمة والنفوذ، وعلى هذه العلاقات تفسر طبيعة العلاقة بين الخلافة الأموية والقبائل[1].

لقد كانت سياسة الأمويين في بلاد الشام تتبع هذا المنهج من أجل أن يركزوا حكمهم في بلاد الشام من جهة، والاستعداد لمواجهة خصومهم من جهة أخرى. لقد كان العامل المادي هو المحرك للحرب النفسية، والفاعل في تحقيق الأمويين لهدفهم.

لقد أدى التناقض في المصالح بين هذين الفريقين القبليين إلى تأييد الفئات السياسية المتنازعة.

ففي فترة الاضطراب السياسي التي أعقبت موت يزيد بن معاوية، كان التأييد الذي قدمه أهل اليمن للأمويين ناتجاً عن المكانة الاقتصادية

(١) خالد محمد الغيث ـ مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري، ص٢١٠.

والسياسية الجيدة التي كانوا يتمتعون بها في ظلهم، حين نجد القيسيين يعطون ولاءهم المطلق لعبدالله بن الزبير.

من الجوانب المهمة في الحرب النفسية لمواجهة خصوم الأمويين هي: إعطاء الولاة صلاحيات واسعة لم تكن موجودة في الخلافة الراشدة، وتزويدهم بالأموال والدعم لغرض القضاء على الثورات والاضطرابات.

فكان الوالي هو الواجهة التي تتلقى سخط الناس، وليس الخليفة؛ لغرض الحفاظ على هيبة الخليفة في الدولة الأموية، ولغرض تحميل مسؤولية ما يحدث للوالي، ولقد ظهر هذا في تولية الحجاج على الحجاز، ومن بعدها على العراق.

استخدم الأمويون الأموال في تفتيت صفوف خصومهم، ولكن ذلك كان يجري من خلال الولاة. وحتى استخدام القوة، فقد كان يجري من قبل الولاة، عدا الجيش الذي أرسله الخليفة لقتال الحسين بن علي، والجيش الذي أرسله لقتال عبدالله بن الزبير.

ومن الأمثلة على ذلك: عندما كتب المختار بن عبيد الثقفي إلى كل من زياد بن عمرو رئيس قبائل الأزد، ومالك بن مسمع رئيس قبائل ربيعة (بكر) يدعوهما إلى تأييده قائلاً: (أوتيكما من الدنيا ما شئتما، وأضمن لكما الجنة إذا توفيتما).

قال زياد: (نحن لا نقاتل بالنسيئة، من عجل لنا بالنقد، قاتلنا معه)[1].

وعندما دفع عبد الملك بن مروان لأهل البصرة أكثر مما دفع لهم

---

(١) الطبري - تاريخ، ج٢، ص٢١٨.

مصعب بن الزبير، تركوا الأخير وانضموا إلى عبد الملك. وقد كانوا قبائل الأزد، وبكر بن وائل، وتميم[1].

القضاء على الثورات والفتن الداخلية:

كثرت الفتن والثورات والاضطرابات، وخاصة بعد وفاة معاوية بن أبي سفيان، ولم تستقر إلا في أواخر حكم عبد الملك بن مروان.

وقد تنوعت أساليب الحرب النفسية وعواملها في تفتيت هذه الثورات والفتن.

وكان أبرز أساليب الحرب النفسية فيها هو: تفتيت الموالين وأتباع هذه الثورات والفتن ببث الفرقة والتناحر بينهم، واستخدام الجانب المادي والأعطيات المالية بشكل كبير، فضلاً عن إسناد المناصب والوظائف، أو الوعود بها، وقد وصلت هذه الأساليب إلى المكر والغدر، ونكث العهود والقتل.

وكان ذلك يجري جنباً إلى جنب مع استخدام الجيوش والاقتتال. وقد وصلت هذه الثورات والفتن إلى مراحل خطرة، فقد تمكن عبدالله بن الزبير من بسط نفوذه على أغلب أقاليم الدولة الأموية، كما أن المختار الثقفي تمكن من هزيمة الجيش الأموي، وقتل قائده في معركة الخازر. وسنوضح ذلك من خلال استعراض بعض هذه الثورات والفتن والاضطرابات، وكيفية نجاح الأمويين في تفتيتها والقضاء عليها، وإعادة التوحد إلى ربوع الدولة الإسلامية الواسعة.

---

(١) د. عبد الأمير عبد حسين دكسن ـ الخلافة الأموية، ص٨٧.

كانت أولى هذه الثورات هي ثورة الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ؛ فقد توجه الحسين وأهل بيته من المدينة في الحجاز إلى الكوفة بعد أن وعده أهل الكوفة بمناصرته، والوقوف إلى جانبه، ولا نريد أن نخوض في تفاصيل تلك الدعوة، والوعد بتأييد حركته.

فبعد وصوله إلى الكوفة جهز الخليفة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان جيشاً من الشام بقيادة زياد بن أبيه، ولكن أهل الكوفة الذين وعدوه سرعان ما انفضوا عنه تاركين الحسين ﷺ مع سبعين رجلاً من أصحابه وأهل بيته يواجهون ابن زياد؛ حيث تمكن الجيش الأموي من قتله ومن معه في موقعة الطف، وإعادة سيطرتهم على الكوفة، وبعد هذا الحدث الذي أصاب العلويين من أهل بيت الرسول ﷺ بدأت ثورات أخرى أهمها: ثورة المختار الثقفي، وثورة عبدالله بن الزبير.

لقد كانت ثورة المختار بن أبي عبيد الثقفي في الكوفة سنة ٦٦ هجرية من الثورات الخطرة على الحكم الأموي.

لقد كان المختار الثقفي يظهر في دعوته الثأر للحسين وأهل بيت رسول الله ﷺ، وقد حاول أن يقنع محمد بن الحنفية أخا الحسين ـ رضي الله عنهما ـ، وأن يمنحه الغطاء أو الستار الذي يقوي دعوته، ولكن ابن الحنفية لم يمنحه الثقة، ولم يصطف إلى جانبه، ولما كان بحاجة كبيرة لهذا الموقف الذي يعطيه الشرعية بادعائه الثأر لآل بيت الرسول ﷺ، عمد إلى تزوير الرسائل بينه وبين محمد بن الحنفية؛ ليظهر للناس في الكوفة أنه وراء دعوته هذه، ويدعمها، وقد التقى مع محمد الحنفية عدة مرات ليقنعه، ولكن دون جدوى، وكاتبه بذلك، فكان رد محمد بن الحنفية

على رسائله سلبياً؛ مما دفعه إلى نقل صورة عكس ذلك لأهل الكوفة[1].

ومع هذا، فإن المختـار بن أبي عبيـد الثقفي استغل اسم محمد بن الحنفية لدعوته.

كان المختار الثقفي قد حاول استمالة علي بن الحسين ﷺ، وقد كتب المختار الثقفي إلى علي بن الحسين معبراً له عن ولائه، ويسأله الموافقة على جمع أهل الكوفة له، وأرسل مع رسالته هذه مبلغاً من المال، ولكن علياً رفض عرض المختار هذا، وأعلن أنه كذاب يحاول استغلال قضية (أهل البيت) لمصالحه الخاصة.

ولما فشل المختار في الحصول على تأييد علي بن الحسين، اتجه إلى عبدالله بن الزبير، وبعد أن أعطاه معلومات كاملة عن الموقف في الكوفة، قال المختار لعبدالله بن الزبير: (ما تنتظر؟ ابسطْ يدك أبايعك، وأعطنا ما يرضينا. . .).

وهكذا فإن بيعة المختار لابن الزبير لم تكن عرضت دون شروط، لقد كان يحاول أن يستغل حاجة ابن الزبير للتأييد؛ ليحصل هو ما يريد.

لقد رفض ابن الزبير مساعدته، وغضب لعدم تحرجه في مثل هذه الأمور الخطيرة بصورة علنية[2]. وبعد مرور سنة عندما اعترف بابن الزبير خليفة علناً في الحجاز، عاود المختار الاتصال مع ابن الزبير، وقد نجح بمبايعته وفق شروط تبين وضوح طموحه السياسي، وكان عبدالله بن الزبير

(١) د. عبد الأمير عبد حسين دكسن ـ الخلافة الأموية، ص٦٣ ـ ٦٤.

(٢) أنساب الأشراف ـ البلاذري، أحمد بن يحيى، ج٥، ص٢١٦.

قد أدرك ذلك؛ فقد قاتل المختار الثقفي إلى جانب ابن الزبير ضد الجيش الأموي الذي أرسله الخليفة الأموي ضد ابن الزبير سنة ٦٤ هجرية. ومرت خمسة أشهر على انسحاب الجيش الأموي من مكة، ولم يحصل المختار على ما كان يريده من ابن الزبير من توليه منصباً، ولكن دون جدوى، فقرر الرجوع إلى الكوفة، وترك ابن الزبير(١).

توسع المختار الثقفي بدعوته، وكسب أنصاراً كثيرين، وازدادت قوته، وقد اعتمد على الموالي بشكل كبير، وقام بمساواتهم بأشراف العرب، وهذا ما أغضب أشراف العرب، واضطرهم إلى اللجوء إلى البصرة التي كان يتولاها مصعب بن الزبير، وكان العداء بين المختار وابن الزبير قد اشتد بعد طرد والي ابن الزبير من الكوفة، وسيطرة المختار الثقفي عليها.

من خلال هذه التناحرات في الكوفة، والتناحر بين ابن الزبير والمختار الثقفي نجد أن الأرض أصبحت خصبة لنشر الفتن بين القبائل، وإبعاد المؤيدين عن المختار الثقفي، بعد أن أصبحت هويته السياسية معروفة بأنها طمع في الجاه والحكم والسلطان.

وقد حدثت مواجهات بين أتباعه وأتباع ابن الزبير في الكوفة. جهز المختار الثقفي جيشاً كبيراً لمواجهة الجيش الأموي الذي أرسله عبد الملك ابن مروان، والتقى الجيشان في الخازر، وتمكن جيش المختار الثقفي من الانتصار على جيش الأمويين في الخازر، وقتل قائده عبدالله بن زياد.

---

(١) الطبري - تاريخ، ج٢، ص٥٣٠ - ٥٣١.

وبعد هذه المعركة زاد موقف المختار قوة، واستشعر ابن الزبير بخطره. وما أردنا أن نبرزه من هذا الكلام عن ثورة المختار الثقفي هو: أن المختار لم يعد عدواً للأمويين فقط، بل أصبح عدواً لابن الزبير أيضاً، وهذا ما جعل الخلافات بينهم تنعكس على ولاءات القبائل بينهم، كما أن الفرصة أصبحت مواتية للأمويين لضرب أحدهما بالآخر، ومن يخسر يكون الأمويون قد تخلصوا منه، أما الكاسب، فسيخرج ضعيفاً. وبذل الأمويون جهودهم في الحرب النفسية بهذا الاتجاه.

جهز عبد الملك بن مروان جيشاً ضد مصعب بن الزبير، وعسكر[1] بطنان حبيب في صيف سنة ٦٩ هجرية.

إلا أنه اضطر للعودة إلى دمشق ليواجه موقفاً أخطر، وهو: ثورة قام بها أحد أقربائه، وهو عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق، والذي ثار من أجل تثبيت حق في الخلافة نصت عليه معاهدة الجابية مع والد عبد الملك ابن مروان بن الحكم، ولكنه نقضه. وقد كان عمرو بن سعيد في الجيش مع عبد الملك، ولكنه انسحب مع جماعته عائداً إلى دمشق بعد أن خاطب الخليفة عبد الملك طالباً منه أن يكون ولياً للعهد، فانسحب لعدم استجابة الخليفة له، عاد إلى دمشق، واستولى عليها، فلحقه عبد الملك، وحاصر دمشق ستة عشر يوماً جرت خلالها مفاوضات ومراسلات بينهما انتهت باستسلام عمرو، ودخول عبد الملك دمشق، وقد كان من شروط استسلامه: أن يخلف عبد الملك بالخلافة، وأن يتولى بيت المال والدواوين خلال خلافة عبد الملك. لكن عبد الملك دعاه إلى قصره، وقتله، وبذلك نقض العهد.

---

(١) الطبري ـ تاريخ، ج٢، ص٧٨٤.

وهذه من أساليب الحرب النفسية التي لجأ إليها الأمويون في مواجهة أعدائهم من المعارضين لحكمهم.

وقد كان هذا القتل عبرة للآخرين؛ لكيلا يتجرأ أحد على منافستهم على السلطة. لقد رمى عبد الملك بن مروان برأس عمرو بعد مقتله إلى الناس مع مبلغ من المال[1]، فانشغل الناس بالمال، وتركوا الرأس.

كما أمر منادياً ينادي، (إن أمير المؤمنين قد قتل صاحبكم بما كان من القضاء السابق، والأمر النافذ، ولكم على أمير المؤمنين عهد الله وميثاقه أن يحمل راجلكم، ويكسو عاريكم، ويغني فقيركم، ويبلغكم إلى أكمل ما يكون من العطاء والرزق، ويبلغكم إلى المئتين في الديوان، فاعترضوا على ديوانكم، واقبلوا أمره، واسكنوا إلى عهده، يسلم لكم دينكم ودنياكم، فصاحوا: نعم نعم، سمعاً وطاعة لأمير المؤمنين)[2].

وبذلك يظهر عاملان أساسيان في الحرب النفسية:

أولهما: يبين استخدام العامل الاقتصادي أو المال في إسكات الناس، وكسب الموالين والأنصار، وتفتيت أنصار وجمع المعارضين لهم.

والجانب الثاني: هو أن الخليفة أو الدولة تتبنى فكرة القدر، وتستعملها في المجال السياسي كوسيلة لإسكات الخصوم والمعارضين للحكم[3].

---

(١) الطبري ـ تاريخ، ج٢، ص٧٩٥.

(٢) المصدر نفسه، ص٧٦١.

(٣) ابن خلدون ـ العبر، ج٣، ص٧٥.

أما بالنسبة إلى أمر المختار الثقفي، وابن الزبير، فقد حاول المختار الاستيلاء على البصرة لعدة أسباب مهمة؛ إذ باستيلائه عليها وما يتبعها ستعم سيطرته على جميع العراق والأقاليم الشرقية، وهكذا يجرد ابن الزبير من مصادر غنية، ويحدده بالحجاز ذلك الإقليم الفقير، كما أن احتلال البصرة يعطي للمختار مؤيدين جدداً؛ مما يزيد قوته العسكرية. إلا أن ازدياد المعارضين له من أشراف العرب وأكثر القبائل العربية؛ بسبب كذب ادعاءاته، وانكشاف نواياه، كان له الأثر في هزيمته في النهاية.

وقد لعب شبث بن ربعي التميمي، ومحمد بن الأشعث الكندي دوراً بارزاً في تحريض مصعب بن الزبير ضد المختار الثقفي[1].

وقد وافق مصعب بن الزبير بعد أن أوقف المهلب بن أبي صفرة قتال الخوارج في الأهواز وفارس، وانضم إليه مع المقاتلين من أهل البصرة، ومن الذين انضموا إلى جيش مصعب بن الزبير ضد المختار الثقفي: عبيدالله بن علي بن أبي طالب؛ مما يثبت أن المختار وأتباعه حركة سياسية ليس لها تأييد ولا علاقة بآل بيت الرسول ﷺ.

وقد تحرك جيش مصعب بن الزبير، والتقى جيش المختار الثقفي في المذار؛ حيث تمكن من هزيمته، وقتل قائده، وتولى فرسان الأشراف مطاردة الموالي، وقتل كل أسير منهم.

كان لهزيمة جيش المختار الثقفي في المذار نتائج خطيرة جداً على المختار وأتباعه؛ فقد انهارت معنوياته برغم كل محاولات الدفاع والقتال

---

(١) ابن قتيبة ـ الإمامة والسياسة، ج٢، ص٢٧ ـ ٢٨.

الذي أداره بعد هذه المعركة؛ فقد فشل حيث استمر جيش ابن الزبير بالتقدم إلى الكوفة، وحاصر المختار في قصر الكوفة الذي كان معه فيه أعداد من الموالي، وقد قتل في هذه المعركة عبيدالله بن علي بن أبي طالب الذي كان يقاتل المختار الذي يدعي أنه من شيعة آل بيت الرسول ﷺ.

وبمقتل المختار بن عبيد الثقفي انتهت ثورته؛ حيث احتل مصعب بن الزبير الكوفة، وعين والياً عليها، فتوسع ابن الزبير في سيطرته؛ حيث أصبحت الحجاز والعراق والأقاليم شرقه تحت سيطرته، واعترف به خليفة في الحجاز. وبمقتل المختار الثقفي أصبح أمام الخليفة الأموي عدو رئيسي واحد، وهو عبدالله بن الزبير.

بعد مقتل المختار أرسل عبدالله بن الزبير أخاه عروة بن الزبير إلى محمد بن الحنفية يأمره بمبايعته، ويهدده بالموت إن هو رفض ذلك، وقد أبلغ عروة رسالة أخيه، ثم قال: (لقد قتل الله الكذاب الذي كنت تدعي نصرته)، فأجاب ابن الحنفية: (. . . والله! ما بعثت المختار داعياً، ولا ناظراً، والمختار كان أشد انقطاعاً منه إلينا، فإن كان كذاباً قربه على كذبه، وإن كان غير ذلك، فهو أعلم به. . .)[1]. إن هذا يظهر بوضوح أن المختار كان قد استغل اسم ابن الحنفية لغاياته الخاصة، ولهذا لم يقر نشاطاته.

القضاء على ثورة عبدالله بن الزبير:

جدد عبد الملك بن مروان حملته ضد مصعب بن الزبير، وزحف

---

(١) د. عبد الأمير عبد حسين دكسن ـ الخلافة الأموية، ص٦٣ ـ ٦٤.

بجيشه مرة أخرى حتى وصل بطنان حبيب. لقد كان مصعب بن الزبير في انتظار جيش الأمويين في باجميرا؛ حيث كان قد عسكر هناك، ولكن الشتاء حال دون أن يلتقيا، فلم تحصل معركة، وعاد الإثنان من حيث أتيا.

استغل عبد الملك بن مروان خروج مصعب بن الزبير من البصرة، فحاول إشعال فتنة في البصرة؛ حيث إنه أخذ يكتب إلى رؤساء القبائل واعداً إياهم بالعطايا السخية إذا أيدوه ضد مصعب بن الزبير، وعندما وجد تجاوباً لدى القبائل، أرسل خالد بن عبدالله بن أُسَيد للسيطرة على البصرة، وانتزاعها من مصعب بن الزبير، فدخل البصرة، واختفى فيها مع قبيلة باهلة ذات الميول الأموية، كما أن قبيلة بكر بن وائل في البصرة ساعدته، وكان رئيسهم من الذين تكاتبوا مع الخليفة عبد الملك بن مروان. وسرعان ما انضم إليهم رئيس قبائل الأزد، إضافة إلى بعض القبائل من ثقيف، وتميم، وعبد القيس[1].

إن السبب في هذا التأييد الذي حصل عليه خالد بن عبدالله بن أسيد يرجع إلى العطايا السخية لأتباعهم هناك.

بذلك نجح الخليفة عبد الملك في تفتيت صفوف مصعب بن الزبير، وإثارة الفتن، واستقطاب الكثير من مؤيديه.

وهذا الأسلوب في الحرب النفسية اتبعه الأمويون في مواجهة الثورات والاضطرابات التي واجهتهم، وبذلك أصبح الولاء على قدر العطاء.

من جانب آخر، فقد كان الصراع مع المختار الثقفي، ونهايته،

---

(١) الطبري ـ تاريخ، ج٢، ص٧٩٩.

ومصير أتباعه درساً للقبائل يؤثر على ثقتهم بمصعب بن الزبير ومستقبله؛ مما يجعلهم يتصرفون بهذه الصيغة.

التقى خالد بن عبدالله وأتباعه مع أتباع ابن الزبير الذين جهزهم الوالي على البصرة في مكان في المربد يسمى: (الجفرة)، واستمر القتال بينهما أربعين يوماً دون أن تحسم المعركة، فجرى بينهما تفاوض؛ حيث منح خالد بن عبدالله وأتباعه الأمان، وعادوا إلى دمشق[1].

جاء الخليفة بجيش كبير من أهل الشام للمرة الثالثة، وهو آخر لقاء مع مصعب بن الزبير، عسكر عبد الملك بن مروان بجيشه في مسكن، وعندما سمع مصعب بن الزبير بذلك، ترك الكوفة متوجهاً نحو معسكره في باجميرا.

دارت معركة بين الطرفين في دير الجاثليق بين مسكن وباجميرا[2]. ولم يترك الخليفة الوقت الذي سبق المعركة يمر دون الاستفادة منه، فكتب إلى رؤساء القبائل في جيش مصعب، وكان الكثير منهم الساخطون على مصعب بن الزبير قد كتبوا إلى عبد الملك بن مروان عارضين عليه تأييدهم له مقابل تقليدهم مواقع في الدولة الأموية. بذلك كان تفتيت أتباع مصعب ابن الزبير جارياً بشكل كبير، وبصورة مستمرة.

لقد انعكست تصرفات مصعب بن الزبير في الكوفة، وكذلك مع أتباعه في البصرة، فضلاً عن استمرار قسم من أتباع المختار الثقفي في الكوفة بالعمل سراً ضده على تقليل التأييد له، وتناقص مؤيديه. كما انعكست

---

(١) الطبري ـ تاريخ، ج٢، ص٨٠١.

(٢) عبد الأمير عبد حسين دكسن ـ الخلافة الأموية، ص٢٠٩.

على سير المعركة ونتائجها، فقد قتل مصعب بن الزبير في المعركة، وكان قاتله هو زائدة بن قدامة الثقفي أحد أقرباء المختار الثقفي ومن مؤيديه، حيث هتف قائلاً وهو يضربه بالسيف: (يا لثارات المختار!)[1].

وبمقتل مصعب بن الزبير انتهى القسم الأكبر من ثورة عبدالله بن الزبير، وهنا يظهر بوضوح أن النجاحات التي حققها الأمويون في مواجهة معارضيهم كانت بفعل الحرب النفسية التي استخدموها بمواجهتهم أكثر من الفعاليات القتالية.

من جهة أخرى فإن الأمويين كانوا يجزلون العطاء لجنودهم أكثر من معارضيهم؛ مما كان يمكنهم من تحشيد قوات كبيرة لقمع هذه الثورات.

بعد انتصار الخليفة عبد الملك بن مروان على مصعب بن الزبير في دير الجاثليق، دخل الكوفة، فبايعه أهلها، وعين عماله وموظفيه فيها.

أرسل الخليفة الحجاج بن يوسف الثقفي على رأس ألفين من الفرسان من أهل الشام ضد عبدالله بن الزبير في مكة.

كما أرسل طارق بن عمرو على رأس جيش من أهل الشام، وأمره أن يعسكر بين أبلة ووادي القرى؛ لكي يمنع عبدالله بن الزبير من الانتشار، ويحمي بلاد الشام من خطره[2].

هذا وقد انضم هذا الجيش إلى جيش الحجاج بن يوسف الثقفي الذي أصبح هو القائد للجيشين، وقد أمره عبد الملك بن مروان بالتعسكر في

---

(١) اليعقوبي ـ تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٣٣٢.

(٢) ابن كثير ـ البداية والنهاية، ج٩، ص٤٨.

الطائف. بعد تعسكره في الطائف أخذ الحجاج يشن الغارات على جيوش عبدالله بن الزبير، والتي كان هو المنتصر بهذه الغارات.

من خلال ما تقدم يمكن أن نؤشر عوامل الحرب النفسية وجوانبها:

أن شن الغارات المتتالية على جيش عبدالله بن الزبير يجعله في حالة نفير واستعداد دائم، خاصة عند طول المدة، والتي عمل بها الحجاج؛ حيث إن هذا الاستنفار والاستعداد الدائمين ينهكان جيش عبدالله بن الزبير، ويبعدان جنده عن أعمالهم ومصالحهم الخاصة، وإن قدرات عبدالله ابن الزبير المالية والاقتصادية أصبحت محدودة، فلا يستطيع أن يقدم لهم العطاء الكافي لإدامة حالة عوائلهم المعيشية، وإعالة جيش كبير في حالة مناوشات لفترة طويلة.

كما أن الغارات المستمرة هي هجمات جس يمكن للحجاج أن يتعرف من خلالها على قدرات جيش خصمه القتالية.

الجانب النفسي المهم الثاني هو: أن إطالة بقائه في الطائف تعطيه الوقت الكافي للتغلغل في صفوف أتباع عبدالله بن الزبير؛ لغرض تفتيتهم كما سبق أن اتبعوه في تفتيت أتباعه في البصرة والكوفة من خلال إعطاء الأموال، وخلق الفتنة، والتغلغل في صفوف أتباع ابن الزبير، وهذا يتطلب وقتاً كافياً.

إضافة إلى ذلك، فإن الحجاج يحتاج للوقت لمعرفة طبيعة التحالفات والولاءات في المدينة ومكة؛ ليتمكن من التغلغل بين صفوفهم، وعزل غير المؤيدين والساخطين على عبدالله بن الزبير عن الموالين وأتباعه، وهذا يحتاج إلى عمل استخباري تقوم به العيون داخل المدينة ومكة، ويستغرق وقتاً.

إن الجانب النفسي المهم الآخر هو: أن عبد الملك بن مروان عندما وجه الحجاج بالنزول في الطائف كان لا يريد استفزاز أهل الحرمين الشريفين إضافة إلى أن الخليفة كان متردداً في القيام بأعمال قتالية في الحرمين، وخاصة مكة المكرمة؛ حيث إن ذلك ينعكس عليه سلباً في نظر أهل الحجاز، ويؤثر كثيراً على قناعتهم أو رضاهم على حكم بني أمية، فهو إذن يتحسس من ذلك.

لم يكن إرسال عبد الملك بن مروان لهذا الجيش هي المرة الأولى، فقد سبق أن أرسل جيشاً قوامه ستة آلاف رجل بقيادة عروة بن أنيف، وأمره بعدم دخول المدينة، وأن يجعل معسكره في العرضة، وقد بقي هذا الجيش مدة شهر، وهرب والي عبدالله بن الزبير من المدينة، ولم تحدث معركة، وعاد الجيش إلى الشام، وذلك بناء على أوامر الخليفة. ثم أرسل جيشاً ثانية قوامه أربعة آلاف رجل بقيادة عبد الواحد بن الحكم بن العاص[1].

ومن المرجح أيضا أن يكون إرسال هذين الجيشين للمرابطة في الحجاز لإبعاد خطر عبدالله بن الزبير، في الوقت الذي كانت فيه الدولة الأموية تعاني من مخاطر واضطرابات عدة، وهي في حالة ضعف.

جرت مفاوضات بين عبدالله بن الزبير والحجاج، ولكنها فشلت، وعندما وجد الحجاج أن الغارات التي يشنها على جيش ابن الزبير لا تؤدي إلى نصر حاسم، كتب إلى عبد الملك بن مروان يطلب منه المدد، ويقترح عليه مهاجمة عبدالله بن الزبير في مكة، فوافق له على الطلبين، فقام الحجاج

(١) الذهبي ـ أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان ـ تاريخ الإسلام، ج٣، ص١١٣.

بمحاصرة عبدالله بن الزبير وأتباعه في مكة المكرمة، وضرب الكعبة.

وهكذا انتهك الحجاج وعبد الملك بن مروان حرمة الحرم المقدس بيت الله.

وقد هبت عاصفة مفاجئة أثناء ضرب الكعبة، وفسرت من قبل جيش الحجاج أنها علامة على غضب الله[1] لبيته، فكفوا عن القتال، وحاول الحجاج إقناعهم بأنها مجرد ظاهرة طبيعية.

استمر الحصار مدة ستة أشهر عانى عبدالله بن الزبير وجيشه كثيراً من أثره بسبب قلة المواد الغذائية والتجهيزات، في الوقت الذي كانت ترد إلى جيش الحجاج المواد الغذائية من الشام، وقد أدى ذلك إلى تفكك جيش عبدالله بن الزبير، وأخذ قسم منهم ينضم إلى الحجاج.

وقد قيل إن عشرة آلاف من أتباع عبدالله بن الزبير انضموا إلى الحجاج[2]. خاصة وأن الحجاج كان قد أمن جميع من ينضم إليه من أتباع ابن الزبير.

خرج عبدالله بن الزبير إلى ساحة القتال بقوات مفككة، معنوياتها ضعيفة، فقتل ابن الزبير في المعركة بعد أن أبدى شجاعة نادرة، وكان ذلك سنة ٧٢ هجرية[3].

وهكذا فقد أثر سلاح الحرب النفسية بأساليبه في تفكيك قوات أقوى خصوم الأمويين، وكان القتال ضده سهلاً، وبموت عبدالله بن الزبير وخضوع

---

(١) الطبري ـ تاريخ، ج٢، ص٨٤٤.

(٢) الطبري ـ تاريخ، ج٢، ص٨٤٥.

(٣) الطبري ـ تاريخ، ج٢، ص٨٤٩.

الحجاز لعبد الملك بن مروان توحد العالم الإسلامي من جديد، وأصبح عبد الملك الخليفة الشرعي الوحيد للمسلمين، ولهذا السبب أطلق على هذا العام: (عام الجماعة)[1].

بعدما تعرفنا ـ من خلال التطرق إلى ثلاث من الثورات الكبيرة التي حدثت في العهد الأموي ـ على جوانب الحرب النفسية نبين أن هناك العديد من الثورات الأخرى، ولكنها أقل خطراً، منها: ثورة عبدالله بن الجارود ضد الحجاج بن يوسف الثقفي، وثورة الزنج في البصرة أيضاً، وخروج قبائل الأزد في عمان على طاعة الولاة، وثورة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث. . .

أما بالنسبة إلى حركة الخوارج، فقد توزعت بين العراق والأقاليم الشرقية وشبه الجزيرة العربية، وكان أهمها وأخطرها الأزارقة.

فلقد جهزت الجيوش، واستمرت ملاحقتهم، وحدثت العديد من المعارك، وخاصة في الأقاليم الشرقية والعراق، حتى إنها كانت أشبه ما تكون بالحرب الأهلية، وقد تولى الولاة بعد إمدادهم من الخلافة محاربة ومطاردة هذه الحركات. وكان الحجاج بن يوسف الثقفي من أكثر الذين تصدوا للخوارج، ولم تظهر جوانب في الحرب النفسية أكثر مما تطرقنا إليه في مواجهة الثورات آنفة الذكر.

الحرب النفسية في الفتوحات الإسلامية في العصر الأموي:

إن دعوة الناس للدخول في دين الله تعالى من مقاصد الإسلام

---

(١) د. عبد الأمير عبد حسين دكسن الخلافة الأموية، ص٢١٤.

الكبرى، ومن الوسائل التي استخدمت في عهد الراشدين: حركة الفتوحات المباركة.

وتعد الفتنة التي أدت إلى استشهاد عثمان بن عفان ﷺ أكبر معوق أصاب الدعوة الإسلامية بعد حركة الردة أيام أبي بكر الصديق ﷺ؛ حيث أدى استشهاد عثمان إلى توقف الجهاد، واتجاه سيوف المسلمين إلى بعضهم في فتنة كادت تعصف بالأمة الإسلامية لولا أن تداركتها رحمة الله - سبحانه وتعالى - بصلح الحسن بن علي ومعاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهما -.

وقد امتلأت المصادر بالنصوص التي تبين أثر الفتنة في انحسار حركة الجهاد[1]. وفيما يلي بعضها:

١ - عن الحسن بن علي ﷺ: أنه قال: قد رأيت أن أعمد إلى المدينة، فأنزلها، وأخلي بين معاوية وبين هذا الحديث؛ فقد طالت الفتنة، وسقطت فيها الدماء، وقطعت فيها الأرحام، وقطعت السبل، وعطلت الفروج - يعني: الثغور -[2].

٢ - ما أخرجه أبو زرعة الدمشقي بإسناده، قال: لما قتل عثمان، واختلف الناس، لم تكن للناس غازية ولا صائفة حتى اجتمعت الأمة على معاوية.

٣ - قول أبي بكر المالكي: فوقعت الفتنة... واستشهد عثمان ﷺ، وولي بعده علي ﷺ، وبقيت آخر بقية على حالها إلى ولاية معاوية ﷺ.

فمن نتائج الصلح: عودة حركة الفتوحات إلى ما كانت عليه.

---

(١) ناصر العقل - دراسات في الأهواء والفرق والبدع، ص٤٩.

(٢) عبد الرحمن السعدي - وجوب التعاون بين المسلمين، ص٥.

قبل التطرق إلى الفتوحات الإسلامية التي عادت بعد استقرار الحكم الأموي لابد لنا من التعرف على تكوين وطبيعة الجيش في العصر الأموي؛ حيث إن الظروف قد تغيرت عند قيام الدولة الأموية عن الظروف في عهد الخلفاء الراشدين.

اعتنى الأمويون بتنظيم ديوان الجند وأُعطياتهم، وإقامة القواعد العسكرية لهم، والتي هي أماكن لإسكانهم وتموينهم وإمدادهم، وقد اشتهرت هذه المدن في التاريخ العربي الإسلامي؛ مثل: الكوفة، والبصرة، وواسط في جبهة العراق الشرقية، والفسطاط، والقيروان في جبهة الغرب الإفريقية.

وقد انطلقت كافة الفتوحات لبلاد المشرق وبلاد المغرب من هذه القواعد، وسنتطرق إليها عند شرح كل جبهة.

كان الجيش يتألف من الجند الذين تدفع لهم الأعطيات، والمسجلين في ديوان الجند، إضافة إلى المتطوعة الذين يلتحقون بحملات الفتوح للجهاد في سبيل الله طمعاً بثوابه.

لقد كانت تدفع للجند نسبة من الغنائم إضافة إلى أعطياتهم، اشترك الجند في الحملات والفتوح إجبارياً، وعندما أخذ قسم من الجند بالتهرب أو التقاعس، وخاصة في قتال الخوارج، أجبرهم الوالي الحجاج بن يوسف الثقفي على الالتحاق في الحملات، ومن يتخلف منهم يتعرض إلى عقوبات شديدة تصل إلى القتل.

فعندما تولى الحجاج بن يوسف الثقفي ولاية الكوفة، خطب في الناس قائلاً: إن من وجد في الكوفة من جند المهلب بعد ثلاثة أيام ضربت

عنقه، ثم دعا عرفاء الجند، وطلب منهم إلحاق الجند بالمهلب بن أبي صفرة، وهددهم بضرب أعناقهم إن تباطؤوا في تنفيذ الأمر[1].

وقد نفذ الحجاج وعيده بإعدام المخالفين عندما ضرب عنق أحد زعماء القبائل، ويدعى عُمير بن ضابىء[2].

كان الجيش الإسلامي يتألف من العرب، والبربر في شمال إفريقيا، والموالي من الفرس والترك وغيرهم؛ نظراً لسعة وتباعد الجبهات، فقد أوكلت إلى الولاة في القواعد الرئيسة للفتوحات مهمة توجيه القادة، وتجهيز الجيوش وإدامتها، وإرسال المدد لها، لذلك كانوا هم الوسيط بين الخليفة في الشام وبين القادة؛ كما هو في جبهة بلاد الشرق وقاعدتها العراق، جبهة بلاد الغرب وقاعدتها مصر.

جبهة سجستان وخراسان وما وراء النهر:

تعد سجستان وخراسان من أوائل البلاد التي انتفضت على المسلمين بعد استشهاد عثمان ﷺ، وطلب الخليفة معاوية بن أبي سفيان ﷺ من عبدالله بن عامر الذي فتحها في عهد عثمان ﷺ إعادة فتحها[3].

كانت البصرة والكوفة أهم قاعدتين صدرت عنهما كل العمليات الحربية بعد استقرار المسلمين بهما، وأصبحت كل منهما مركزاً لاستقطاب

---

(١) د. خالد جاسم الجنابي ـ تنظيمات الجيش العربي الإسلامي في العصر الأموي ص٦٦.

(٢) الطبري ـ تاريخ، ج٦، ص٢٠٧.

(٣) د. علي محمد محمد الصلابي ـ تاريخ الخلفاء الراشدين ـ الحسن بن علي، ص٣٨٠ ـ ٣٨١.

القبائل العربية التي هاجرت لغرض الاشتراك في حروب التحرير.

وتحقيقاً للأهداف العسكرية من وجود هاتين القاعدتين العسكريتين، قام الوالي الأموي زياد بن أبيه في خلافة معاوية بتنظيم سجلات أهل العطاء (المقاتلة) في كل من البصرة والكوفة، فقسم القبائل العربية في البصرة إلى خمسة أقسام سميت بالأخماس، ويضم كل خمس عدداً من القبائل المتقاربة النسب، وهذه القبائل هي: تميم، وبكر بن وائل، وأهل العالية، والأزد، وعبد القيس.

أما الكوفة، فقسمها الوالي زياد بن أبيه إلى أرباع، وكان الخليفة عمر بن الخطاب قد قسمها إلى أسباع. وقد حاول زياد أن يجمع في كل ربع من أرباع الكوفة قبائل مختلفة النسب، وحاول أيضاً أن يقلل من نفوذ رؤساء القبائل على أفرادها، فلم يعتمد على رؤساء القبائل في هذا التنظيم الجديد، بل عين على كل ربع رجلاً من الموالين للدولة الأموية[1].

أما القاعدتان الأخريان في هذه الجبهة، فهما: خراسان، وواسط، فتعد خراسان قاعدة متقدمة للقوات العربية الإسلامية في المشرق، فقد أراد الأمويون أن يجعلوا منها مركزاً لانطلاق الفتوح إلى المناطق المتاخمة لها.

ففي سنة ٥١ هجرية نقل زياد بن أبيه خمسين ألفاً من المقاتلة العرب مع عيالاتهم من البصرة والكوفة، وأسكنهم في خراسان، فأصبحت خراسان دار هجرة أخرى للعرب، وبما أنها تابعة من الناحية الإدارية

---

(١) د. خالد جاسم الجنابي ـ تنظيمات الجيش العربي الإسلامي في العصر الأموي، ص٢٧ ـ ٢٨.

للبصرة، فقد قسمت أخماساً أيضاً شملت خمسة قبائل عربية هي: بكر بن وائل، وتميم، وأهل العالية، والأزد، وعبد القيس. كما ضمت خراسان أيضاً قبائل من أهل الشام ساهمت في الفتوحات[1].

قام الحجاج بن يوسف الثقفي في ولايته على العراق ببناء قاعدة عسكرية مهمة أخرى هي: واسط، وذلك سنة ٨١ هجرية.

ويمكننا أن نعد مدينة واسط التي بناها الحجاج تعبر عن رغبة الأمويين في الإبقاء على الطابع العربي للأمصار الإسلامية؛ فقد جعل منها مركزاً لإدارة العراق؛ لأنها تتوسط البصرة والكوفة والأحواز، ولإدارة المشرق الإسلامي كله، وقاعدة للجيوش الإسلامية التي ساهمت بالفتوحات التي امتدت إلى بلاد السند والصين.

وقد نقل إليها المقاتلة من جند الشام الذين كان يعتمد عليهم في قمع الثورات والفتن، وليعزلهم عن جند العراق الذين كانوا في تمرد دائم ضد الحكم الأموي[2]. وقد حرص الحجاج على إبقاء السكن في واسط مقتصراً على العرب وحدهم.

ولغرض الوقوف على عوامل الحرب النفسية في الفتوحات في هذه الجبهة نستعرض أهم فتوحات القادة المسلمين فيها:

فتوحات قتيبة بن مسلم الباهلي:

بعد انهيار إمبراطورية فارس، وزوال ملكها وهيمنتها وقوتها،

---

(١) صالح أحمد العلي ـ استيطان العرب في خراسان ـ مجلة كلية الآداب والعلوم (٣/ ١٩٥٨) بغداد.

(٢) ياقوت الحمودي ـ معجم البلدان، ج٤، ص٢٥٠.

أصبحت المدن والأقاليم مفتوحة أمام زحف الجيش الإسلامي.

وقد تقدمت الجيوش الإسلامية خلال فترة حكم الخلفاء الراشدين، وفتحت خراسان وما جاورها من المدن والقلاع في بلاد فارس، وقد استكملت هذه الفتوح في العصر الأموي.

إن الدافع في تلك الفتوحات الإسلامية هو نفسه في الفتوحات في العصر الأموي، وهي بواعث القتال في الإسلام لنشر الدين الإسلامي بين الأمم، وتحرير المستضعفين، ونشر العدل والمساواة بين الناس.

لقد كانت عوامل الحرب النفسية ووسائلها مشابهة لما جرى في الفتوحات السابقة، إلا أننا يمكن أن نميز عدة عوامل كانت فاعلة في تمكين المسلمين من هذا الفتح العظيم؛ فقد كانت الجيوش المعادية ليست بالحجم والقوة التي يتمتع بها جيش المسلمين، لذلك فإن الخوف والرعب هو العامل المسيطر على نفسية أعداء المسلمين، وعدم الثقة بإمكانية صدهم، أو إيقاف زحفهم، لذلك فإن القبول بالصلح بدون قتال أو أحياناً عندما يشعر العدو بضعفه، وعدم إمكانية النصر، فإنه يوقف القتال، ويطلب الصلح على دفع الجزية.

وقد حدثت معارك كبيرة في هذه الفتوحات ازدادت قناعة العدو فيها بعدم إمكانيته في المجابهة. إذن العامل النفسي الأول هو القوة.

أما العامل النفسي الثاني، فهو: انتشار الإسلام في المدن والقلاع والولايات المفتوحة شجع بقية المدن على قبول الإسلام، والدخول في هذا الدين، سواء بإيمان، أو لغرض التخلص من دفع الجزية والحرب.

وقد كان لسماحة الدين الإسلامي، وكونه أفضل من جور وظلم

حكامهم، الأثرُ الكبير في دخول الكثير من الناس في المدن والولايات في الدين الإسلامي.

إذن العامل النفسي المهم هنا هو: قبول الإسلام من قبل الولايات والمدن الأخرى غير المفتوحة.

أما العامل النفسي الآخر الذي كان سبباً في تقدم الفتوحات، فهو الجانب المادي أو الاقتصادي، فإن عدم مقاومة العدو للمسلمين هو بسبب خوفهم على أموالهم وممتلكاتهم من الاستيلاء عليها وأخذها غنائم إن هم حاربوا المسلمين، خاصة وأن الجزية التي يفرضها المسلمون كانت بسيطة وغير عالية إذا هم لم يدخلوا في الدين الجديد.

فلو أخذنا هذه العوامل النفسية مجتمعة، لفهمنا سبب ميل أكثر هذه المدن والبلدان إلى الصلح والاستسلام.

من جانب آخر: فقد عمل الجيش الإسلامي في فتوحاته على تكريس وتعميق هذه العوامل النفسية من خلال بناء المساجد والجوامع في هذه المدن، وقيام المسلمين بشرح تعاليم الدين الإسلامي، وتفقيههم به؛ مما يزيد من عدد المسلمين، في هذه البلدان، وكان هذا العامل هو المهدئ لأهل هذه البلدان من القيام بالثورات أو المقاومة.

أما العامل الثاني الذي عمل المسلمون على تكريسه في نفوسهم، فهو القوة؛ فقد نقض العدو في عدة أماكن الصلحَ، وقاموا بثورات عندما ضعف المسلمون في هذه البلدان، وعند توقف الفتوحات؛ كما تطرقنا سابقاً. فقام الجيش الإسلامي بإعادة فتح هذه الأماكن، وإعادة الجزية بالقوة، لذلك فإن استمرار شعورهم بقوة المسلمين هو استمرار خضوعهم.

وهكذا، وبتعمق الإسلام، وزيادة الداخلين فيه زالت هذه المعضلة، واستقرت هذه البلدان، وانضوت تحت راية الإسلام راية (لا إله إلا الله محمد رسول الله). حتى إن الكثير منهم حسن إسلامهم، دخلوا في الجيش الإسلامي، وشاركوا في بقية الفتوحات، حيث أصبح الجيش الإسلامي متكوناً من العرب والموالي، وليس العرب وحدهم.

تولى قتيبة بن مسلم الباهلي ولاية خراسان سنة ٨٦ هجرية، وكان يتحمس شوقاً للجهاد في سبيل الله.

وقد عمل على توطيد العدل، وإعادة النظام والأمن إلى خراسان حتى يطمئن الناس على مستقبلهم ومصيرهم[١].

أخذ يجمع المعلومات عن بلاد ما وراء النهر، ويعد الخطط الحربية لفتح تلك البلاد، وأرسل إلى أمراء المناطق التي أسلمت في شمال أفغانستان للاستعداد لمساعدة جيوش المسلمين، وسار سنة ٨٦ هجرية من مرو باتجاه الشرق حتى وصل مدينة طالقان، وفي هذه المدينة وصل جيش بلتح لمساعدته في عبور النهر، وقد أكمل عبور النهر، وهو نهر جيحون، فتلقاه ملك الصاغنيان الذي انضم إلى جيشه انتقاماً من ملك شومان عدوه، فاضطر ملوك آخرون وشومان إلى قبول الصلح بعد أن وضع قتيبة شروط الصلح.

وقام أخو قتيبة بقيادة قسم من الجيش، وفتح مدينة فرغانة؛ كما فتح مدينتي كاشان، ووارست من مملكة فرغانة[٢]. وقد عاد قتيبة بن مسلم إلى

---

(١) زهير صادق رضا الخالدي ـ أبطال من التاريخ العربي الإسلامي، ص١٦٩.

(٢) السيد أحمد بن زيني دحلان مفتي مكة ـ الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية، ص٢٠٧.

مرو؛ حيث إن الحركات كانت تجري صيفاً؛ لأن الشتاء في أواسط آسيا شديد البرودة[1].

بعد انتهاء الشتاء القاسي عاد قتيبة بن مسلم الباهلي لفتح مدينة بيكند، وهي من أهم المدن التجارية بين الصين وخراسان، فضلاً عن أنها منطقة زراعية تقع في سهل بخارى الوفير المياه، وعلى بعد أربعين كيلو متراً إلى الجنوب الغربي من بخارى. كانت المدينة محاطة بأسوار ضخمة، وفيها حامية قوية استعدت للحصار.

وقد وصلت لهم نجدات أخرى من حلفائهم الأتراك والمدن الأخرى. حاصر جيش قتيبة المدينة، وصمدت المدينة، وحاول أهل بخارى إرغامه على الانسحاب، واستخدام الحرب النفسية ببث الإشاعات التي مفادها أن الحجاج بن يوسف توفي، وأن قتيبة بن مسلم عزل من الولاية، وعُين بدله والٍ جديد، ولكن قتيبة لم يتأثر بذلك، وصمد في حصارهم، فاشترك الجيشان في معركة قوية انتهت بهزيمة الترك هزيمة شنعاء، وطلبت مدينة بيكند الصلح، فوافق قتيبة على ذلك، وعين عليها حاكماً عربياً هو ورقة بن نصر، وعاد إلى مدينة مرو، وما إن ابتعد قتيبة بن مسلم عن المدينة مسافة خمسة فراسخ (٣٠ كم) حتى تمردت المدينة، ونقضت الصلح، وقتلت ورقة بن نصر.

فرجع إليها غاضباً، فحاصرها ثانية، وطلبت الصلح، إلا أنه رفض ذلك، فاقتحمها، وأباد حاميتها كلها[2]. وبعد احتلال مدينة بيكند عادوا

---

(١) زهير صادق رضا الخالدي ـ أبطال من التاريخ العربي الإسلامي، ص١٧٠.

(٢) السيد أحمد بن زيني دحلان مفتي مكة ـ الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات =

راجعين إلى مدينة مرو ليقضوا الشتاء فيها.

وعندما انتهى الشتاء تقدم قتيبة على رأس جيشه من مرو، وعبر نهر جيحون سنة ٨٨ هجرية، وفتح مدن: نومشكت، وكرمينية إلى الشرق من بخارى، ثم[1] اتجه إلى مدينة رامتنة الواقعة شمال مدينة بخارى، فطلبت الصلح، واستسلمت بدون قتال[2].

كان أمير الصغد في بخارى قد طلب النجدة من حكام المدن الشرقية من الأتراك والفرغانيين وغيرهم، فجاء له جيش كبير يتفوق على جيش قتيبة بن مسلم عدداً وعدة، فاصطدم بمؤخرة جيش قتيبة التي يقودها أخوه عبد الرحمن بن مسلم.

وعندما بلغ قتيبة بذلك، أوقف زحف جيشه، ورتبه وعبأه تعبئة تلائم المعركة، وقاد المعركة، وكانت معركة طاحنة، فتراجعت قطعات العدو مذعورة، وهربت نحو الشرق، وبذلك سيطر المسلمون على هذه الربوع[3].

تسلم قتيبة بن مسلم الباهلي كتاباً من الحجاج والي العراق يطلب فيه التقدم نحو وردان الواقعة شمال بخارى، فتقدم قتيبة بجيشه نحو وردان، إلا أن الإمدادات التي وصلت إلى حاكم بخارى من حلفائه قد تجمعت في خرقانة السفلى لصده، وبعد قتال شديد دام يومين وليلتين تمكن الجيش

= النبوية، ص٢٠٨.

(١) المصدر نفسه، ص٢٠٩.

(٢) المصدر نفسه، ص٢١٠.

(٣) زهير صادق رضا الخالدي ـ أبطال من التاريخ العربي الإسلامي، ص١٧٢.

الإسلامي من دحرهم.

إلا أنه لم يتمكن من القضاء على وردان خداه (ملك بخارى الذي تحصن في مدينة وردان، ورجع الجيش الإسلامي منسحباً إلى مرو لقضاء فترة الشتاء، وإعادة تنظيم صفوفه؛ لكثرة الخسائر والإنهاك الذي أصابه.

لما سمع الحجاج بعودة جيش قتيبة دون أن يحتل وردان ويحقق هدفه، غضب، وأرسل كتاباً إلى قتيبة الباهلي يلومه، وينصحه بالحذر من التطويق، وأمره أن يسرع نحو هدفه بخط مستقيم، وتجنب عطفات الطريق[1].

فسار قتيبة بجيشه سنة ٩٠ هجرية، واستطاع أن يطوق بخارى ووردان، إلا أن جموع الصغد وحلفائهم قد شجعت حامية بخارى على الخروج من الطوق الذي ضربه الجيش الإسلامي حول المدينة، فدار أعنف قتال، وقاتل المسلمون بضراوة، وانتهت المعركة بدحر جيوش الترك، وانتصار المسلمين، وقد طلب الملك الصلح لمدينة بخارى، فوافق قتيبة، إلا أنه أصر على دخولها لكي يصلي فيها ركعتين، فأذنوا له.

وكان قتيبة قد أعد كميناً لكي يهجم على الباب فور فتحها له. فلما فتحوا الباب، هاجمها الكمين، وقتلوا حرس الباب، فدخل الجيش الإسلامي المدينة، وبذلك احتل المدينة عنوة، وحصل فيها المسلمون على غنائم كثيرة.

وبعد فتح بخارى عاد إلى مرو لقضاء فصل الشتاء. وفي الطريق

---

(١) زهير صادق رضا الخالدي ـ أبطال من التاريخ العربي الإسلامي، ص١٧٤.

استأذن ملك بادغيس في العودة إلى طخارستان، فأذن له قتيبة، ولكن نيزك نقض الصلح عند وصوله إلى بلاده، وتمرد على سلطة المسلمين، فأرسل قتيبة أخاه عبد الرحمن بن مسلم في جيش قوامه ١٢ ألف مقاتل لإعادة فتح تلك البلاد، ثم تبعه قتيبة بعد انحسار الشتاء، وقام بفتح البروقان، والجوزان، والطالقان، وظل عبد الرحمن بجيشه يطارد النيزك حتى تحصن في الكرز، واستطاع قتيبة إخراجه بالحيلة، وقتله[1].

من خلال استعراض المعارك التي خاضها قتيبة بن مسلم في فتح بلاد ما وراء النهر، نلاحظ أن الملوك في هذه البلدان في البداية كانوا يدعم بعضهم بعضاً بالمدد، ولكن بعد إلحاق هزائم كبيرة بهم، أخذوا لا يسند بعضهم بعضاً، وذلك لشعورهم أنهم سيتوجه إليهم الفتح الإسلامي واحداً بعد الآخر.

لذلك أخذ كل منهم لا يضحي بقواته، ويحتفظ بها لولايته، وهذا عامل نفسي مهم يؤشر حالة اليأس عند العدو بعدم إمكانية تحقيق نصر على المسلمين، فأخذت هذه الولايات تفتح صلحاً.

فقد سار قتيبة بن مسلم بجيشه سنة ٩٣ هجرية إلى خوارزم، ففتحها صلحاً، ومما يثبت ما ذكرته أعلاه: أن ملك خوارزم استشار أعوانه، فأشاروا إليه بالقتال، ولكن خوارزم شاه قال لهم: (لكني لا أرى ذلك؛ لأنه قد عجز عنه من هو أقوى منا، وأشد شوكة، ولكني أصرفه بشيء أوديه إليه، فأجابوه إلى ذلك)[2].

---

(١) السيد أحمد بن زيني دحلان مفتي مكة ـ الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية، ص٢١٢ ـ ٢١٣.

(٢) زهير صادق رضا الخالدي ـ أبطال من التاريخ العربي الإسلامي، ص١٧٥.

قرر قتيبة بن مسلم الباهلي فتح سمرقند. كانت سمرقند من أقوى المدن الحصينة في بلاد ما وراء النهر، وكان ملكها غورك قد استولى على الحكم بعد مقتل ملكها تارخون الذي سبق أن قبل الصلح مع المسلمين.

كان الوضع السياسي في سمرقند على درجة شديدة من الاضطراب، فاستغل قتيبة هذه الظروف، واغتنم الفرصة للاستيلاء عليها، فجمع قوة كبيرة من الخيالة والرماة، وجعل قيادتها إلى أخيه عبد الرحمن بن مسلم، وبعث بالأحمال والأثقال معه، وطلب منه أن يسير طوال النهار والليل الذي يليه، وفي صباح اليوم التالي عليه أن يرسل الأحمال والأثقال إلى مرو، ثم يستدير نحو الشرق بجيشه، والتقدم نحو سمرقند.

وبعد ثلاثة أيام سار قتيبة خلف عبد الرحمن بجيشه الكبير الذي ضم قوات من بخارى وخوارزم.

وقبل الحركة ألقى قتيبة بن مسلم خطبة في جيشه قائلاً: إن بلاد الصُّغْد شاغرة، وإنهم نقضوا العهد، ونكلوا بالحامية العربية، وإنه عازم على فتح (سمرقند).

وقد سبقه عبد الرحمن بن مسلم بالوصول إلى المدينة ومحاصرتها، وتحصنت الحامية خلف الأسوار، ولما جاء قتيبة، أحكم الحصار وشدده، وقد حاول اقتحام المدينة عدة مرات، ولم يفلح. دام الحصار مدة شهر كامل.

في هذا الوقت علم قتيبة أن نجدة كبيرة وقوية جاءت لمساعدة أهل سمرقند في فك الحصار، فقرر منع وصول النجدات إلى ساحة المعركة. فاختار ست مئة فارس من خيرة الفرسان العرب، وشكل منهم كتيبة بقيادة أخيه صالح بن مسلم، وطلب منه أن يتقدم الطريق، ويكمن على مسافة

فرسخين، ويفاجئ القطعات بهجوم ليلي مباغت.

وقد نجح صالح في هذا الكمين؛ حيث باغت العدو وأرعبه، ونشر الفوضى في صفوفه. وحسب الخطة التي وضعها قتيبة بن مسلم، فقد سحب قسماً من جيشه من حول أسوار المدينة بسرية تامة.

فدارت معركة ضارية كانت من أعنف معارك ما وراء النهر، وبعد أن تم لقتيبة إبادة رتل النجدات، عاد مسرعاً إلى أسوار المدينة، فدكها بالمنجنيق، واقتحم أسوارها، فسقطت واستسلم ملكها (غورك) وفق شروط وضعها قتيبة بن مسلم، وكان منها: تجريد المدينة من الأسلحة، وأن يبني مسجداً في سمرقند أسماه: مسجد قتيبة.

وقد عمل عدة إجراءات لنشر الدين الإسلامي في المدينة، منها: إسكان عرب في المدينة، واختلاطهم مع الناس لنشر تعاليم الدين الإسلامي، وإيقاف ممارسة الطقوس المجوسية. كما أمر بإعطاء درهمين لكل من يصلي الجمعة في مسجد قتيبة.

هذا، وقد قام القائد البطل قتيبة بن مسلم في كل مدينة فتحها بهدم الأوثان، ووقف ممارسة طقوس الشرك والكفر[1].

استمر قتيبة بن مسلم في فتوحاته حيث فتح: خوجنده، وفرغانه، وطاشقند، وقد أبدت طاشقند مقاومة عنيفة، فحرقها، وفتح مدينة اسنيجاب الواقعة على بعد ١٢٠ كم إلى الشمال من طاشقند.

هذا وكانت فتوحات هذا القائد العربي المجاهد من أوسع الفتوحات في بلاد الشرق.

---

(١) زهير صادق رضا الخالدي ـ أبطال من التاريخ العربي الإسلامي، ص١٧٨ ـ ١٧٩.

فتوحات محمد بن القاسم الثقفي:

محمد بن القاسم الثقفي أحد أقارب الحجاج، ولاه الحجاج مقاطعة مكران المجاورة للهند[١]، وفي أثناء فتح بلاد ما وراء النهر على يد القائد العربي قتيبة بن مسلم الباهلي كان هناك جيش آخر يحارب في الجبهة الشرقية متجهاً نحو الجنوب.

فقد جهز الحجاج بن يوسف الثقفي جيشاً قوامه ستة آلاف مقاتل بقيادة محمد بن القاسم الثقفي لفتح بلاد الهند. وكانت هذه البلاد تشبه من الناحية السياسية بلاد ما وراء النهر، فلم يكن هناك حكومة مبسوطة السلطان عليها، وإنما كل منطقة أو كل مدينة كبيرة مستقلة عن الأخرى، ويحكمها ملك[٢].

بدأ محمد بن القاسم الثقفي فتوحاته سنة ٨٩ هجرية، فقد سار بجيشه إلى مدينة[٣] الديبل، وفتحها بعد محاصرتها، وضربها بالمنجنيق، وقام بتهديم الأصنام فيها، وتدميرها، وبنى جامعاً فيها، ثم سار إلى مدينة بيرون، ففتحها صلحاً، ووصل إلى نهر السند، وعبره، واستعد ملك السند لمقاتلته، واسمه داهر بن صعصعة، ودارت معركة كبيرة بينهما قتل فيها ملك السند، وانهزم جيشه، واستمر محمد بن القاسم الثقفي بالاستيلاء على مدن السند واحدة واحدة.

ثم حاصر مدينة ملتان، وفتحها، وأصاب غنائم كبيرة فيهاً، وسميت

(١) محمود الجومرد ـ الحجاج رجل الدولة المفترى عليه، ص١٥٨.

(٢) الدكتورة سيدة إسماعيل كاشف ـ الوليد بن عبد الملك، ص١٢٤.

(٣) السيد أحمد بن زيني دحلان مفتي مكة ـ الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية، ص٢١٦.

الملتان بفرج بيت الذهب.

وعظمت فتوحات محمد بن القاسم الثقفي. ونظر الحجاج بن يوسف إلى النفقة على ذلك الثغر، فكان ستين ألف ألف درهم، ونظر في الخمس الذي حمل إليه، فكان مئة ألف ألف وعشرين ألف ألف درهم، فقال: ربحنا النصف، وأدركنا ثأرنا ورأسَ داهر[1].

لقد استولى محمد بن القاسم الثقفي على جزء كبير من أراضي السند صلحاً، على أن لا يتعرض لهياكل البوذيين، وأن يبقي معابد النار للمجوس؛ أي: أن يعامل البوذيين والمجوس معاملة أهل الذمة من النصارى[2].

ومن المدن التي فتحها محمد بن القاسم: النيرون، وهي حيدر آباد اليوم، وقد امتدت الفتوحات سنة ٩٦ هجرية شمالاً إلى ملتان جنوب البنجاب. وهكذا نرى أنه في سنوات قلائل بين ٨٩ و٩٦ هجرية أخضع إقليم السند وجنوبي البنجاب.

يظهر جانب مهم في فتوحات محمد بن القاسم الثقفي، وهي عدم تعرضه لمعابد البوذيين والمجوس في المناطق التي تفتح صلحاً طالما تدفع الجزية التي كان يدفعها أهل الذمة. أما المناطق التي تفتح عنوة، فإنهم فرضوا فيها إرادتهم، فهدموا المعابد الوثنية، وحرقوا الأصنام؛ مثلما فعل قتيبة ابن مسلم الباهلي في بلاد ما وراء النهر.

إن عوامل الحرب النفسية في فتوحات محمد بن القاسم الثقفي

---

(١) السيد أحمد بن زيني دحلان مفتي مكة ـ الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية، ص٢١٧.

(٢) الدكتورة سيدة إسماعيل كاشف ـ الوليد بن عبد الملك، ص١٢٥ ـ ١٢٦.

مشابهة[1] لتلك العوامل في فتوحات قتيبة بن مسلم الباهلي، إلا أننا نلاحظ اختلافاً في التعامل مع سكان البلاد المفتوحة، وخاصة في مساواة أهل الذمة بالبوذيين والمجوس، وفي هذا الجانب يظهر لنا عامل نفسي آخر يمكن أن يضاف إلى عوامل الحرب النفسية في الفتوحات الأموية؛ فهذه البلدان نائية عن مركز الخلافة، ومن الصعوبة إبقاء قوات كبيرة من العرب لإدامة السيطرة عليها، لذلك فإن نشر الدين الإسلامي فيها، وإقامة المساجد، وتفقيه أهل هذه البلدان بالدين الإسلامي كفيل بولاء هذه البلدان طوعاً للدولة الإسلامية؛ من خلال تزايد أعداد المسلمين فيها. ودين الحاكم يؤثر دائماً في نفوس الأمم المغلوبة على أمرها، وبخاصة في تلك الأزمنة[2].

لقد لقي الإسلام في أول أمره مقاومة؛ لأنه ليس من السهل أن يترك الإنسان معتقده، ويتمسك بدين جديد يختلف عما ورثه من أجداده.

وليس من السهل كذلك أن يسكت الكهنة وسدنة الأوثان على ضياع نفوذهم، ولكنهم بعد مضي السنين استقر الإسلام في نفوس المؤمنين به إلى يومنا هذا، ولذلك كانت الحكمة من تركهم الأوثان هو جلبهم إلى الإسلام تدريجياً وطوعاً.

جبهة المغرب وفتوحات شمال إفريقية:

توقفت الفتوحات في جبهة المغرب، كما توقفت في جبهة الشرق

---

(١) الدكتورة سيدة إسماعيل كاشف ـ الوليد بن عبد الملك، ص١٢٧.

(٢) محمود الجومرد ـ الحجاج رجل الدولة المفترى عليه، ص١٥٣.

سجستان وخراسان خلال الفتنـة التي تطرقنا إليهـا. وقد عادت هذه الفتوحات في جبهة الغرب بعد انتهاء الفتنة، واستقرار الحكم الأموي في عهد عبد الملك بن مروان في العام الذي سمي: عام الجماعة.

كانت الفتوحات في شمال إفريقية تنطلق من قواعدها التي هي الفسطاط، وبرقة؛ حيث جرت معارك ضارية في شمال إفريقية ضد الروم، ولكن الجيوش كانت تعود إلى قواعدها؛ حيث إن بقاءها في أماكن بعيدة قد يعرضها إلى التطويق، وقطع خطوط مواصلاتها، لذلك فإن البعض يرى أن كل هذه المعارك كانت يطلق عليها: الاستكشافية. فبرغم الانتصارات الكبيرة التي حققتها القوات الإسلامية العربية، فإن نتائجها لم تكن لتدوم طويلاً، بل كانت تلك النتائج مرهونة بوجود القوات العربية في بلاد المغرب، فإذا ما عادت إلى برقة، أو مصر، ارتدت معظم المناطق المحررة عن الولاء والطاعة.

ولهذا اعتبرت الحملات العسكرية التي توالت على بلاد المغرب مجرد حملات استطلاعية واسعة المدى، تطول أو تقصر مدتها حسب الأهداف المحددة لها[1]. إن هذا يؤشر لنا ضرورة بناء قاعدة متقدمة عن القواعد السابقة لانطلاق الفتوحات منها.

كان الجيش الإسلامي في هذه المرحلة في شمال إفريقية يتألف من العرب والبربر بشكل رئيسي، فقد أسلم الكثير من البربر في شمال إفريقية، وحسن إسلامهم.

لذلك فإنهم اشتركوا في الفتوحات، وساندوا العرب فيها لمحاربة

---

(١) السامرائي خليل إبراهيم وجماعته ـ تاريخ المغرب العربي، ص٦٤.

الروم؛ حيث إن الروم كان تواجدهم في المدن الساحلية على الأغلب، بينما البربر تواجدهم في العمق بعيداً عن الساحل، كانت أعطيات الجند، وحصتهم من الغنائم، ووجود المتطوعة في الجيش للجهاد في سبيل الله كما هي موجودة في جبهات الدولة الأموية الأخرى.

لقد هاجر العديد من القبائل العربية إلى مصر وشمال إفريقية، وبخاصة من قبائل اليمن العربية التي انتشرت هجرتها أيضاً في الشام وفلسطين؛ كما أسلفنا.

فتوحات عقبة بن نافع:

لم تكن أهداف الفتوحات في شمال إفريقية جمع الجزية، أو الحصول على الخراج أو الغنائم في المعارك.

وإنما كان الهدف الأساسي هو: نشر الدين الإسلامي بالجهاد في سبيل الله، لذلك كانت التعبئة النفسية في فتوحات المسلمين في عهد الخلفاء الراشدين، فقد كان الخطباء وقادة الجيوش وقراء القرآن الكريم يشحذون همم ومعنويات المجاهدين، مذكرين إياهم بمقام الشهادة في سبيل الله عند الله تعالى، والواجب الذي فرضه الله ـ سبحانه وتعالى ـ عليهم في نشر دينه في بقاع الأرض لكل الناس، وكما تطرقت سابقاً إلى بواعث القتال في الإسلام، لذلك كلما زاد اعتناق الناس للإسلام في البلدان المفتوحة، زاد الأمن والاستقرار والولاء للدولة الإسلامية في هذه البلدان.

وقد وضع القادة المسلمون الفاتحون هذا العامل النفسي أمام أعينهم.

الجانب النفسي الآخر الذي ينبغي الإشارة إليه هو: دخول أعداد كبيرة من البربر في الإسلام، وقد حسن إسلامهم، واشتركوا مع العرب في الجهاد[1]، وفتح المناطق، وساهموا في نشر الإسلام في المناطق البربرية الأخرى التي تمتد على طول شمال إفريقية.

ويذكر الكثير من المؤرخين أن البربر يرجعون في أصولهم إلى القبائل العربية؛ حيث هاجروا قبل ظهور الإسلام بفترة طويلة، وهذا الجانب كان يعوض عن استقدام النجدات والمدد، سواء من الشام، أو الجزيرة[2].

الجانب الآخر في الحرب النفسية: أن البربر أصبحوا عنصراً مهماً في القتال في شمال إفريقية؛ لكونها فيها مناطق جبلية يتقن البربر القتال فيها، كما أن البربر كانوا يتحمسون للقتال مع العرب؛ لمشاركتهم في النفوذ في هذه البلاد بعد تخلصهم من سيطرة الروم.

والجانب الآخر: أن البربر المسلمين كانوا يستقطبون إليهم البربر في البلاد والأماكن التي تفتح حديثاً لكون تواجد البربر يمتد على طول شمال إفريقية؛ حتى إنهم دخلوا مع العرب في فتوحات الأندلس.

رسمت الخلافة الأموية خطة لعقبة بن نافع ترمي إلى تحقيق أهداف مركزية تقوم أساساً على تثبيت أقدام العرب في المغرب العربي؛ من خلال تأسيس مدينة عربية إسلامية تكون قاعدة لتجمع القوات العربية، ومركزاً لانطلاقها، وملجأ لها عند الضرورة، وهذا العمل بحد ذاته وسيلة من أجل

---

(١) خالد جاسم الجنابي ـ تنظيمات الجيش العربي الإسلامي في العصر الأموي، ص٤٢ ـ ٤٣.

(٢) السامرائي خليل إبراهيم وجماعته ـ تاريخ المغرب العربي، ص١٥.

تحقيق الهدف الأسمى، وهو: تحرير المغرب من المستعمرين الروم، ونشر الإسلام[1].

زُود عقبة بن نافع بعشرة آلاف مقاتل، فضلاً عن القوات المرابطة في مدينة برقة، والمكونة من العرب والبربر، زحفت هذه القوات إلى الغرب، فأعادت إخضاع قفصة، وقسطيلية، والمناطق الأخرى التي تم إخضاعها سنة ٤٦ هجرية، ثم زحف إلى إقليم الهضبة الوسطى، وبدأ باختيار مكان بناء أول مدينة عربية إسلامية في بلاد المغرب، وقال: (إن إفريقية إذا دخلها إمام، أجابوه إلى الإسلام، فإذا خرج منها، رجع من كان أجاب منهم لدين الله إلى الكفر. فأرى لكم يا معشر المسلمين أن تتخذوا بها مدينة تكون عزاً للإسلام إلى آخر الدهر. . .).

ويكون بها جيش المسلمين، وذووهم، وأموالهم؛ ليأمنوا من تمردات أهل البلاد وخروجهم عن الطاعة. وشرع ببنائها سنة ٥٠ هجرية في موضع وسط بعيدة عن الساحل؛ كي تكون في مأمن من هجمات الأسطول البيزنطي، وغير متوغلة في العمق؛ خشية من تحركات القبائل البربرية، وقريبة من السبخة؛ لتتمكن الإبل من الرعي بأمان.

كان قيام القيروان حدثاً تاريخياً؛ لأنها أصبحت نواة لولاية جديدة هي: ولاية المغرب العربي[2]. وكان دور القيروان واضحاً وجلياً في نشر الإسلام، والتعريب بين قبائل البربر. فشيوخها من أبناء الصحابة كانوا خير دعاة للإسلام، تمكنوا بعد فترة وجيزة من نقل أهل المغرب من حال إلى

---

(١) المصدر نفسه، ص٦٥.

(٢) السامرائي خليل إبراهيم وجماعته ـ تاريخ المغرب العربي، ص٦٥.

حال، فنقلوهم من حال المُعادي والمتربص بالسلطة العربية إلى صف المشارك في حروب التحرير، والفاعل في طرد المستعمرين البيزنطيين. لقد كان لقيام هذه المدينة الأثر النفسي الكبير في رفع معنويات المقاتلين المسلمين؛ باطمئنان نفوسهم في الاستقرار والسكن، وزيادة اندفاعهم في التحرير والفتوحات، وفي الوقت نفسه كان لها تأثير نفسي كبير على الروم وحلفائهم؛ لأنها مؤشر واضح لهم على استقرار العرب المسلمين في هذه البلاد، وليس كالسابق.

وقد عبر ابن الأثير عن ذلك بما يلي: (. . . ودخل كثير من البربر في الإسلام، واتسعت خطة المسلمين، وقوي جَنان من هناك من الجنود بمدينة القيروان، وأمنوا واطمأنوا على المقام، فثبت الإسلام بها).

وفي الوقت الذي كان عقبة بن نافع مشغولاً ببناء هذه المدينة العظيمة، كان يرسل السرايا تجوب مناطق عديدة بين الساحل وعمق بلاد المغرب؛ لتطهير المناطق المحيطة بإقليم القيروان، ومراقبة العدو البيزنطي.

لقد بدل الأمويون سياستهم في المغرب، فعمدوا إلى إتباع اللين وليس الشدة مع القبائل البربرية والعربية؛ لزيادة نشر الإسلام، وكسب ولاء هذه القبائل، فنقلوا عقبة بن نافع الذي كان عسكرياً شديداً، وأبدلوه بأبي المهاجر دينار الذي كان عكسه في سياسته.

ولكن بعد وصول معلومات مفادها أن الروم يعدون العدة لإيقاف تقدم القوات العربية في إفريقية، وطردها من المغرب، بادر المهاجر سنة ٥٥ هجرية بقيادة القوات الإسلامية، والزحف باتجاه تلمسان موطن قبيلة

أوربه وحلفائها؛ لمهاجمتهم في عقر دارهم؛ حيث استسلمت بالصلح، ودخل جميع قبيلة أوربه في الإسلام، وأصبحوا قوة مضافة إلى القوات العربية الإسلامية في جهادها ضد الروم.

ثم تقدم سنة ٥٩ هجرية إلى مدينة قرطاجة، وهي معقل رئيسي للروم، وأهم قواعدهم البحرية، وحاصرها، إلا أن الروم عقدوا صلحاً معه بتنازلهم عن جزيرة شريك والمناطق القريبة منها، مقابل فك الحصار عن مدينة قرطاجة[1].

وقد فتحت مدينة قرطاجة آخر معاقل الروم المهمة في إفريقية على يد القائد العربي حسان بن النعمان في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، وفتحت بعدهـا بنزرت، وسطفورة[2].

بعد وفاة الخليفة معاوية بن أبي سفيان، وتولي ابنه يزيد الخلافة، فصلت ولاية المغرب عن ولاية مصر، وأصبحت ولاية المغرب مقرها القيروان، وعين عليها عقبة بن نافع والياً، الذي قام بتنظيم وترتيب شؤون الولاية، وعزم على القيام بحملته المشهورة في بلاد المغرب، فاستخلف زهير بن قيس البلوي، وعمر بن علي القرشي على مدينة القيروان، وترك فيها حامية بقوة ستة آلاف مقاتل لحمايتها، وتقدم بجيش قوامه عشرة آلاف مقاتل نحو الغرب، فهاجم مدينة باغية، وبعدها مدينة المسن، وتمكن من تدمير القوات الرومية التي فرت إلى الحصون، لكن عقبة بن نافع لم يقتحم الحصون للمدينتين.

---

(١) السامرائي خليل إبراهيم وجماعته ـ تاريخ المغرب العربي، ص٧١.

(٢) الدكتور ضياء الدين الريس ـ عبد الملك بن مروان موحد الدولة العربية، ص٢٤٨.

وقد حصل على غنائم كبيرة، وأموال، وتدمير قوات الروم والبربر التي تجمعت لقتاله حول كلتا المدينتين.

ثم سار إلى بلاد الزاب، وزحف إلى مدينة أذنة؛ حيث دارت معارك طاحنة انتصرت فيها قوات المسلمين، وطردت القوات الرومية من هذه المنطقة التي تعد من معاقل الروم المهمة في بلاد المغرب.

وبهذا انكسرت شوكة الروم في هذه البلاد.

الملاحظ في هذه المعارك: أن عقبة بن نافع لم يستهدف الأرض، وإبقاء قوات في هذه البلاد، وإنما استهدف قوة العدو لتدميرها، وإرهاب العدو، والحصول على الغنائم، وهذا يعني أن الاستيلاء عليها يتطلب معارك أخرى لفتح المدن، والاستقرار فيها، وهذا يعود إلى قلة عدد الجيش الإسلامي، وعدم إمكانية ترك قسم منهم في المدن؛ لئلا تضعف قوته، وقد وصل عقبة بن نافع في حملته هذه إلى ساحل المحيط، وقال كلمته المشهورة: (يا رب! لولا هذا البحر، لمضيت مجاهداً في سبيلك)[1].

استدار عقبة بن نافع بقواته إلى الداخل، والى الساحل على المحيط؛ فقد زحف إلى طنجة، ومنها إلى السوس، وصولاً إلى بربر أطلس الوسطى، وفي كل هذه الأماكن التي زحف إليها كانت المعارك تدور من منطقة إلى أخرى، وانتصر فيها جيش المسلمين بقيادة عقبة بن نافع.

وقد تجمع له الروم الذين تحالفوا مع البربر في منطقة تاهرت، وقد كان للعدو حشود كبيرة، فدارت معارك ضارية نصر الله فيها المسلمين على

---

(١) الدكتور ضياء الدين الريس ـ عبد الملك بن مروان موحد الدولة العربية، ص٢٤٨ ـ ٢٤٩.

جموعهم، وولوا هاربين.

عاد عقبة بن نافع متجهاً إلى القيروان بعد هذه الحملة الجهادية الطويلة، وقبل وصوله إلى القيروان، أخذ يرسل قواته فوجاً بعد آخر إلى المدينة؛ لكونهم قضوا فترة طويلة بعيدين عن قاعدتهم وأهلهم، وبقي هو وقوة صغيرة معه من الفرسان في المؤخرة، فوجئ عقبة بن نافع بكمين له من قوات كبيرة من البربر والروم يقودهم (كسيلة)، وقد تمكنوا بعد قتال عنيف، وتجمع الحشود لهم من إبادة القوة الإسلامية، واستشهاد عقبة بن نافع، والمهاجر بن دينار، ومن معهم من الفرسان.

لقد كان لهذه الحادثة وقع نفسي كبير على جيش المسلمين، وعلى الخليفة في الشام. إن سبب ذلك هو الخطأ الذي ارتكبه القائد عقبة بن نافع عندما استهان بعدوه، وأرسل جيشه على دفعات، ففتت قوته، ولم يحسب لأمنه وأمن قواته الاحتياطات الأمنية اللازمة، إن أمن القوات في الميدان هي تدابير يتخذها القائد في كل تصرفاته قبل القتال، وأثناءه، وبعده.

فتوحات موسى بن نصير:

تولى موسى بن نصير ولاية المغرب سنة ٨٦ هجرية؛ حيث خلف حسان ابن النعمان على الولاية. بدأ عملياته العسكرية بالقضاء على القوى المتواجدة في المناطق التي خرجت عن الطاعة، ثم أعقبها بحملات أخرى توغلت في المغرب الأقصى لإخضاع القبائل التي لم تخضع بعد للسلطة المركزية، أو تلك التي ارتدت عن الطاعة بعد استشهاد عقبة بن نافع الفهري[1].

---

(١) السامرائي خليل إبراهيم وجماعته ـ تاريخ المغرب العربي، ص٩٢.

هناك عدة جوانب في الحرب النفسية في فعاليات ومعارك موسى بن نصير، أهمها: أن المعارك والفتوحات في زمن القادة الذين سبقوه قد بثت الرعب والخوف في نفوس الروم والقبائل التي تكبدت خسائر كبيرة في هذه المعارك، لذلك هي لم تكن بوضع نفسي يمنحها الثقة بالنصر عند مواجهة جيش موسى بن نصير.

أما العامل الثاني، فقد ساعدت الحملات الإسلامية التي سبقته على انتشار الإسلام بشكل كبير في قبائل البربر والقبائل الأخرى، وهذا ما فتت صفوف الأعداء وأضعفهم، ومنح الجيش الإسلامي أمناً وزخماً كبيرين في فتوحاته بقيادة موسى بن نصير.

بدأ موسى بن نصير فعالياته بإرسال خمس مئة فارس إلى منطقة فرغزان التي بينها وبين القيروان مسيرة يوم واحد، فاستطاعوا قتل صاحبهم (ورقطان)، وغنموا غنائم كبيرة، وهي أول غنائم في عهد موسى بن نصير تصل القيروان[1].

وبسلسلة من الفعاليات في المناطق القريبة والمحيطة بالقيروان تمكن من جعل منطقة القيروان وما حولها قاعدة أمينة صلبة ينطلق منها إلى المغرب الأوسط، والمغرب الأقصى، وهو مطمئن على خطط مواصلاته.

لقد كانت التعبئة النفسية للمعركة من أهم جوانب الحرب النفسية، وقد اعتمدت هذه التعبئة في كافة المعارك التي جرت منذ حروب الردة والفتوحات في عهد الراشدين، واستمرت في العصر الأموي.

---

(١) زهير صادق رضا الخالدي ـ أبطال من التاريخ العربي الإسلامي، ص١٥٦.

وقد كان يقوم بها القادة والفرسان ورؤوس القوم، ولم تكن تخصصاً في الجيش العربي الإسلامي.

لقد تبلورت في العصر الأموي بوجود القراء والقصاص ضمن الوحدات المقاتلة لغرض إثارة حماس الجند، ورفع معنوياتهم في القتال، فيقصون عليهم أمجاد أسلافهم، ويلقون عليهم الشعر الحماسي، ويزهدونهم في الدنيا، ويرغبونهم في الشهادة، وكان القراء يقرؤون سورة الجهاد، وهي سورة الأنفال قبل بدء القتال؛ عملاً بالسنة النبوية؛ لحث المقاتلين على الصبر والجهاد[1].

لقد برز هذا الجانب في حروب الأمويين، حتى نستطيع القول بأنهم أصبحوا صنفاً من صنوف الجيش الإسلامي، ويقول ابن خلدون في مقدمته: (وقد رأينا في حروب العرب من يتغنى أمام المواكب بالشعر، ويطرب، فتجيش همم الأبطال بما فيها، ويسارعون إلى مجال الحرب، وينبعث كل قرن إلى قرنه)[2].

وفي أواخر العصر الأموي أصبح القراء والقصاص من أهل العلم والفقه والدين هم الذين يتولون مهمة حث الجند على الجهاد، وإثارة حماسهم وحميتهم؛ فقد كانوا يتفرقون بين صفوف الجند يحرضونهم على الجهاد، ويذكرون بفضله، وبعد أن يصل الجند إلى ذروة حماسهم يرسل إلى القصاص والقراء بأن يتنحوا جانباً، ويخلوا بين الجند وعدوهم[3].

---

(١) دكتور خالد جاسم الجنابي ـ تنظيمات الجيش العربي الإسلامي في العصر الأموي، ص١٣٤.

(٢) ابن خلدون ـ المقدمة، ص٢٥٨.

(٣) دكتور خالد جاسم الجنابي ـ تنظيمات الجيش العربي الإسلامي في العصر =

خرج موسى بن نصير على رأس حملة كبيرة توغلت في المغرب الأوسط، فارتدت القبائل أمامه ناحية الغرب، فتبعها عبر السوس الأدنى حتى بلاد سجلماسة، ووادي درعة، وأخذت القبائل تخضع لجيش المسلمين. كما اصطدم بقبائل صنهاجة، وتمكن بعد قتال شديد من الانتصار عليهم، وقتل زعيمهم، وإخضاعهم لسلطة الدولة الإسلامية.

وإثر هذه الانتصارات.. قام موسى بن نصير بتوسيع دائرة نشاط عملياته، فتوغل قسم من جيشه بقيادة ابنه في السوس الأقصى، وأرسل زرعة بن أبي مدرك على رأس قسم من جيشه للتوغل في بلاد المصامدة في طرابلس العليا، وكانت آخر حملاته التي قادها في المغرب: حملته على طنجة، فبعد توطيد الأمن في المغرب الأوسط والأقصى، من صحراء درعة إلى السوس الأقصى إلى بلاد المصامدة، قاد قواته إلى طنجة، وطهر خلال زحفه جيوب المقاومة؛ لتأمين خطوط مواصلاته، ثم حاصر طنجة حصاراً شديداً حتى دخلها، وأسلم أهلها[1].

عاد موسى بن نصير إلى القيروان تاركاً طارق بن زياد عاملاً على طنجة وما والاها، وتحت إمرته اثنا عشر ألف مقاتل، أغلبهم من العرب والبربر، وترك فيهم سبعة وعشرين رجلاً يعلمون الناس أصول الشريعة الإسلامية، واللغة العربية. وقد اشترك موسى بن نصير مع طارق بن زياد في فتح بلاد الأندلس.

إن أحد أهم العوامل التي ساعدت موسى بن نصير على تنفيذ هذه

= الأموي، ص١٣٥.

(١) السامرائي خليل إبراهيم وجماعته ـ تاريخ المغرب العربي، ص٩٤.

الفتوحات هو: ضعف الروم، وانحسار وجودهم بعد تدمير الجزء الأكبر من جيوشهم في المغرب، واحتلال قواعدهم البحرية الرئيسية.

إن العامل النفسي المهم في كل المعارك والحروب هو: القائد؛ شخصيته، وكفاءته، وشجاعته، وذكاؤه، وغيرها من الصفات الأساسية للقائد، فثقة المقاتلين بقائدهم أحد عوامل الحرب النفسية التي تهيئ لكسب المعركة، وتحقيق النصر.

❐ ❐ ❐



الخاتمة

تعد الحرب النفسية أخطر أسلحة الحرب التي توجه ضد الفكر والعقيدة والشجاعة والثقة، وضد الرغبة في القتال. وهي حرب دفاعية وهجومية؛ لأنها تحاول بناء معنويات الشعب والمقاتلين. وبالمقابل تحطم معنويات العدو. والحرب النفسية جزء من الحرب الشاملة تشن قبل الحرب، وخلالها، وفي أعقابها.

كما للمعارك الحربية في ميادين القتال أسلحتها ومعداتها وأدواتها في القتال والاشتباك بالعدو، فإن للحرب النفسية أساليبها وأسلحتها، وأهم هذه الأسلحة: الشائعة، الدعاية، غسيل المخ، والتأثير في الروح المعنوية للمقاتلين والشعب عل حد سواء.

بعد أن انبثق نور الدعوة إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ لتخليص البشرية من الظلام، وبدء الدعوة الإسلامية بظهور سيد الكائنات الرسول ﷺ، جوبهت هذه الدعوة بمقاومة عنيفة من قوى الشرك والظلام.

وكان أهم أسلحة هذه المقاومة وأخطرها: سلاح الحرب النفسية التي تجلت بصور وأساليب مختلفة، من أبرزها: التشويش الضال، واللغو الباطل، والتستر وراء ستار الحرص على المصالح الدنيوية، وانتهاز الفرص

للعمل على النيل من عواطف الناس، وجذب ثقتهم بإظهار الحرص على حياتهم الدنيوية، والإغراء المادي، ومحاولة الإغراء بالزخرف الزائف، والتلويح بالعَرَض الزائل؛ أملاً في النفوذ إلى القلوب؛ لتحقيق أهدافهم الضيقة، واستغلال العواطف، وإثارة المشاعر لخلق صراع في نفس المؤمن بين إيمانه وعواطفه البشرية، إضافة إلى استخدام أسلوب إثارة الفتنة والشقاق؛ بالتذكير بجروح الجاهلية.

لم تقف أساليب المشركين في حربهم النفسية عند هذه الجوانب؛ حيث تنوعت هذه الأساليب لتشمل الجانب الاقتصادي في الحرب النفسية ضد المؤمنين؛ كما حصل في حصار الرسول ﷺ وبني هاشم في شِعب أبي طالب. وكذلك الإضرار بمن يستطيعون الإضرار به من المؤمنين.

لعب اليهود بمكرهم وحقدهم دوراً مهماً في تأجيج الحرب النفسية، وروح العداء ضد المؤمنين، إضافة إلى المنافقين الذين تستروا بالإسلام؛ ليعملوا على تفتيت وحدة المؤمنين وإيذائهم.

لقد وصل بهم الأمر لحد الاتصال بالفرس والروم؛ للإجهاز على الدعوة الإسلامية، وإطفاء نورها. وكانت أسلحتهم في حربهم النفسية هي: الإشاعات، وسلاح الدعاية الكاذبة، والتزييف وتحريف الحقائق.

وقد وصل الأمر بالمشركين إلى حد اللجوء إلى أسلوب الاستهزاء بالدين وشعائره، وبمقدار ما كانت عناصر الحرب النفسية التي استخدمها الكفار والمشركون متعددة وشاملة، فإن عوامل التصدي لها، والتأثير النفسي باتجاه مقاومتها من قِبل الرسول ﷺ كانت أدق وأعظم.

فقد استخدم وسائل عديدة ومهمة في مقاومة الحرب النفسية تدخل

تحت باب الوقاية من الحرب النفسية، منها: قوة العقيدة، وصفاء الإيمان، وقوة الترابط الاجتماعي والألفة، وإشاعة قوة الاستعداد لدى الجماعة المؤمنة، إضافة إلى اليقظة والحذر من الأعداء، والتصرف بحكمة، وبمقتضى ما يتلاءم مع كل حالة، والمعرفة الكافية بأساليب العدو ومكائده، لقد استخدم الرسول ﷺ وسائل أخرى من الوقاية من الحرب النفسية؛ مثل: مخاطبة العقول، والعمل على توجيهها وإقناعها، والترغيب والترهيب، مع فتح باب التوبة لكل من يعود إلى الصفوف والدعوة إلى الإسلام.

كما أن القرآن الكريم كان يكشف أساليب الكفار والمشركين والمنافقين، ويرد على ادعاءاتهم، ويدحض افتراءاتهم؛ مما كان يربكهم، ويفشل نواياهم الخبيثة.

بعد وفاة الرسول ﷺ، ومبايعة أبي بكر الصديق ﷺ حصل الاضطراب، ثم الردة في كل أنحاء الجزيرة العربية، ولكن بأشكال متفاوتة، ودرجات مختلفة. وقد ظهرت عوامل الحرب النفسية في مواجهة الردة، والقضاء عليها في كل المراحل، وبرز ذلك في إرسال جيش أسامة بن زيد ﷺ إلى الروم، وخلال مرحلة الخطة السوقية للخليفة؛ لمواجهة الردة، والقضاء عليها.

والتي تضمنت الأسبقيات في مواجهة الردة، ومراحل المواجهة مع المرتدين، إضافة إلى العمل على تفتيت الردة من الداخل، والقضاء عليها؛ حيث كانت الحرب النفسية تفعل فعلها إلى جانب السيف في القضاء على الردة بالقتال.

بعد انتهاء الردة، وإعادة توحيد الجزيرة العربية على دين الإسلام، وتوطيد أركان الدولة الإسلامية، بدأت الفتوحات الإسلامية خارج الجزيرة العربية لنشر الإسلام.

في هذه المرحلة تبلورت الحرب النفسية بشكل أكثر، واتسع نطاقها، فبرز الدور الواضح للخطباء والشعراء والقراء والمحدثين قبل بدء المعارك، وخلالها، وبعدها. كما أن الإجراءات والفعاليات ذات الطابع النفسي كانت تجري قبل المعارك وخلالها. إن الإسلام وحد العرب فكرياً وسياسياً، وفرض عليهم الجهاد. وإن هذه الفتوحات كانت تحت راية الجهاد لنشر دين الله كما أمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ.

في العصر الأموي وظفت الحرب النفسية ليس في المعارك فقط، وإنما استخدمها الأمويون في توطيد أركان دولتهم، وفي مواجهة خصومهم، وإخماد الثورات الداخلية ضدهم، إضافة إلى استخدامها في الفتوحات بعد أن استمرت هذه الفتوحات في شمال إفريقية وفي الشرق. وفي هذه المرحلة كانت الحرب النفسية أكثر ترسيخاً ووضوحاً من خلال وجود تنظيمات تعنى بذلك في صفوف الجيش.

لقد كانت الحرب النفسية مستمرة ضد العدو، وتسير إلى جانب السيوف، بل تتعداها في التأثير على العدو، وتحقيق الانتصارات لنشر دين الله الإسلام.

❑ ❑ ❑

فهرس المصادر والمراجع

* المصـــادر:

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ أحمد بن أعثم الكوفي ـ الفتوح ـ الطبعة الأولى، دار المعارف العثمانية حيدر آباد الهند ١٣٨٨هـ ـ ١٩٨٦م.

٣ ـ ابن حجر، أحمد بن علي ـ الإصابة في تمييز الصحابة ـ دار الفكر بيروت ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

٤ ـ أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم ـ الخراج ـ الطبعة الخامسة القاهرة ١٣٩٦هـ.

٥ ـ ابن سعد ـ محمد بن سعد الزهري ـ الطبقات الكبرى ـ دار صادر بيروت.

٦ ـ ابن إسحق ـ السيَر والمغازي ـ تحقيق سهيل زكار ـ الطبعة الأولى ـ دار الفكر ١٩٧٨م.

٧ ـ ابن خلدون ـ عبد الرحمن بن محمد ـ العبر ـ ج٣ بيروت ١٩٥٦.

٨ ـ ابن خلدون ـ عبد الرحمن بن محمد ـ المقدمة ـ المكتبة التجارية مصر القاهرة.

٩ ـ ابن هشام أبو محمد بن عبد الملك ـ السيرة النبوية ـ دار إحياء التراث ـ الطبعة الثانية ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

١٠ ـ أبو الفداء ابن كثير الدمشقي ـ البداية والنهاية ـ الطبعة الأولى دار الريان للتراث ١٩٨٨م.

١١ ـ ابن قتيبة، عبيدالله بن مسلم ـ الإمامة والسياسة ـ ج٢ القاهرة ١٩٢٥.

١٢ ـ المغازي للواقدي المتوفى ٢٠٧هـ ـ تحقيق د. مارسدن جونس ـ الطبعة الثالثة،

عالم الكتب ـ بيروت ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

١٣ ـ ابن الأثير أبو الحسن علي بن أبي المكارم الشيباني ـ الكامل في التاريخ ـ تحقيق علي شيري ـ دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٩م.

١٤ ـ ابن كثير ـ الإمام أبو الفداء إسماعيل ـ السيرة النبوية ـ تحقيق مصطفى عبد الواحد ـ الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ، دار الفكر ـ بيروت.

١٥ ـ ابن كثير، أبو الفداء القرشي ـ تفسير القرآن العظيم ـ دار الفكر ودار القلم، الطبعة الثانية، بيروت لبنان ١٣٨٩هـ ـ١٩٧٠م.

١٦ ـ ابن هشام ـ الروض الأنف في شرح السيرة النبوية ـ لأبي القاسم السهلي، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل ـ دار الكتب الحديثة طبعة ١٣٨٧هـ.

١٧ ـ البلاذري، أحمد بن يحيى ـ أنساب الأشراف ـ الجزء الخامس، القدس ١٩٣٦.

١٨ ـ البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر ـ فتوح البلدان ـ دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

١٩ ـ البخاري، الإمام أبو عبدالله محمد بن إسماعيل ـ صحيح البخاري الحديث النبوي الشريف ـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ١٩٨١.

٢٠ ـ السيد أحمد بن زيني دحلان مفتي مكة ـ الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية ـ الجزء الأول سنة ١٣٥٤هـ المكتبة التجارية الكبرى مصر.

٢١ ـ ابن عساكر ـ تهذيب تاريخ دمشق الكبير ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٢٢ ـ الأزدي أبو زكريا يزيد بن محمد ـ تاريخ فتوح الشام ـ تحقيق عبد المنعم عبدالله عامر ـ مؤسسة القاهرة ١٩٧٠م.

٢٣ ـ الطبري، محمد بن جرير ـ تاريخ الأمم والملوك ـ دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة ١٩٨٧م.

٢٤ ـ الطبري، محمد بن جرير ـ جامع البيان في تفسير القرآن ـ مطبعة بولاق مصر ١٣٢٣هـ، نسخة مصورة بيروت ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٢٥ ـ أبو بكر أحمد البيهقي ـ دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ـ تحقيق: عبد المعطي قلعجي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٥هـ.

٢٦ ـ المالكي، أبو بكر عبدالله بن محمد المالكي ـ رياض النفوس ـ دار الغرب الإسلامي بيروت ـ لبنان طبعة عام ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٢٧ ـ ابن الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر الجوزية ـ زاد المعاد في هدي خير العباد ـ حققه شعيب الأرناؤوط وعبد القادر، دار الرسالة، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.

٢٨ ـ أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي الجوزي ـ زاد المسير في علم التفسير ـ الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي ١٩٦٥م.

٢٩ ـ أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ دار المسيرة، الطبعة الثانية بيروت ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٣٠ ـ ابن حجر العسقلاني ـ شهاب الدين أبو الفضل العسقلاني ـ فتح الباري ـ دار المعرفة، بيروت لبنان.

٣١ ـ النويري ـ أحمد بن عبد الوهاب نهاية الأرب في فنون الأدب ـ ج١٩، القاهرة ١٩٥٥.

٣٢ ـ أحمد بن محمد المقري ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ـ تحقيق: دوزي، أمستردام ١٩٦٧م.

٣٣ ـ القرطبي ـ أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري ـ تفسير القرآن ـ دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان ١٩٦٥م.

٣٤ ـ الجلالين ـ جلال الدين محمد بن أحمد السيوطي، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر المحلي ـ تفسير القرآن ـ نشر دار إحياء التراث العربي، مكتبة المثنى بيروت.

٣٥ ـ اليعقوبي، أحمد بن يعقوب بن جعفر ـ تاريخ اليعقوبي ج٢ ـ دار صادر بيروت لبنان.

٣٦ ـ اليعقوبي ـ أحمد بن أبي يعقوب ـ تاريخ اليعقوبي ـ منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها في النجف ١٣٤٨هـ ـ ١٩٦٤م.

٣٧ ـ النووي ـ أبو زكريا محيي الدين يحيى ابن شرف ـ شرح النووي على صحيح مسلـم ـ المتوفى سنة ٦٧٦هـ، طبع المطبعـة المصريـة ومكتبتها، القاهرة ١٣٤٩هـ.

٣٨ ـ الذهبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان ـ تاريخ الإسلام، المغازي ـ تحقيق: عمر عبد السلام تدمري ـ الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٣٩ ـ الذهبي ـ تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين ـ دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٤٠ ـ تاريخ خليفة بن خياط ـ تحقيق أكرم ضياء العمري ـ مطبعة الآداب، النجف ١٩٦٧م.

٤١ ـ ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله الحموي ـ معجم البلدان ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٤٢ ـ نصر بن مزاحم المنقري ـ وقعة صفين ـ تحقيق: عبد السلام هارون، الطبعة الثانية، القاهرة ١٣٨٢هـ.

٤٣ ـ القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني ـ تثبيت دلائل النبوة.

٤٤ ـ أحمد بن حنبل، أبو عبدالله الشيباني ـ مسند أحمد، المكتب الإسلامي بيروت.

٤٥ ـ أبو داود ـ الإمام أبو داود سليمان السجستاني ـ سنن أبي داود، تحقيق وتعليق: عزت الدعاس ١٣٩١هـ سورية.

٤٦ ـ الدارمي أبو عبدالله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي ـ سنن الدارمي، دار الكتب العلمية ـ بيروت لبنان.

* * *

* المـراجع:

١ ـ د. أكرم العمري ـ السيرة النبوية الصحيحة ـ مكتبة المعارف والحكم بالمدينة المنورة ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

٢ ـ السيد عمر ـ الدور السياسي للصفوة في صدر الإسلام ـ المعهد العالمي للفكر الإسلامي ـ الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٣ ـ أحمد عادل كمال ـ الطريق إلى المدائن ـ دار النفائس، الطبعة السادسة ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٤ ـ أحمد عادل كمال ـ القادسية ـ دار النفائس، الطبعة التاسعة ـ ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

٥ ـ د. أحمد نوفل ـ الحرب النفسية من منظور إسلامي ـ دار الفرقان، عمان ـ طبعة ١٤٠٧هـ ـ١٩٨٧م.

٦ ـ احزمي سامعون جزولي ـ الهجرة في القرآن الكريم ـ الطبعة الأولى، مكتبة الرشد ـ الرياض ١٩٩٦م.

٧ ـ أرنوف وتبيج ـ مقدمة في علم النفس ـ دار ماكجر وهيل للنشر ـ مطابع الأهرام التجارية، القاهرة ١٩٨٣.

٨ ـ إعداد مجموعة من المختصين بإشراف صالح بن حميد ـ نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ـ الطبعة الأولى ـ دار الوسيلة ١٤١٨هـ.

٩ ـ إبراهيم العلي ـ صحيح السيرة النبوية ـ دار النفائس ـ الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٩٨م.

١٠ ـ جمال السيد ـ أضواء على الحرب النفسية ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٢.

١١ ـ حامد محمد الخليفة ـ الأنصار في العصر الراشدي ـ رسالة علمية.

١٢ ـ حامد ربيع ـ الحرب النفسية في المنطقة العربية ـ الطبعة الأولى ١٩٧٤، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ـ لبنان.

١٣ ـ حامد ربيع ـ نظرية الرأي العام ـ محاضرات كلية الاقتصاد، بغداد ١٩٧٣م.

١٤ ـ د. خالد جاسم الجنابي ـ تنظيمات الجيش العربي الإسلامي في العصر الأموي ـ الطبعة الثانية ١٩٨٦، دار الشؤون الثقافية العامة، الدار الوطنية للتوزيع والإعلان ـ وزارة الثقافة والإعلام، دار الحرية للطباعة ـ بغداد.

١٥ ـ خيري صالح داود ـ غسل الدماغ ـ سلسلة الحرب النفسية ٢، منشورات وزارة الثقافة والفنون ـ بغداد.

١٦ ـ خالد محمد الغيث ـ مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري ـ دار الأندلس الخضراء ـ السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

١٧ ـ الدكتور خليل إبراهيم السامرائي، والدكتور عبد الواحد ذنون طه، والدكتور ناطق صالح مطلوب، جامعة الموصل ـ تاريخ المغرب العربي ـ رقم الإيداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٥٤٤ لسنة ١٩٨٨.

١٨ ـ زهير صادق رضا الخالدي ـ أبطال من التاريخ العربي الإسلامي ـ الطبعة الأولى ١٩٨٨دار الشؤون الثقافية العامة بغداد.

١٩ ـ د. سليمان العودة ـ الهجرة الأولى في الإسلام ـ الطبعة الأولى، دار طيبة للنشر، الرياض ١٤١٩هـ.

٢٠ ـ د. سيدة إسماعيل كاشف ـ الوليد بن عبد الملك ـ أعلام العرب ١٧، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

٢١ ـ سليمان السويكت ـ محنة المسلمين في العهد المكي ـ الطبعة الأولى، مكتبة التوبة الرياض ١٩٩٢م.

٢٢ ـ سيغموند فرويد ـ أفكار لأزمنة الحرب والموت ـ ترجمة سمير كرم ـ دار الطليعة، بيروت ١٩٧٧.

٢٣ ـ شاكر محمود رامز اللواء الركن ـ اليرموك وتحرير ديار الشام، تاريخ حرب ـ الطبعة الأولى ١٩٨٦بغداد وزارة الدفاع.

٢٤ ـ شاكر محمود رامز اللواء الركن ـ تاريخ حرب، تحرير العراق ـ الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م بغداد.

٢٥ ـ شوقي أبو خليل ـ حروب الردة من قيادة النبي إلى إمرة أبي بكر ـ دار الفكر دمشق.

٢٦ ـ د. شوقي أبو خليل ـ في التاريخ الإسلامي ـ دار الفكر المعاصر بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

٢٧ ـ شكري فيصل ـ حركة الفتح الإسلامي ـ دار العلم للملايين، الطبعة السادسة ١٩٨٢م.

٢٨ ـ د. ضياء الدين الريس ـ عبد الملك بن مروان موحد الدولة العربية ـ المؤسسة

المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مصر.

٢٩ ـ صلاح نصر ـ الحرب النفسية معركة الكلمة والمعتقد ـ القاهرة ١٩٦٧ .

٣٠ ـ صادق إبراهيم عرجون ـ خالد بن الوليد ـ الدار السعودية، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٣١ ـ صبحي عبد الحميد ـ معارك العرب الحاسمة ـ الطبعة الأولى ١٩٦٧، منشورات مكتب المنار للتوزيع ـ الكويت.

٣٢ ـ طه حسين ـ على هامش السيرة ـ ج١، القاهرة.

٣٣ ـ عبد الحميد حسين المقدم ـ الفتح الإسلامي في العراق والجزيرة ـ مطبعة شفيق، بغداد ١٩٥٨ ـ ١٩٦١م.

٣٤ ـ عبد المنعم الهاشمي ـ الخنساء أم الشهداء ـ دار مكتبة الهلال، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ـ ٢٠٠٠م.

٣٥ ـ عز الدين التميمي ـ الشورى بين الأصالة والمعاصرة ـ دار البشير، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٣٦ ـ عبد اللطيف حمزة ـ الإعلام والدعاية ـ بغداد ١٩٦٨ .

٣٧ ـ د. عبد الوهاب كحيل ـ الحرب النفسية ضد الإسلام في عهد الرسول ﷺ في مكة ـ عالم الكتب ـ الطبعة الأولى ـ بيروت ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٣٨ ـ د. علي محمد محمد الصلابي ـ السيرة النبوية ـ الطبعة الثانية ـ دار ابن كثير ـ بيروت ودمشق ٢٠٠٥م.

٣٩ ـ د. علي محمد محمد الصلابي ـ تاريخ الخلفاء الراشدين، الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبي بكر الصديق ـ دار ابن كثير ـ دمشق وبيروت، الطبعة الثانية ٢٠٠٥م.

٤٠ ـ د. علي محمد محمد الصلابي ـ تاريخ الخلفاء الراشدين، فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ دار ابن كثير ـ دمشق وبيروت ـ الطبعة الثانية ٢٠٠٥ .

٤١ ـ د. علي محمد محمد الصلابي ـ تاريخ الخلفاء الراشدين ـ خامس الخلفاء

الراشدين أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي طالب ـ دار ابن كثير دمشق وبيروت، الطبعة الثانية ٢٠٠٥.

٤٢ ـ د. علي محمد محمد الصلابي ـ فقه التمكين في القرآن الكريم ـ دار الوفاء، المنصورة الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

٤٣ ـ د. علي العتوم ـ حركة الردة ـ مكتبة الرسالة الحديثة ـ عمان، الطبعة الثانية ١٩٧٧م.

٤٤ ـ د. عبد الرحمن شجاع ـ دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة ـ دار الفكر المعاصر، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩.

٤٥ ـ عباس محمود العقاد ـ عبقرية الصديق ـ المكتبة العصرية بيروت، بدون تاريخ.

٤٦ ـ عبد الرحمن السعدي ـ وجوب التعاون بين المسلمين ـ دار المعارف الرياض، طبعة ١٤٠٢هـ.

٤٧ ـ د. علي معطي ـ التاريخ السياسي والعسكري لدولة المدينة في عهد الرسول ﷺ استراتيجية الرسول السياسية والعسكرية ـ مؤسسة المعارف بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٤٨ ـ د. عبد العزيز الحميدي ـ التاريخ الإسلامي مواقف وعبر ـ الطبعة الأولى دار الدعوة، الإسكندرية ١٩٩٧.

٤٩ ـ د. عبد الأمير عبد حسين دكسن ـ الخلافة الأموية ـ الطبعة الأولى ١٩٧٣، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت.

٥٠ ـ د. عبدالله محمد الرشيد ـ القيادة العسكرية في عهد الرسول محمد ﷺ ـ دار القلم دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٥١ ـ عبد الكريم زيدان ـ المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة ـ مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ـ١٩٩٧م.

٥٢ ـ د. عبد الرحمن البر ـ الهجرة النبوية المباركة ـ دار الكلمة، المنصورة مصر، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ـ١٩٩٧م.

٥٣ ـ د. فخري الدباغ ـ الحرب النفسية ـ دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٧٩.

٥٤ ـ د. فخري الدباغ، وقيس عبد الفتاح ـ علم النفس العسكري ـ جامعة بغداد، الطبعة الأولى ١٩٨٦م.

٥٥ ـ د. فخري الدباغ ـ غسل الدماغ ـ المؤسسة اللبنانية للنشر ١٩٧٠ .

٥٦ ـ د. فضل آلهي ـ قصة بعث جيش أسامة ـ دار ابن حزم بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

٥٧ ـ كامل علوان الزبيدي ـ دور الفتوة في مواجهة الشائعات ـ محاضرات الاتحاد العام لشباب العراق، بغداد ١٩٨١ .

٥٨ ـ كامل علوان الزبيدي ـ علم النفس العسكري ـ جامعة بغداد ١٩٨٩ .

٥٩ ـ كامل علوان الزبيدي ـ علم النفس العسكري ـ الطبعة الأولى، الدار العربية للموسوعات ١٩٨٨ .

٦٠ ـ كامل علوان الزبيدي ـ مستقبل الباراسايكولوجي في الميدان العسكري ـ بغداد ١٩٨٨ .

٦١ ـ كامل علوان الزبيدي ـ الروح المعنوية للمقاتل العراقي ـ كلية الأمن القومي ـ بغداد ١٩٨١ .

٦٢ ـ لينارجر بول ـ الحرب النفسية ـ ترجمة حميَر محمد الرشيد ـ مطبعة النجاح ـ بغداد.

٦٣ ـ لو لفنسون ـ تاريخ اليهود في بلاد العرب ـ طبعة القاهرة ١٩٢٧م.

٦٤ ـ د. مهدي رزق الله أحمد ـ السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ـ مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ـ الرياض الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

٦٥ ـ د. مهدي رزق الله أحمد ـ الثابتون على الإسلام أيام فتنة الردة في عهد الخليفة أبي بكر الصديق ﷺ، دار طيبة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٦٦ ـ مصطفى محمود منجود ـ الأبعاد السياسية لمفهوم الأمن في الإسلام ـ المعهد العالمي للفكر الإسلامي ـ الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٦٧ ـ محمد الخضري ـ إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء ـ دار المعرفة ـ بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٦٨ ـ محمد حسين هيكل ـ الصديق أبو بكر ـ دار المعارض بمصر ـ الطبعة ١٩٧١ .

٦٩ ـ محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ـ أبو بكر الصديق أفضل الصحابة وأحقهم بالخلافة ـ دار القاسم، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٧٠ ـ محمد فتحي أمين الفريق الركن ـ الحرب والمعنويات ـ بغداد ١٩٨٩ .

٧١ ـ مديرية التطوير القتالي ـ الصمود في الدفاع (سلسلة البحوث العسكرية ١٧لسنة ١٩٨٢) وزارة الدفاع ـ بغداد .

٧٢ ـ محمد أبو فارس ـ الصراع مع اليهود ـ الطبعة الأولى، دار الفرقان ـ ١٩٩٠م.

٧٣ ـ محمد سعيد القحطان ـ الولاء والبراء في الإسلام ـ الطبعة السادسة ـ دار طيبة ـ الرياض.

٧٤ ـ محمود شيت خطاب ـ الرسول القائد ـ الطبعة الثانية ـ دار مكتبة الحياة ومكتبة النهضة ـ بغداد ١٩٦٠م.

٧٥ ـ محمد فرج ـ العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ﷺ ـ الطبعة الثالثة ـ دار الفكر العربي القاهرة ١٩٧٧م.

٧٦ ـ محمود أحمد محمد سليمان عواد ـ الجيش والقتال في صدر الإسلام ـ الطبعة الأولى ١٩٨٧ ـ مكتبة المنار ـ الأردن ـ الزرقاء.

٧٧ ـ محمود الجومرد ـ الحجاج رجل الدولة المفترى عليه ـ الطبعة الأولى ١٩٨٥ ـ منشورات شركة مطبعة الأديب البغدادية المحدودة.

٧٨ ـ محمود شاكر ـ التاريخ الإسلامي، الخلفاء الراشدون ـ المكتب الإسلامي ـ الطبعة الخامسة ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

٧٩ ـ محمد بن صامل السلمي ـ ترتيب وتهذيب البداية والنهاية، خلافة عمر ـ دار الوطن ـ الطبعة الأولى ١٤١١هـ ـ ١٩٩٧م.

٨٠ ـ محمود شلبي ـ حياة أبي بكر ـ دار الجيل بيروت الطبعة الأولى ١٩٧٩م.

٨١ ـ محمد أحمد باشميل ـ حروب الردة ـ دار الفكر ـ الطبعة الأولى ـ ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٨٢ ـ محمد أحمد باشميل ـ حروب الإسلام في الشام ـ دار الفكر ـ الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

٨٣ ـ محمد أحمد باشميل ـ غزوة الأحزاب ـ الطبعة الخامسة ـ دار الفكر ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م.

٨٤ ـ محمد بن عبد الباقي الزرقاني ـ شرح المواهب اللدنية للقسطلاني ـ دار المعرفة بيروت.

٨٥ ـ محمد عثمان نجاتي ـ علم النفس الحربي ـ الطبعة الثالثة لسنة ١٩٦٠م ـ مكتبة النهضة القاهرة.

٨٦ ـ موركوربول ـ علم النفس العسكري ـ ترجمة وتعليق: محمد مصطفى ـ بغداد ١٩٧٦.

٨٧ ـ محمد عيظة بن سعيد بن مذحج ـ غزوة أحد دراسة دعوية ـ دار إشبيليا ـ الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٨٨ ـ منير الغضبان ـ فقه السيرة النبوية ـ معهد البحوث العلمية وإحياء التراث ـ مكة المكرمة.

٨٩ ـ مديرية التدريب العسكري ـ كراسة الحرب النفسية (ترجمة الرائد الركن محمد فتحي أمين) كراسة رقم ٩٨ ـ وزارة الدفاع ـ بغداد ١٩٦٤م.

٩٠ ـ محمد حسن بريغش ـ مصعب بن عمير الداعية المجاهد ـ دار القلم دمشق ـ الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٩١ ـ د. مصطفى مسلم محمد ـ معالم قرآنية في الصراع مع اليهود ـ دار المسلم ـ الرياض ـ الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

٩٢ ـ د. ناصر بن عبد الكريم العقل ـ دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها ـ مركز دراسات إشبيليا ـ الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٩٣ ـ نهاد عباس شهاب الجبوري الرائد ـ العمليات التعرضية والدفاعية عند المسلمين ـ دار الحرية بغداد.

٩٤ ـ د. نزار الحديثي، ود. خالد الجنابي ـ أبو بكر الصديق ـ دار الشؤون الثقافية العامة ـ العراق ـ الطبعة الأولى ١٩٨٩م.

٩٥ ـ د. يسري محمد هاني ـ تاريخ الدعوة إلى الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين ـ الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، جامعة أم القرى ـ معهد البحوث العلمية وإحياء التراث.

٩٦ ـ د. ياسين سويد ـ الفن العسكري الإسلامي ـ شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ـ الطبعة الأولى، لبنان ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.

* * *

* المجـلات:

١ ـ صالح أحمد العلي ـ استيطان العرب في خراسان ـ من مجلة كلية الآداب والعلوم ـ العدد٣ لسنة ١٩٥٨ ـ بغداد.

٢ ـ مجلة الدفاع ـ العدد الرابع ـ وزارة الدفاع ١٩٨٨م ـ بغداد.

* * *

* المراجع الأجنبية:

١ ـ معجم أكسفورد البريطاني.

٢ ـ معجم الجيش الأمريكي للحرب النفسية ـ نيويورك ١٩٧٣.

Dictonary of psycholog_ . Chaplin d . p



فهرس المحتويات

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الفصل الرابع

الحرب النفسية خلال الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين

الموضـــوع	الصفحة

□ □ □